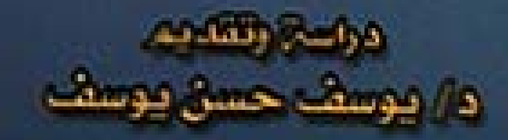
الملفات السرية للموساد
تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية





سلسلة المؤامرة 1

الملفات السرية للموساد

تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية

دراسة وتقديم

د/ يوسف حسن يوسف

شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع

القاهرة - مصر

شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع

كتاب: الملفات السرية للموساد

تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية

دراسة وتقديم: د/ يوسف حسن يوسف

رقـم الإيـــــداع: 2013/1542

الترقيم الدولي: 978-977-5053-07-7

الطبعة الثانية 2015



الناشر: شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع

165 ش محمد فريد – الدور الثالث – القاهرة

تليفون: 23919695 (202+)   تليفاكس: 23900867 (202+)

e-mail: sherif_mass2010@yahoo.com

موقع الشركة على شبكة التواصل الاجتماعي

- *https://www.youtube.com/watch?v=7HLlLS-hHxo&feature=youtu.be*
- *https://www.facebook.com/alshryf.mas?ref=tn_tnmn*

إهداء خاص

إلى أغلى الناس أمي وأبي

إلى عمر وسيف

وإلى الأجيال القادمة بأسرها ..

إلى الأمل الذي ننتظره وأعمل من أجله أنا وكل رفاقي الشرفاء ..

أهدي لهم هذا الكتاب، أو بالأحرى هذه الوثائق ..

حتى يدركو حقيقة المؤامرة وحقيقة من يريدنا جهلاء أزلاء أجساد بلا عقول

ولكن الأفكار لها أجنحه تطير لا يستطيع أحداً أن يمنعها ..

كما أهديه

إلى كل عربي أهدي كتابي هذا .. وإلى جيلي، والاجيال القادمة..

وإلى أعدائي

لعلهم يعلمون أننا نعلم تفاصيل المؤامرة، ونسعى لإفشالها ..

فنحن أمة قد وهبها الـلـه عز وجل .. الفطرة، والإيمان ..

وبهم، وبالعلم سنُقاتل حتى ولو بالورقة والقلم ..

د/ يوسف حسن يوسف

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

المقدمة

عزيزي القارئ عندما تدبرت كل ما يحدث من حولي على ظهر ذلك الكوكب، سواء على مستوى الشعوب التي تتصارع وتتناحر، أو الشعوب التي يأكُلها الجهل والفقر وذل حكام نصَّبوا انفسهم أنصاف آلهه أو على المستوى الفردي للأشخاص الذين أصبح كل منهم قنبلة موقوتةَ من الحقد والكراهية أو من الجهالة والقوة الغاشمة أو من الضياع وطمس الملامح الإنسانية والدينية، فقد أصبح العالم وخصوصاً في بلادنا عبارة عن أفراد وأصبح كل فرد معزولاً عن الآخر .. لذا فكرت لمصلحة من هذا التفتت والتفكك والإنعزالية .. لمصلحة من أن يظل الإنسان في صراع إما داخلي مع الذات، أو مع آخر من أجل المادة والوجود والبقاء .. لمصلحة من هذا وقد أمرنا رب العزة سبحانه بالترابط والوحدة والتعاون سواء في الدين الاسلامي، أو في الأديان الاخرى.

وعندما تتبعت الامور، وبحكم تخصصي في ذلك العلم .. بحكم حبي للآخر .. أي آخر طالما كائن يحيا معي على ظهر ذلك الكوكب، ولأن ديني يأمُرني دائماً بالعمل من أجل الإنسانية .. لذا قمت بالبحث والقراءة والاستنباط والتحقيق لجمع كل عناصر المؤامرة .. واكتشفت بالفعل مثل كثيرين من العلماء الشرفاء الذين سبقوني في هذا ومنهم (وليام جاي كار، وجون و ودوريتشارد ديكون، ورضا هلال، وغوردون توماس ..... وغيرهم) أن هناك مؤامرة على العالم، وأن هذا العالم يقوم بتحريكه قله من (المرابيين العالميين)، أو الأثرياء بالتعبير الحديث، وهؤلاء خططوا وبدؤا في التنفيذ .. ويوجد منا من يقوم بمساعدتهم سواء عن جهل، أو بعلم لطلب المال والحياة.

فليس كل ما يحدث في العالم من ثـورات وانقلابـات وقتـل ودمـار بالمصـادفة، وإنما هـي مؤامرة .. لذا قمت بكتابة هذا الكتاب .. حاولت فيه أن أضع بين يـدي القـارئ كـل العنـاصر التي تؤكد على وجود مـؤامرة للسـيطرة عـلى العـالم، وإننـا لا نظلـم أحـداً، أو لـيس بـداخلنا هاجس اسمه (نظرية المؤامرة) .. إنها موجوده وتنُفذ حالياً وبنجاح.

عزيزي القارئ إن كتابي هذا يوضح أحد عناصر هذه المؤامرة، وكيف أن الموساد هـو أهـم ذراع من الآف الأذرعة لتلك المؤامرة وهذا المخطط.

تمهيد

البدايات

تُدرك قوى الشر أن السبيل الوحيد للسيطرة المطلقة على العـالم وتأسـيس دكتاتوريتها المادية الإلحادية وهو في تحطيم كافة أنظمة الحكـم الدسـتورية والأديان المنظمة في العالم "كما يحدث بنجاح الأن".

وللوصول إلى ذلك قررت هذه القوى انتهاج سياسة تقسـيم الشـعوب إلى معسكرات مُتناحرة حول قضايا مختلفـة وقـد حـدث ذلـك في المـاضي حيـث جرت هذه القـوى الجنسـين الآري والسـامي إلى عـداء مريـر لم يخـدم سـوى الأطماع الخفية لقيادة الإلحاديين الماديين لهذين الجنسين ولو تمكن الجنسان الآري والسامي من الحفاظ على إيمانهما الأصـيل باللــه والتقيـد بـأوامره لما تمكنت قوى الشر أبداً من تحقيق مآربها الخبيثة.

تشير صفة الآرية إلى مجموعة اللغات التي تعرف باسم الهندية الأوروبيه أو الهندية الجرمانية، وهي تنقسم إلى شعبتين: الشعبة الغربية أو الأوروبيـه، والشعبة الشرقية أو الأرمنية، ويجمع بين اللغات الآرية أصـل مشـترك بـدليل اشـتراكها بعـدة صـفات مـن حيـث القواعـد والمفـردات والمشـتقات، وكلمـة "الآري" في الأصل تعني "سيد الأرض" وهكذا نجد أن معظم قـادة المجموعـه الآرية كانوا من البارونات أصحاب الأراضي الذين اعتادوا على إحاطة أنفسهم بقوى مسلحة قوية لحماية ممتلكاتهم، ومن سلالة هـؤلاء البارونـات ينحـدر سادة الحرب الآريون، وقد نظم هؤلاء بدورهم النازيـة واسـتخدموا الفاشـية والمجموعـات إليمينيـة المعاديـة للسـامية لخدمـة أهـدافهم والمُضي قـدماً بمخططاتهم السرية للوصول إلى السيطرة على العالم.

إن الأقسام الرئيسية للمجموعات الآرية هي المجموعات التيوتونية[1] والرومانية والسلافية، وهم الذين استقروا في غرب أوروبا .. أما الأتراك والمجر والباسيكون والفنلنديون فهم جميعاً ليسوا آريين، وكان الأسلاف الأقدمون للمجموعات الآرية قد قطنوا ما بين هضاب البامير[2] في حقبة موغلة في القدم.

وفي الجانب الأخر نجد أن المجموعات السامية تنقسم فعلاً إلى فرعين: يشمل الفرع الأول المجموعات الأشورية، والآرامية، والعبرية، والفينيقية.. ويشمل الفرع الثاني المجموعات العربية، والأثيوبيه، ويأتي العرب في المقام الأول بين هذه الأجناس من حيث العدد المُركز .. أما الأراميون فهم أفقرها، ويقع العبرانيون في مرحلة متوسطة بين هذين العرقين.

ونحن نطلق اليوم اسم اليهودي بشكل عام على كل شخص أعتنق يوماً الدين اليهودي، والواقع هو أن الكثيرين من هؤلاء ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقي ذلك أن عدداً ضخماً من الذين اتخذوا اليهودية ديناً لهم منحدرون من سلالات الهيرودبين أو الأيدومبين ذوي الدم التركي المنغولي، والآديون الآريين نواة صغيرة صلبة من النوارنيين أو الإلحادين، وقد يظهر هؤلاء ولائهم لليهود أو للمسيحية خدمة لمأربهم، ولكنهم لم يكونوا أبداً ليؤمنوا بوجود اللـه .. وهؤلاء لا يعرفون المشاعر القومية والوطنية، عندما كانوا يحتاجون لذلك للمضي في مخططاتهم .. وهمهم الوحيد هو تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية أكبر .. والهدف النهائي لزعماء كلتا المجموعتين واحد .. هو أنهم مصممون على الوصول إلى السيطرة الكاملة على الثروات والموارد الطبيعية واليد العامله للعالم باجمعه.

وقد عقدوا النية على أن يُحولوا العالم إلى دكتاتوريه لا وجود لله فيها.

وللمُضي في مخططاتهم كان عليهم صُنع ذراع يستطيعون به البطش والسرقة والتفريق والقتل بشكل يبدوا للكثيرين طبيعياً من أجل ثأر تاريخي أو ديني قديم أو

11) التيوتونية: وهي تتألف من الأساطير الإسكندينافية والألمانية، وتسمى أحياناً بالأساطير النورسية نسبة إلى النورسيين الذين عاشوا في إسكندينافيا.

(2) هضبة البامير: تقع في آسيا الوسطى.

جغرافي .. وبحث عن هوية إنسانية، وأدركوا أن خير من يقوم بذلك هم اليهود أو بالأدق "المرتزقه العالمية المتهودة".. إختيار صحيح لأنهم هم النوع البشري الوحيد الذي يستطيع فعل ما يأمورنهم به من قتل وحرق واغتصاب وتزوير تاريخ .. أو بالأدق على ثرواته وموارده الطبيعية.

لذا قررت كتابة الجزء الأول عن هذه المؤامرة والذي أتحدث فيه سريعاً عن بداية المؤامرة وصنع الصهيونيه وعلاقتها بالماسونية، وأكاذيب إسرائيل .. ثم موضوع الكتاب تاريخ الموساد الجانب المظلم.

أرجو وجه اللـه الكريم من هذا العمل..

د/ يوسف حسن يوسف

القاهرة

الفصل الأول

نشأة الأجهزة الاستخباراتية اليهودية منذ فجر التاريخ

* تحول الشخصية اليهودية.
* المبحث الأول: أثـر الشـتات عـلى تحـول الشخصـية اليهوديـة، وتغيير أساليبها.

-حارة اليهود أو مجتمع "الجيتو" أول نـواة لجمـع المعلومـات السرية.

* المبحث الثاني: بداية العمل السري المنظم "المؤامرة".

- حقيقة بروتوكولات حكماء صهيون، والسيطرة على العالم.

تكوين أول جهاز مخابرات منذ عهد
نبي اللـه موسى عليه السلام

لقد كانت الجاسوسية المنظمة عند بني إسرائيل القدامى مهنة معترف بها وذلك ما جاء في العهد القديم، ومن ثم فإن الخدمة السرية الإسرائيلية واحدة من أقدم نظم المخابرات في العالم، فقد جاء في (سفر العدد - الإصحاح الثالث عشر):

"فأرسلهم موسى، ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب، واطلعوا إلى الجبل وانظروا إلى الارض، ما هي والشعب الساكن فيها، أقوي هو أم ضعيف، قليل أم كثير"..

وما جاء في سفر العدد هذا هي البنية الأولى لعلم التجسس،فقد طلب منهم نبي اللـه موسى عليه السلام معلومات دقيقة وشاملة عن أرض كنعان، فقد طلب أن يصعدوا إلى الجبل لأنه مكان مرتفع يستطيعون كشف الأرض والناس دون أن يُلاحظهم أو يكشف أمرهم أحداً.

وهذا ما تقوم به طائرات التجسس في العصر الحديث والأقمار الصناعية، ثم طلب معرفه الأرض التي سوف ينزلون بها هل هي طينية صالحة للزراعة أم رملية، وهل هي منحدره أم مرتفعه، وهذا ما يقوم به قسم البحوث الملحق بأي جهاز مخابرات حديث الآن، ثم طلب معلومات عن الشعب الموجود بهذه الأرض وهذه المعلومات تجمع بين المعلومات الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والنفسية ثم قام بطلب معرفه مدى قوة الجيش وضعفه، ثم قام بطلب أعداد الجيش أو بمعنى أدق عدد من يستطيع أن يُحارب في هذه الأرض، وهل هم بكثرة أم قله.

وبذلك يرجع الفضل إلى موسى عليه السلام في إنشاء وتنظيم التجسس على نطاق واسع، وبذلك يُعتبر موسى عليه السلام هو الذي وضع وبوضوح أسس العمل لأطقم التجسس التابعه له "ولقد أرسلهم موسى من بريه فاران[1]، وكان كل هؤلاء الرجال من زعماء بني إسرائيل"، وفي العصر الحديث فإن المخابرات الإسرائيلية لا تزال تهتم

(1) بريه فارن: بالقرب من أرض كنعان.

بكل الأخبار الطيب منها والسيئ وهذه نقطة من أكبر نقاط القوة فيها، فالتاريخ ملئ بأمثلـه على فشل أجهزة المخابرات لأنها تجاهلت الحقائق.

والجاسوسية الإسرائيليـة لهـا جـذوراً في التـوراه، ولقـد ثبـت ذلـك عنـدما أصـدر الجـنرال اللنبي[1] أوامره في شهر فبراير عام 1918 للفرقه البريطانية الستين بالهجوم عـلى أريحـا، وقـد كلف أحد ألويه الفرقه بالإستيلاء على قريه صغيرة تسمي "المخماس"[2]، وكان قائد ذلك اللواء وهو الميجور "فيفان جلبرت" لا يعرف سوى القليل جداً من المعلومات عن أرض هذه المنطقه وكانت خطة الهجوم تتضمن اقتحام تل شديد الإنحدار، وكانت تقع عليه القرية، وظل حـائراً كيف يقتحم أرضاً لا يعرف عنها إلا القليل حتى تذكر أن "المخماس" قـد ورد ذكرهـا في سـفر صموئيل الأول في الاصحاحين الثالث عشر والرابع عشر.. كما يلي:

"ولقد تمركز الفلسطينيون في المخماس وبين الممر، والذي كان يسعى جوناثان لاستخدامه لكي يصل إلى الحامية الفلسطينية، وكانت هناك صخرة حـادة عـلى أحـد الجـانبين وصـخرة حادة أخرى على الجانب الآخر وكان اسم الأولى بوزير واسم الثانية سـينيح وكانـت مقدمـة إحداهما تقع شمالي المخـماسي، بيـنما مقدمـة الأخـرى تقـع إلى الجنـوب مـن جبيـه، وقـال جوناثان للشاب الذي كان يحمل درعه، هيـا بنـا نتجـه صـوب الحاميـة، إذ يبـدوا إن اللـــه سيكون بجانبنا، فليس لإرادته حدود، واللـه لا ينظر إلى كثرة أو قله، وفي أول هجمـة تمكـن جوناثان وحامل درعه من قتل عشرين رجـلاً" وكنتيجـة لدراسـه ذلـك الـنص تمكـن الميجـور "جلبرت" من تغيير خطة الهجوم كلية، فبدلاً من أن يقوم بهجوم بالمواجهـه مسـتخدماً اللـواء بأكمله دفع بسرية واحده للتعامل مع الأتراك.

ولقد وجد الممر تماماً كما جاء وصفه في سـفر صـموئيل الأول وفي كتابـه "قصـة الحملة الاخيرة" قال الميجور جلبرت إنه قد استفاد كثـيراً مـن المعلومـات القديمـة،

(1) اللنبي: جنرال إنجليزي كان مختص بالشرق أثناء الاحتلال الإنجليزي.

(2) المخماس: كلمة عبرية معناها (مخبوء أو مستور) وهي اسم مدينة في جبل افرايم شرقاً الي وادي الأردن.

وهكذا فإنه بعد آلاف السنين تكررت تكتيكات شاؤول وجوناثان بنجاح على يد قوة بريطانية.

وفي عام 70 ميلادية تم القضاء على الدولة اليهودية فبعد موت هيرود وتزايد قوة الرومان، برغم من الثورات المتكررة لكن استطاع القائد الروماني "فسباسيان" من إخضاع كل فلسطين تقريباً عدا القدس وذلك قبل وفاة "نيرون" وعندما أصبح "فسباسيان" امبراطوراً كلف ابنه "تيتوس" بالإستيلاء على القدس وبالفعل تم ذلك عام 70 ميلادية ولم تقم قائمة لليهود حتي عام 1948.

كذلك خسر اليهود القُدامى ولم تعد إلا في حرب يونيه عام 1967 باحتلالها لكن الزيلوت[1] أو القانائين[2] استمروا في نضالهم في قلعة "الماسادا" التي تقع على شاطئ البحر الميت فلقد صمدوا أمام الرومان وكان قائدهم "اليعازر" وهو ينحدر من يهوذا الجليلي مؤسس الطائفية اليهودية القديمة "الزيليتيين" أو القانائين وهو أسلاف الهاجاناه التي انبثق عنها الخدمة السريه الإسرائيلية، ولقد نشأت حركة الزيلتيين هذه في السنه السادسة ميلادية وكان بين صفوفها النبي "سيمون" او هذا ما يعتقدون لكن الرومان قضوا على الحركة تماماً في عام 73 ميلادية ومن ذلك التاريخ فصاعداً أصبح أمام اليهود أحد الأمرين:

1- إما ان يُقتلوا أو يستغلهم الأباطرة ..
2- أو أن ينزحوا إلى بلاد أخرى.

أما بالنسبة لهؤلاء الذين اصروا فالبقاء فقد كان أملهم ضئيلاً جداً في تكوين حركة سرية ذات شأن.

وأما النسبة للذين نزحوا إلى بلاد أخرى فقد عايشوا من قبل مر الأضطهاد الكثير، وهنا تغيرت "الشخصية الداخلية لليهودي".

(1) الزيلوت: من سكان فلسطين.
(2) القانائين: أهل قانا.

المبحث الأول

أثر الشتات على تحول الشخصية اليهودية وتغير أساليبها

الملاحظ أن تحولاً جذرياً طرأ على اليهود بعد هذه الإبادة الشاملة والتشريد فتاريخهم قبل عصر التوراة وبعده تاريخ دموي حربي كله الغزو والعدوان، وتغلب عليهم فيه صفة الشراسة والعنف، أما بعد مجازر الأشوريين والبابليين ثم الرومان فقد تحول اليهودي فجأة إلى شخصية مستضعفة خانعه تحقق أغراضها بالوسائل الناعمة والملتويه وبالتزييف والمكر والخديعة.

ويرجع هنتنجتون[1] هذا التحول في الشخصية الجماعية إلى عملية الإنتخابات التي فرضتها تلك المجازر حيث ابيدت فيها العناصر المناضلة ولم يبق إلا عناصر الجبن والمسكنه والخبث، ومن حينها أخذ اليهود الطابع الذي عرفوا به في كل العالم.

والشتات والتفرق لليهود في مختلف بلدان الأرض وبشعورهم بأنهم شرذمة ضعيفة وبدأو في تجميع أنفسهم من كل الدول في مكان واحد خاص بهم مثل "حارة اليهود".

حارة اليهود أو مجتمع "الجيتو"

أول نواه لجمع المعلومات السرية

إن البذرة الأولى لجمع المعلومات وفرزها ثم نقلها إلى الخارج هي:

"الجيتو GHETTO" حي اليهود أو معزلهم في المدينة فطوال عصور التاريخ وفي كل البلاد والأقاليم إرتبط اليهود كقاعدة بلا استثناء بالعزلة السكنية في حي خاص من المدينة، الجيتو كما يقال في كثير من بلاد أوروبا وأمريكا أو حارة اليهود في ألمانيا وكما نقول نحن في مصر وهو اليوديريا في أسبانيا الوسيطة juderia أو هو المله mellah كما يقال في مدن المغرب العربي أو قاع اليهود كما في مدن اليمن.

وكثيراً جداً ما كانت هذه الوحدة الخلوية اليهودية تُغلف بحائط خاص داخل المدينة، وأحيانا كان الحي برمته يُقام خارج أسوار المدينة الأم ذاتها إمعانا في العزل

(1) هنتنجتون هو: المؤرخ والخبير فى علم الإسرائيليات.

ويعتبر هذا الحي له خصوصية وطابع خاص في جمع المعلومات المختلفة سواء اقتصادية او سياسية أو حتى اجتماعية، فاليهود لديهم سمة أصبحت من إحدى جيناتهم هي التركيز في السمع والمشاهدة، ويرجع ذلك لإحساسهم بالخطر دائماً وحتى يأمنوا ذلك الخطر وهذه المعلومات كانت تحلل بشكل بدائي بعض الشيء، ومع ذلك وعلى الفور نفهم أن العزلة السكني Segregation residential هو قانون اليهودي في المدينة ويرجع ذلك إلى صنع اليهود بانفسهم، سعياً منهم كأقليه مسحوقه إلى التركز والاحتماء في نقطة واحدة ضماناً للحماية في حظيرة واحدة.

لقد بدأ اليهود رحلاً في عصر التوراة وظلوا متمركزين داخل مدن الشتات فبدأ العمل السري لرصد وتحديد وقت جمعهم وفرض أنفسهم على العالم لأنهم لا يستطيعون المواجهه بطبيعتهم ولأنهم أيضاً وجدوا في العمليات السرية تحقيقاً لأهدافهم بسهوله بدون صدام مباشر مع "الجوييم" كما يسمون الاخرين.

المبحث الثاني

بداية العمل السري المنظم "المؤامرة "

حقيقة بروتوكولات حكماء صهيون والسيطرة على العالم

في عام 1784 وضعت مشيئة اللـه تحت حيازة الحكومة البافاريـة، بـراهين قاطعـة عـلى وجود المؤامرة اليهودية المستمرة وهي:

كان "آدم وايزهابت" أستاذ يسوعياً للقانون، ولكنه إرتد عـن المسـيحية ليعتنـق المـذهب اليهودي في عام 1770 استأجر المرابون الذين قاموا بتنظيم مؤسسة روتشيلد لمراجعه وإعادة تنظيم البروتوكولات القديمة على أسُس حديثة والهدف من هـذه البروتوكـولات هـو التمهيـد لسيطرة اليهود على العالم، كما يفرض اليهود.

"وايديولوجيتهم"على ما تبقى من الجنس البشري بعد الكارثـة الاجتماعيـة الشـاملة التـي يجري الإعداد لها بطرق شيطانية طاغيـة، وقـد أنهـى وايزهاوبـت مهمتـه في الأول مـن آيـار "مايو" 1776م.

حقيقة بروتوكولات حُكماء صهيون والسيطرة على العالم وتحقيقها بالخدمة السرية

إن المخطط الذي رسمه "وايزهاوبت" وجمعته بنود البروتوكولات يقوم على تدمير جميع الحكومات والأديان الموجودة، ويتم هذا الهدف عن طريق تقسيم الشعوب التي سماها "الجوييم"[1] إلى معسكرات متنابذة تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشاكل التي تتولد بلا توقف، "اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية وغيرها "وهذا ما يحدث الآن، ويقتصر المخطط تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها ثم يجري تدبير "حادث" في كل فترة يكون من شأنه أن تنقض هذه المعسكرات على بعضها البعض فتُضعف نفسها محطمة الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية.

وفي عام 1776 نظم وايزهاوبت جماعه سرية تسمى "جماعه النوارنيين" لوضع المؤامرة موضع التنفيذ "وكلمة النوارنيين تعني حملة النور" واستطاع أن يضُم اليه ما يقرب من الألفين من الأتباع من بينهم أبرز المتفوقين في ميادين الفنون والأدب والعلوم والاقتصاد والصناعة، وأسس عندئذ "محفل الشرق الأكبر" ليكون المركز القيادي السري لرجال المخطط الجديد وتقتضي خطة وايزهاوبت إلى إتباع التعليمات الآتية لتنفيذ أهدافهم:

1- **استعمال الرشوة بالمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات في جميع الحكومات وفي مختلف مجالات النشاط الإنساني.**

2- **يجب على النوارنيين "اليهود" الذين يعملون كأساتذة في الجامعات والمعاهد العلمية أن يُولوا اهتمامهم إلى الطلاب عقليا والمنتمين إلى أسر محترمة لِيُولد فيهم الاتجاه نحو الأممية العالمية كما يجري تدريبهم فيما بعد تدريباً خاصاً على أصول المذهب العالمي الجديد، ويتم التدريب عن طريق تخصيص الطلاب بمنح دراسية ويلقن هؤلاء الطلاب فكرة الأممية أو العالمية حتى تلقى القبول**

(1) الجوييم: لفظ بمعنى القطعان البشرية يطلقه اليهود على البشر من الأديان الاخرى.

منهم ويرسخ في أذهانهم أن تكون حكومة عالمية واحدة في العالم كله .. فهي الطريقة الوحيدة للخلاص من الحروب والكوارث المتوالية، ويجب إقناعهم أولاً.. ثم يجري ترسيخ العقيدة لديهم بعد ذلك بأن الأشخاص ذو المواهب والملكات العقلية الخاصة لهم الحق في السيطرة على من هم أقل كفاءة وذكاء منهم، ويوجد في العالم اليوم ثلاث مدارس متخصصة بذلك وتقع الأولى:

أ) في بلدة غوردنستون في اسكوتلندا..

ب) في بلدة سالم في ألمانيا..

ج) في بلدة آنافريتا في اليونان.

وقد درس الأمير فيليب زوج ملكة انجلترا اليزابيث الثانية في غوردنستون بتدريب من عمه اللورد لويس ماونتباتن الذي أصبح بعد الحرب العالمية الثانية القائد الأعلى للبحرية البريطانية والعميل الأول للمنظمة اليهودية الدولية.

3- مهمة الشخصيات ذات النفوذ التي تسقط في شباك النوارنيين اليهود والطلاب الذين تلقوا التدريب الخاص، واستخدامهم كعملاء بعد إحلالهم في المراكز الحساسة خلف الستار لدى جميع الحكومات بصفة خبراء أو اختصاصيين بحيث يكون في إمكانهم تقديم النصح إلى كبار رجال الدولة وتدريبهم لإعتناق سياسات يكون من شأنها في المدى البعيد أن تخدم المخططات السرية لمنظمة العالم الواحد والتوصل إلى التدمير النهائي لجميع الأديان، ولجميع الحكومات التي عهد اليهم بمهام فيها.

4- العمل على الوصول إلى السيطرة على الصحافة وكل أجهزة الإعلام الأخرى، ومن ثم تعرض الأخبار والمعلومات على الجوييم بشكل يدخلهم إلى الإعتقاد بأن تكوين حكومة أممية واحدة هو الطريق الوحيد لحل مشاكل العالم المختلفة.

هذه كانت بداية بروتوكولات حكماء صهيون التي ظلوا يُطورون فيها لتُواكب أحداث الساحة العالمية لتنفيذ وتكملة أهدافهم.

بروتوكولات حكماء صهيون
(أسرار البروتوكولات) وعلاقتها بالتلمود

مناهج الفكر لاستكمال المؤامرة

سواء اعترف اليهود بنسب البروتوكولات إليهم أو انكروا نسبها لهم فهي من بنات أفكارهم شاءوا ذلك أم أبوا، من يعرف اليهود جيداً والمتابع لتاريخهم يتأكد من ذلك ثم أن أساليب مسلك الشخصية السياسية اليهودية طوال التاريخ تُثبت صحة نسب كل كلمة من كلمات البروتوكولات اليهم.

وإذا تم مطابقة بنود البروتوكولات بالمرحلة التاريخية الحالية فسوف نجد نجاح المخطط بنسبة كبيرة، فقد رأينا أن نحذر من اكتمال هذه المؤامرة، لذا قمت بإعداد هذا الكتاب وغيره من أجل القارئ العربي لكي يعي ما يدور حوله من مخطط قديم جداً لكنه مستمر.

تاريخ البروتوكولات

لقد اختلف الباحثون في شأن البروتوكولات هل هي محاضر جلسات أم إنها مجرد تقارير أم إنها قرارات، ويرى الأستاذ الدكتور أحمد شلبي[1] أن التسمية نسبية متغيرة، فهي تقارير بالنسبة لمنشئها وكاتبها، وهي محاضر جلسات عند طرحها على المؤتمر لمناقشتها، وتنفيذها بعد الموافقه عليها، ولكنها على كل حال قد عُرفت وإشتهرت باسم بروتوكولات حكماء صهيون.

ولقد تعددت الآراء والحكايات عن كيفية إكتشاف العالم لهذه البروتوكولات ففى إحدى الروايات المتعلقة بكيفية إكتشاف العالم لهذه البروتوكولات، أن سيدة مسيحية فرنسية كانت في مخدع صهيوني كبير ملحق بوكرٍ للماسونية في باريس وقرأت هذه السيدة الفرنسية المسيحية بمحض حب الاستطلاع بعض الأوراق التي تحوي بروتوكولات حكماء صهيون فأدركت على الفور أهميتها وخطورتها ونجحت في

(1) د/ أحمد شلبي: كاتب ومؤرخ تخصص في تاريخ اليهود والصهيونية.

إختلاسها والفرار بها ويبدوا أن هذه السيدة الفرنسية خشيت أن تُتهم بسرقه هـذه الوثـائق فعملت على أن تذاع ويبدأ نشرها من بلد أوروبي آخر بعيد عن فرنسا فأوصلت هذه الأوراق إلى رجل روسي هو "اليكس نيقولا نيفتسن".

وكانت زيارات نبلاء وأثرياء روسيا القيصرية تتم على نطاق واسع لمدينة باريس بحثاً عـن اللذة أو الثقافة أو التسلية أو حباً للظهور بين أبناء روسيا في ذلـك الحـين ومـن المسـتبعد أن تكون المرأة الفرنسية على اتصال بذلك الرجل الروسي.

وعندما قامت الثورة البلشفية في روسيا وكانـت بتـدبير اليهـود وكـان معظـم قادتهـا مـن اليهود كما هو معروف ومشهور، تم القبض على القس الروسي "سيرجي نيلوس" الذي كان قد ترجم وأشرف على طبع ونشر البروتوكولات ومات في معسكرات الإعتقال الشيوعية في أقـاصي سيبريا.

وهناك قصة أخري تقص على كيفية العثور على بروتوكولات حكماء صـهيون مؤداهـا كـما يلي:

"في عام 1785 كان أحد الفرسان يعـدو السـير بجـواره بـين فرانكفـورت وبـاريس حـاملاً معلومات مفصلة حول الحركة الثورية العالمية عامة ومعه أيضاً تعليمات خاصة حول الثورة الفرنسية وكانت تلك التعليمات صادرة عن النوارنيين اليهود "أعضاء الجمعيـات الماسـونية" في المانيا وموجهة إلى "السيد الأعظم لماسوني الشرق الأكبر" في فرنسا وكانت محافـل "الشرق الأكبر" الماسونية في فرنسا قد تحولت إلى شبكات سريه للثورة وأعمال العنف على يد الدوق "دورليان" السيد الأعظم لماسوني فرنسا الذي كـان قـد جـرى إدخالـه إلى المنظمـة النورانيـة اليهودية في المانيا على يد ميرابو، ولقد أصيب ذلك الفارس وهو في طريقه.

ووقعت الوثائق التي كـان يحملهـا بحـوزة رجـال الشرطـة الـذين سـلموها بـدورهم إلى السلطات المحلية في "بافاريـا".. وهكـذا نـرى في دراسـتنا للأحـداث الإرتبـاط بـين روتشـيلد واليهود النـورانيين في فرانكفـورت، والنـورانيين المتسـللين داخـل الماسـونية الفرنسـية الحـرة والذين أسسوا محافلهم الخاصة المعروفة بمحافل الشرق الأكبر.

وبتأمل هذه القصة يمكن لنا أن نستخلص أن اليهود قد خططوا ودبروا وأرادوا إبقاء البروتوكولات في الخفاء طي الكتمان، ولكن إرادة الله هي الأقوى، وهي الأكمل، والأحكم، ولم يعد ثمة شك في أن اليهود هم السبب في القلاقل، والاضطربات، والثورات، والأزمات، والحروب التي حدثت في العالم حتى اليوم.

وبدءاً من ثورة "كروميل" مروراً بالثورة الفرنسية، والثورة الروسية، والثورة الأمريكية، والحرب العالمية الأولى حتى الحرب العالمية الثانية، وحرب الخليج إبتداء من الحرب العراقية الايرانية حتي أحداث سبتمبر عام 2001 وهناك العديد من الأدله والحقائق على صحة هذا، ولكن لا يمكن بطبيعة الحال أن نعرض بالدراسة في هذا الكتاب كل هذه القلاقل والثورات الآن ولكن على سبيل التوضيح **نجتزئ بتقديم ما يفيد تورط اليهود بالأساليب المخابراتية في تمويل وتخطيط الثورة البريطانية المعروفة بثورة كروميل**.

قرر الملك إدوارد الأول طرد اليهود من بريطانيا، والطرد الجماعي هو أكبر ما يثير حفيظة اليهود منذ فجر التاريخ، وقرر قادة اليهود وسادة المال في فرنسا، وهولندا، وألمانيا، وإنجلترا أن تكون أنجلترا بالذات هي الهدف الأول الذي يطبقون عليه ما اتفقوا عليه في بروتوكولاتهم لإثارة الفوضي الشاملة والهيجان، وشرعت الوسائط العملية لهم في بذر بذور الشقاق والمتاعب بين:

أ) **الملك والحكومة والبرلمان البريطاني.**

ب) **أرباب العمل وأصحاب المصانع والمتاجر، وبين العمال والموظفين، وبين الدولة والكنيسة.**

ج) **بين الأحزاب الدينية في الكنيسة، ومحاولة زرع أفكار دينية جديدة لتصارع الأفكار السائدة.**

إن القلاقل والفتن والحروب لا تُخلق في يوم وليلة، ولكنها تستمر أعواماً متتالية ولا تُخلق من عدم.

ولكن دراسة الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية، والعرقية لمعرفة إمكانية التصادم بين الأعراق والأجناس، وتوجية الأحداث يمكن أن

يكون له تأثير كبير وخطير في تحديد المسار نحو الأزمة، أو الكارثة، أو الثورة، أو حتى الحرب.

دس المتآمرين اليهود بخبث ومكر ومن خلال وسائل ووسائط الاتصال بالجماهير البريطانية نظريات ووجهات نظر متناقضة تُنادي بحلول مختلفة في أمور السياسة، والاقتصاد، والدين لشق صف الشعب الإنجليزي، وتحويله إلى معسكرات متنابذة "هذا ما حدث بين حركات المقاومة الفلسطينية وفي مصر وفي العراق"فقد شطروا الشعب الإنجليزي شطرين بروتستانتي، وكاثوليكي.. ثم انقسم المعسكر البروتستانتي إلى طائفتين: الملتزمين، والمتحررين المستقلين.

وتبدأ الأحداث بحدث من يستغله على نحو معين لغرض معين فلا تخلو حياة الشعوب من الأحداث، ولا يكف اليهود عن التربص بطرق التجسس ووقع الخلاف بين ملك إنجلترا شارل الأول وبين البرلمان الإنجليزي ذلك بعدما استطاع اليهود التسلل والعودة إلى إنجلترا عام 1600م، واتصل أحد زعماء اليهود في هولندا وهو مراب يدعي "مناسح بن إسرائيل" اتصل بالقائد الإنجليزي الثائر المشاكس المعارض "اوليفر كرومويل وذلك بعدما أصبح الجو العام في بريطانيا مهيأ للأحداث، وكان لدى هذا القائد الطموح "اولفر كرومويل" ما يؤهله للقيام بدور البطولة، وعرض عملاء مناسح بن إسرائيل على كرومويل مبالغ كبيرة من المال إذا هو استطاع تنفيذ مشروعهم الخفي الذي يرمي إلى الاطاحة بالعرش البريطاني .. والسؤال هو هل يمول مثل هذا العمل الكبير شخص واحد؟ والإجابة لا بل كان بجانبه كبار رجال المال المرابين اليهود في كل دول العالم.

وكان للزعيم البرتغالي اليهودي "فرنانديزكار فاجال" الذي تدعوه كتب التاريخ باليهودي العظيم دور المخطط الرئيسي للشئون العسكرية لعمليات كرومويل فأعاد تنظيم أنصار كرومويل المعروفين بـ "الرؤوس المستديرة".

وحولهم إلى جيش نموذجي، وعندما كانت المؤامرة في طريق التنفيذ كان يتم تهريب المئات من المخربين المدربين إلى إنجلترا للإنخراط في الشبكات الخفية التي كان يديرها اليهود، والشيء ذاته يجري الآن في معظم بلدان العالم، وكانت الشبكات اليهودية الخفية في إنجلترا آنذاك برئاسة يهودي اسمه "دي سوز"، ولقد

تمكن اليهودي العظيم فرنانديز كارفاجال بما يتمتع به من نفوذ من تعيين ديسوز سفيراً للبرتغال في إنجلترا وكان زعماء الإضطرابات اليهود يجتمعون ويخططون لمؤامراتهم وألاعيبهم في داره المتمتعة بالحماية الدبلوماسية.

وهنا يأتي السؤال الآخر هل هي مجرد صدفة أن يكون سفير البرتغال، وهي دولة مسيحية متعصبة لمسيحيتها يهودياً إبان التحضير لثورة كرومويل؟ ونلاحظ أن ثورة كرومويل هي التجربة الأولى لتطبيق محتوى البروتوكولات. ولسنا بحاجة إلى سرد تفاصيل ثورة كرومويل، يهمنا فقط في هذا الكتاب وهذا المبحث منه أن نجيب على سؤال واحد ومحدد وهو ماذا لو ثبت تورط اليهود في ثورة كرومويل، أم أن اليهود يُتهمون بالباطل في كل ثورة وكل كارثة وكل حرب .. ولماذا يكون اليهود وحدهم هم السبب في ثورة كرومويل؟

ولماذا لا يقال مثلاً أن المسيحيين هم السبب، أو المسلمين، أو الهندوس، أو أي دين، أو مله، أو جنس آخر هم السبب؟ وهذه الأسئلة يجب أن تطرح نفسها حتى نكون منصفين، وحتى لا يتهمنا أحداً بالعنصرية، أو أننا من هواه فكرة المؤامرة المسبقة.

والإجابة عليها والدليل على أن اليهود هم الأيادي الخفية لكل القلاقل في العالم على مر العصور بمساعدة أفراد آخرين من غير اليهود، ويقومون بتجنيدهم لمصالحهم هي، في وثائق معبد يهودي بأمستردام في هولندا اسمه "كنيسمولجيم" تم العثور على رسالة من كرومويل مؤرخه بتاريخ في 6حزيران 1647 إلى ابن ايزربرات، ورد الأخير عليه.

وفيما يلي نص رسالة كرومويل وسوف أدافع عن قبول اليهود في إنجلترا مقابل المعونة المالية ولكن ذلك مستحيل طالما الملك شارل لا يزال حياً لا يمكن إعدام شارل دون محاكمة ولا نمتلك في الوقت الحاضر سبباً وجيهاً للمحاكمة يكفي لاستصدار حكم بإعدامه ولذلك فنحن ننصح باغتياله ولكننا لن نتدخل في الترتيبات لتدبير قاتل غير أننا سوف نساعده في حالة هربه ....

ورد على رسالة كرومويل إلى مصدر تمويله يهودي بهولندا كتب الحاخام برات الرسالة التالية متضمنة توجيهات اليهود لكرومويل.

والرسالة مؤرخة بتاريخ 12 تموز 1647 وهي تقول "سوف نقدم المعونه المالية حالما تتم إزالة شارل ويقبل اليهود في إنجلترا ولكن الاغتيال خطر جداً ينبغي إعطاء شارل فرصة للهرب وعندئذ يكون القبض عليه ثانية سبباً وجيهاً للمحاكمة والإعدام وسوف تكون المعونة وافرة ولكن لا فائدة من مناقشة شروطها قبل البدء بالمحاكمة".

وفي بداية الرد بدأ "برات" بالوعد بالمعونة المالية، ثم وضع شروطها ورفض أن يبعث أو يدبر أمر شخصي يهودي أو غير يهودي ليقوم باغتيال الملك شارل بالرغم من تعهد كروموبل بتسهيل مهمته وتسهيل هروبه وأعطي توجيهاته لكروموبل بالحل البديل وهو تسهيل هروب الملك شارل ليكون الهروب ذريعه لمحاكمته لأن الهرب يُشين الملوك ويوحي إلى الشعب أن لدى الملك الهارب ما يُدينه ويشينه، وقد جاء في مسرحية هاملت قول الملك **"الملوك لا يختبئون يا بولونيوس"** إذاً فإن هروب الملك يُدينه ويجعل لدى الشعب قابلية الحكم بإعدامه بعد محاكمة صورية، وتظل يد اليهود نظيفة تماماً من دم الملك شارل .. إنهم قد دفعوا المال المطلوب فقط، وفي النهاية يُجزل العطاء والدفع بعد التنفيذ.

إن هذه الخطابات حصل عليها اللورد الفريد وغلاس رئيس تحرير مجلة "بلين انكلش" التي كانت تصدرها شركة النشر الشمالية في بريطانيا، وفي أحد مقالته في عدد 3 ايلول 1921 يشرح اللورد وغلاس كيف وصل حوزة صديقة السيد "د/ فال فالكرت" من امستردام في هولندا .. مجلد مفقود من سجلات كنيس مولجيم، وكان المجلد فُقد خلال الحروب النابوليونية وبها هذه الخطابات.

ليس من شأننا في هذا الجزء أن نتتبع تفاصيل ثورة كروموبل ولا ثورة كالفن في إنجلترا، ولكننا نبحث فحسب عن دليل مادي يفيد تورط اليهود وصحة نسبة البروتوكولات اليهم وإنها مخطط يهودي قابل للتنفيذ مع مصدر الفكر الذي أخذت عنه البروتوكولات ألا هو اللتمود منهج فكر المؤامرة.

التلمـــــود

1) فاتحة القراءة في "التلمود" لكل إسرائيلي نصيب في العالم الآتي:

كما قيل "وقومك كلهم صالحون و سيرثون الأرض إلى الأبد لأنهـم فـرع غـرس صـنع يـدي للإفتخار" {اش 6: 21}

2) خاتمة القراءة في التلمـود "اللــه أراد تزكيـة شـعبه إسرائيـل فـأكثر لهـم مـن الوصـايا والنواميس"..

نرى هنا الفكرة الراسخة للفكر اليهودي وهو تزكيتهم عن باقي الأجناس والمِلـل أي يُبنـي على العنصرية التي يعلنون للعالم أجمع بأنهم ضددها "فالتلمود" هو المصدر الثاني لمـنهجهم في المؤامرة على العالم.

لم يُطبع التلمود حتى هذا اليوم باللغة العربية .. (هناك ترجمات غير دقيقة).

ومعنـي التلمـود "الدراسـة" أو "التعلـيم"، وقـد اسُـتخدمت الكلمـة في العصـور القديمـة للدلاله على مناظرات "الأمورابيم" أما الآن فتعني "المشنأ".

والمعروف عموماً هو أن التلمود عبارة عن مجموعه شرائـع النـاموس اليهـودي، وبخاصـة عند اليهود التقليديين، أو الأرثوذكس أي القومي الرأي، فالتلمود هو المرجع الذي يرجع اليـه في كل ما يتعلق بناموسهم، فمن أراد ان يتبين رأي الناموسي اليهودي بخصـوص حالـة معينـة أو نقطة معينة أو قضية عليه أن يرجع إلى مختلف الكتب، ولكن مسموح له أن يصدر حكماً حاسماً في الموضوع استناداً إلى التلمود وحده ومن جهه أخـري لا يكـون أي قـرار صـحيحاً اذا جاء مخالفاً لشيء في التلمود.

والتلمود أهميتُه عند اليهود والمسيحيين على السواء للأسباب الآتية:

1- بسبب اللغة فقد أُستخدمت اللغة العبرية في كتابة أجزاء كثيرة من التلمود وبخاصة في الهاجداه، واستخدمت اللغة الأرامية الفلسطينية في التلمود الفلسطيني والأراميـة الشرقية في التلمود البابلي، كما يحتوي التلمود على كلمات من أصل بابلي وفارسي.

2- بسبب أهميته للفولكلور والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والطبية والتشريع وعلم الآثار وفهم أسفار التوراة.

والتلمود يحتوي على الكثير جداً من الأمور التي تساعد على فهم الأناجيل ومن هنا كانت أهميته للمسيحيين.

وينقسم التلمود إلى ستة أقسام أو أجزاء رئيسية تدل أسماؤهم على محتوياتها الأساسية وهي: "زراعيم"وتعني الزراعة - "موعد" وتعني الأعياد – "نشيم" وتعني مسائل الزواج والطلاق – "نزقيم" وتعني أمور تشريعية وقانونية – "قدشيم" وتعني ذبائح الهيكل – "طهروت" مسائل الطقوس التطهيرية.

وتنقسم الأقسام الستة حالياً إلى ثلاث وستون باباً، ويعتبر التلمود هو أساس فكرة المؤامرة على الجوييم أو بمعنى آخر هو التشريع الديني لفكرة المؤامرة على العالم من قِبل هؤلاء اليهود، وليس هناك مجالات للدخول في تفاصيل وتعاليم المتناقضات الموجودة في التلمود، وإنما أردنا فقط أن نُعطي نبذة عن مضمون هذا المنهج الخطير الذي يُطفي شرعية على جميع الأعمال التجسوسية القذرة على العالم.

الفصل الثاني

ميلاد المؤسسة المخابراتية
الإسرائيلية والدافع لها

الغموض المظلم

في مكان ليس بعيد عن الخط السريع الموازي لساحل البحر المتوسط على بعد أميال من تل أبيب تقبع سلسلة من البنايات الأسمنتية ذات اللون الأبيض المائل إلى الرمادي، وهي بنايات عادية تؤدي اليها طريق محاطة بأشجار الأوكالبتوس التي يعلوها الغبار وعندما تصل إلى تقاطع غليوت (شارع بتل أبيب) مروراً بمجموعات من الجنود ينتظرون حافلات تقلهم هناك انحرف يساراً لتجد نفسك في منتصف تلك السلسلة من البنايات مواجهاً تماماً لنصب تذكاري لأكثر من 400 إسرائيلي ماتوا أثناء قيامهم بعمليات استخبارية لصالح دولتهم وتجد أن هذا النصب واقف بكل وضوح وكأنه يقول ها أنا..

لقد تم بناء هذا النصب على شكل متاهة .. هي عبارة عن جدران حجرية متقاطعة مكتوب عليها أسماء الموتى، وتواريخ وفاتهم وأقسام هذا النصب الخمسة مرتبة ترتيباً زمنياً إبتداء بتشرين الثاني 1947 يوم أن أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية وإنتهاء بشباط 1989 ... أما القسم الذي يتعلق بالسنين الخمس عشرة الأخيرة فقد أتخذ له عنواناً "بدايات السلام" ومع ذلك فإنه يشتمل على ما يزيد على 1300 اسم عميل ويبدوا أن الحبل لا زال على الجُدران فهناك جُدران فارغة متجة نحو مسرح خارجي تنتظر أسماء أخرى في المستقبل.

إن مثل هذا النصب بتلك الأسماء قد يكون حلماً وصيداً ثميناً لشخص يستهدف معلومات عن جواسيس إسرائيل، ولكن هيهات فالسرعة قد ألقت بيدها الثقيلة حتى على الموتى هناك فقط الأسماء والتواريخ وليس ثمة إشارة إلى رتبة الميت أو الوحدة التي خدم بها أو مكان موته ..

لقد روي القليل من حكايات هؤلاء الجواسيس مع أن معظمها قد أُلقيت عليه ظلال الغموض فهناك القصة القديمة لـ "ياكون بوقاعي" الذي أُعدم في الأردن في عام 1949 بعد أن تنكر في صورة سجين عربي وإجتاز خط الهدنة وسط مئات من الأسرى العرب المحررين من سجون إسرائيل وهناك أيضاً ماكس بيبيت، وموشى مرزوق اللذان توفيا في السجون المصرية في منتصف الخمسينيات كمتهمين رئيسيين في شبكة التجسس

الإسرائيلية، والتي عُرفت بقضية لافون، وهناك إيلي كوهين الذي توغل في أعلى المناصب في سورية وسوف نتحدث تفصيلاً عن بعض الجواسيس والعمليات في فصل لاحق في هذا الكتاب..

إن العمل الإستخباري يزداد إنتشاراً .. والكاتب البريطاني "فيلب ناتيلي" قدر أنه في منتصف الثمانينات كان أكثر من مليون شخص على مستوى العالم قد انفقوا 17500 مليون جنيه إسترليني سنوياً بالتورط في ما أطلق عليه ثاني أقدم مهنة في العالم وهي التجسس.

إن بين دوائر الأمن ووكالات الإستخبارية العالمية يدور صراع مستمر قلما يشعر به الجمهور والمكلفون ففي النادر من الحالات باتت حرب التجسس للعيان إستراقاً، وظهر من نشاطاتها الخفية لمحات كالقبض على الجاسوس وطرد دبلوماسيين، وإعدام خونه والإفصاح عن فرار عملاء مستترين .. لقد سُمى التجسس لعبة الأمم لأنه في الكثير من جوانبه يشبه لعبة رياضية فهو يمارس حسب أصول محددة منها ما هو مكتوب كالإتفاقيات الدولية، ومنها ما هو مكتوب مثل تبادل الجواسيس والعملاء المقبوض عليهم .. في هذه اللعبة رابحون وخاسرون وكثيراً ما تكون الرهانات والمخاطرات مرتفعة، ولمعظم المشتركين فيها غايات متشابهه تنطوي على إختراق أجهزة استعلام الخصوم، وتستعمل فيها نفس وسائل من الإطلاع سراً على مضامين الرسائل، والرسائل الرمزية، والعملاء المزدوجين، والإغراء الجنسي، ودس العملاء أو زرعهم، وإغراء الموظفين، وتسريب المعلومات المضللة وإستراق المعلومات .. هذا فضلاً عن معدات الاتصال المتطورة، من جهة أخرى لهذه العمليات جانب مميت مما جعلها أكثر من مجرد لعبة، ذلك أن النتيجة بالنسبة للخاسرين كثيراً ما تأتي قاضية فقد إنفضح مثلاً أمر بعض الاغتيالات مثل تصفية "جيورجي" ماركوف في إحدى شوارع لندن المزدحمة بوخزة من رأس شمسية مغموسة بالسم، ويبقى البعض الآخر مجهولاً كلياً لأن السبب في وفاة الضحايا يبقى مجهولاً.

فعندما فاجأت المنية الـزعيم العـمالي المعـارض البريطـاني "هيوغايتسـكيل" في عـام 1963 صدق الناس أنه مات بمرض في الدم، ولكن قلة من البطانـة كانـت عـلى بينـة مـن الحقيقـة، وهي أن دوائر الإستخبارات البريطانية شككت في أنه قتل بفعل سم زعاف دو له عـن سـابق تصور وتصميم، وهذا ما حدث بعد ذلك بسنوات عديدة للرئيس الفلسطيني "ياسر عرفـات" عندما ظن الجميع أنه مات نتيجة مرض ما لكن الذين على درايا ببواطن الأمور يعلمـون أنـه قُتل بمادة تستخدمها بعض أجهزة المخابرات وخصوصاً الموساد لتصـفية عملائهـا عـن طريـق اللمس أثناء مصافحة أحد القيادات الفلسطينية له وهو يصعد الطائرة الهيليكـوبتر في رحلتـه الأخيرة للعلاج.

إن صراع الجاسوسية لا يعرف حدوداً إقليمية، ولا يظهر للعيان بل يدور في أغلب الحالات بعيداً عن أنظار حتى ممولیه.

الميلاد

بدأت المخابرات الإسرائيلية في شكلها المـنظم بتكـوين وحـدات الـدفاع اليهـودي داخـل نطاق تنظيم حزب بُوال صهيون (عمال صهيون) في أواخـر القـرن التاسـع عشر، ولقـد كـان هذا الحزب ثورياً إيجابياً داخل روسيا، وفي أجزاء أخرى مـن أوروبـا، وكانـت الـدوافع التـي تكونت في داخله أعطت الحماية للمواطنين اليهود أقصى حماية ممكنة من وجهة نظـرهم، وفيما بعد كـون الحـزب وحـدات للـدفاع في فلسـطين لـكي تُقـدم المـؤازرة اللازمـة لليهـود القادمين من أوروبا، وأيضاً اليهود المقيمين أصلاً في فلسطين، ولقد ازدادت عملية الإستيطان اليهودي في فلسطين على دفعة قوية في عام 1882 عندما قـدم "ادمونـدي روتشـيلد" وهـو أحد أفراد عائلة "روتشيلد" المعروفة في العالم، وإن كـان أقلهـم شـهرة .. قـدم ذلـك الرجـل قرضاً صغيراً قيمته 25 ألف فرنك لتمويل عملية حفر الآبار في مسـتعمرة يهوديـة لتشـجيع الإستيطان، وبعد ذلك أنفق أكثر من نصف مليون دولار في شراء الأرض وبناء المنازل، ولكـن مساعدته لم تقتصر على ذلك، فقد أمكن بطرق غير مباشرة ومن خلال نفوذه على أشـخاص أخرى من أثرياء العالم في ذلك الوقت بجمع ما يقرب من 8 ملايين جينه إسترليني وإنفاقهـا على مشروعات التنمية والتدريب، ومشروعـات الجهـود الذاتيـة، وفي عـام 1909 قامـت في

فلسطين منظمة دفاعية أطلقت على نفسها اسم "الهاشومر" أي "الحارث" وكما يوحي اسـمها فإنها قد شكلت النواة لجهاز المخابرات.

ولقد كان مؤسسوا ومدبروا هذه المنظمة عدداً من اليهـود ذو العقليـة الثوريـة .. لكـنهم من ناحية العقائدية كانوا يتراوحون بين أقصى اليمين والإشـتراكيين المعتـدلين الـذين أتـوا مـن أوروبا الشرقية، ولقد سيطر على مجالها الأول اليهود الروس من ذوي الميول الماركسية.

ولقد اكتسبت هذه المنظمة الطابع الثوري والميول نحو الإشتراكية المتطرفة في سعيها وراء حماية القرى اليهودية من هجوم العرب، وفي نشرها لأفكارها الخاصة بالإشتراكية الصهيونية.

ولقد انحلت هذه المنظمـة في عـام 1925 وذلـك بسـبب الإعتقـاد السـائد بـأن الحكومـة البريطانية بفضل وعد بلفور قد قدمت أفضل عرض ممكن لحصول اليهود على طريق قـومي على المدى البعيد وأيضاً بسبب نفاد صبر اليهـود الأكـبر سـناً مـن كـثرة الحـديث عـن النزعـه الثورية.

وبذلك فإنه في اوائل العشرينات أصـبح "حـاييم ويزمـان" ذلـك الرجـل الـذي كـان يتمتع ببعد نظر وعقلية متحضرة أصبح شخصية ذات نفوذ في فلسطين، وخاصـة فـيما يتعلق برسم السياسات الخاصة بقيام وطن قومي لليهود، وكان ويزمان قد ترك منزلـه في بنسك ليك ليدرس الكيمياء في إنجلترا وكان ذلك في عام 1903م، ومـن يومهـا أصـبح من المعجبين جداً بإنجلترا وسيطرت عليه تماماً فكرة إذا كـان لليهـود أن يحصـلوا عـلى عون من أي جهة فإن هذه الجهة سـتكون بريطانيـا وظـل عـلى اعتقـاده بـأن انجلـترا سوف تساعد اليهود في فلسـطين، ومـن ثـم فقـد مـال ويزمـان بكـل ثقلـه إلى جانـب الحلفاء في الحـرب العالميـة الأولى وزودهـم بمعادلـة كيميائيـة جديـدة للحصـول عـلى الأستيون، وهي المعادلة التي مكنتهم في عام 1916 من التغلب على النقص الخطـير في المواد المتفجرة، وفي اوائل العشرينيات أصبح ويزمان رئيساً للمنظمة الصـهيونية، ولقـد كان ويزمان صديقاً حميماً لوليم ستينفسون الكندي الذي أصبح أثناء الحـرب العالميـة الثانية المسئول عن المخابرات البريطانية في الولايات المتحدة وكان ويزمان يُقدم النصح

لصديقه ستيفنسون بخصوص العديد من القضايا والموضوعات وفي فترة ما بين الحـربين، كـان يخطره بكل التطورات العلمية في المانيـا خاصـة في المجـال العسـكري وفي ذلـك الوقـت كـان ستيفنسون المستشار الخاص لونستون تشرشل وسط إعصار سياسي .. واسـتمر ستيفنسـون في هذا العمل، ولقد كان يحصل عـلى قـدر هائـل مـن المعلومـات مـن العلـماء اليهـود، وهـذه العملية بالذات وإن كانت تبدوا بعيدة الصـلة تمامـاً عـن القضـية الفلسـطينية إلا أنهـا عـلى المـدى الطويـل قـد قـدمت للمخـابرات الإسرائيليـة مسـاعدات جمـة في الأيـام الاولى لدولـة إسرائيل.. فبفضل هؤلاء العلماء اليهود الذين أصبحوا أصـدقاء ستيفنسـون كـانوا يلقـون كـل تشجيع لكي يستخدموا مواهبهم لخدمة مخابرات الحلفاء، وبعد أن عملوا لحسـاب بريطانيـا في الحرب العالمية الثانية قدموا المساعدة فيما بعد للخدمة السرية الاسرائيلية.

الوكالة اليهودية

تأسست الوكالة اليهودية عام 1929م، وكانت تعمل كنوع مـن الإدارة الموازيـة للحكومـة البريطانية، وكانت تُنسق الهجرة اليهودية، وتُنظم نشاطات المستعمرات بيـنما تقـوم دائرتهـا السياسية بمراقبة التطورات عند الجانب العربي وبالاتصال مـع القـادة العـرب داخـل وخـارج فلسطين.

أما (الهاغاناه)، فهي ميليشيات مرتبطة باتحاد الهستدروت بشكل فعـال وكانـت متطـورة لدرجة تصلح من خلالها أن تعمل كأساس يرتكز عليه البلد، هذا على الرغم من الظروف شبه السرية التي كانت تعمل في ظلها.

لقد استمرت الخلافات طويلاً حول إنشاء مجلس تشريعـي، ولكـن الموضـوع تـم تجاهلـه أخيراً، والفضل في ذلك يعود إلى تردد بريطانيا وقوة المعارضة الصهيونية وتفرق العرب.

ومع نهاية عام 1935 انتهت سنوات الخير وحلت سنوات العجاف وذلك مـع التـدهور في الأوضاع المالية وازدياد القلاقل السياسية شرق المتوسط .. لقـد سـاهم احـتلال موسـوليني لــ "ابيسينيا" في تدمير هيبـة بريطانيـا في المنطقـه وبـدأ الكثـير مـن العـرب ينتظـر مـن ايطاليـا الفاشية والمانيا النازية أن تحررهم من نيران الإستعمار والإنتداب البريطاني.

هذا وقد أدى فشل الاستثمارات في تجارة الحمضيات المربحة إلى طرد الكثير من العمال الرب اليهود[1] بينما توالت الإنذارات والمخاوف من سوريا ومصر اللاتين كثرت فيهما الإضطرابات، وبالتالي الوعود باصلاحات دستورية كان الشعب الفلسطيني نفسه يترقبها بكل رجاء.

وجاءت أحداث 17 نيسان، وقام ضباط مخابرات الهاغاناه بمراقبة التحركات حول مسجد يافا الرئيسي، ولكن تقاريرهم أفادت بأن كل شيء كان على ما يرام.

وفي قيادة الوكاله التي تشبه الحصن في منطقه ريحافيا في القدس كان الخبراء في الشئون العربية المرتبطين بدائرتها السياسية غير قلقين من الأوضاع في تلك المرحلة المبكرة.

ومال أحد موظفين في تقريره "إن الإنطباع السائد هنا في المكتب وخصوصاً في قسم الشئون العربية أنه برغم أن احتماليه ظهور الإضطربات في المستقبل القريب لا يمكن تجاهلها إلا أنه ليس هناك ثمة أساس نرتكز عليه في توقع أي إخلال بالسلام الذي نعيشه".

لقد كان ذلك التقييم فاشلاً .. فبعد ثلاثة أيام فقط من ذلك التصريح دفن ثلاث من القادة العرب خلافاتهم ووحدوا أحزابهم السياسية في الهيئة العربية العليا برئاسة مفتي القدس الحاج "أمين الحسيني" وكان أقوي زعماء المنطقة من العرب.

وكان أول قرار اتخذته هذه اللجنه هو الإستمرار في الإضراب الذي أُعلن بشكل فوري ومتزامن من قِبل اللجان الوطنية المتُشكلة حديثاً، وكانت عبارة عن هيئات محلية تعكس التضامن الوطني مع الهيئة العربية العليا وكانت موجودة في يافا وفي نابلس وأماكن أخري.

قد يكون لهذا الإضراب العربي جانباً استفاد منه اليهود كعادتهم فإن إضراب عمال التحميل والتنزيل في ميناء يافا أدى ذلك بمطالبة قادة اليهود وبحجة قوية بإنشاء

(1) عمال الرب اليهود: هي جمعية لاعمال الحمضيات تأسست سنة 1929م.

ميناء لهم في تل أبيب، والسماح للعمال اليهود بدخول مرافق اقتصادية كانت مقتصرة على العرب وغالباً ما كان يتم ذلك برفقة القوات البريطانية.

أما الفلاحون الفلسطينيون وهم غالبية السكان العرب فقد استمروا في عملية حصاد موسمهم الربيعي، ولكن اليهود بدأوا في مقاطعة الحاصلات الزراعية العربية واستغلوا الإضطرابات والإضراب لتغذية الروح الوطنية اليهودية.

وبدا الخلاف حول موضوعي الجهد اليهودي والإنتاج اليهودي وهما موضوعان رئيسيان في ذلك الخلاف الطويل .. المديريين للحركة العمالية من جهة وأصحاب المزارع من اليهود من جهه أخري.

بدأ ذلك الخلاف يسير بخطى واسعة نحو الزوال وبدأ العمال اليهود يحلون محل العمالة العربية الرخيصة وغير المنظمة التي تعمل باليومية.

ويروي لنا "موشي شرتوك" رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية ما ورده من ردود الفعل حول استبدال العمالة العربية بالعمالة اليهودية في مجال إنتاج الخمور من العنب في مستعمرتي "عتليت، وزيخرون ياكوف" القربية منها .. فقد كتب في مذكراته "لقد أجرى أحد المزارعين عملية حسابية بسيطة توصل من خلالها إلى أنه أصبح يدفع ثلاثة مليمات فقط بضع بنسات زيادة على تكلفة الطن الواحد من العنب أثر استخدامه لعمال يهود، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا المُزارع قد كسب صحتة فهو لن يضطر بعد الأن للوقوف تحت الشمس الحارقة طوال اليوم صارخاً بالنساء العربيات "يللا .. أي .. هيا".

لكن الإضطرابات لم تنتهي واستمر الإعتداء على اليهود بعد أحداث يافا مباشرة ولم ينتهي أيضاً الجهد الصهيوني المبذول ضد الفلسطينين فقد استمر في الأشهر الأولى سياسياً ودبلوماسياً وكان عبارة عن محاولات لإقناع البريطانيين بالضرب على يد المهاجمين والمضربين من العرب وحاولوا إقناع حكومة فلسطين بانهم يُواجهون مجرمين وقطاع طرق وليس ثواراً بمعنى الكلمة منتصريين لثورة سياسية ضد الإنتداب والمشروع الصهيوني.

ويروي "عزرا دانين" في مذكراته "مع مرور الأيام" أصبحت أتمتع بإحساس حاد وتحولت من مزارع لا يعرف إلا الزراعة ولم يفكر يوماً بالسياسية وهمومها إلى إنسان سخر نفسه للعمل الإستخباري فقد بدء عزرا دانين بداية متواضعه عشوائية عندما لجأ اليه قائد ميليشيات الهاغاناه في يافا لاستغلال علاقاته المتعددة مع العرب للحصول على معلومات في صيف 1936 وهذه البداية وضعته ضمن إطار أسطوري في سجلات تاريخ الصهيونية والعمل الإستخباري الإسرائيلي.

لقد وضع دانين أُسس جمع وتفسير واستخدام المعلومات الإستخبارية عن العرب في السنين الحرجة التي ناضلوا فيها من أجل فلسطين، واستمرت أفكاره التى لا تزال من السياسيات الإسرائيلية نحو الفلسطينيين تقتفي خطاها.

يقول جوش بالمون أحد المقربيين لـ "دانين" .. في السنين التي إمتدت ما بين 1936-1940م كنا نُشير إلى العدو مستخدمين التعريف كان عزرا يقول "إننا لا نواجه العرب إننا نواجه عربياً من نوع خاص لذا يجب أن نعرف من هو؟ شاب ما يجلس على تلة أو في قاع واد ويبدأ في اطلاق النار والذي نفعله نحن هو الصراخ والرعب والقفز في الخنادق ولا نتحدث الا عن "علي" أو "محمد" بدون أن نعرفه ونحدد شخصيته بشكل متكامل لكي نعرف كيف نرد عليه.

إن هذا هو الفكر الصهيوني في تحديد العدو ومعرفته، ولقد بدا لدينا نحن العرب في وقت وفترة زمنية متأخرة ثم عودنا مرة أخري للمتاهه لذا سطعت لي كتابة سلسلة كشف "مؤامرة العدو".

أول جهاز إستخباري إسرائيلي تابع للهاغاناه

مع تزايد الإضطرابات العربية إزدادت أهمية العمل الإستخباري حيث كانت أرواح ثمانين يهودياً قد أُزهقت عندما كانت المقاومة العربية في شدة قوتها، وقام دانين بكتابة مذكرة إقترح فيها إنشاء خدمة إستخبارية رسمية للهاغاناه وأوضح فيها أسباب الحاجة إلى مثل هذه الخدمة.. إن تلك الوثيقة المشهورة المكتوبة بخط اليد تتضمن كل الخطوط الأساسية لتنظيم وإداره العمل الإستخباري الحديث وقال فيها "لقد ظهر أن الهجمات ضدنا بدأت بشكل متزامن ولإننا لم نكن مستعدين فقد كانت خسائرنا

كبيرة في البداية ولأن الحكومة لا تعلم أو أنها تعلم ولا تريد أن تستحق المشاكل فإننـا يجـب أن نجد حلاً لمشكلتنا وذلك بإنشاء جهاز إستخبارات تـابع للهاغانـاه.. أن العمـل الإسـتخباري يجب أن يستمر طوال الوقت وحتى عندما تهدأ الأمور كما حدث في كـل الـبلاد وبهـذا لـدينا القدرة على توقع وربما منع الإضطرابات المستقبلية.

ويقترح دانين أن المخابرات يجب أن تضـع يـدها عـلى المكاتـب البريديـة وعـلى البـدالات الهاتفية وأن تحـتفظ بقـوائم تشـمل الأنديـة والمـنظمات العربيـة مـع معلومـات حـول كـل النشطاء السياسيين تشمل عناوينهم وأرقام سيارتهم وأسماء أصدقائهم وأقربـائهم ويجـب أن يتسلل إلى المجموعات العربية كل على حده لكي يتجسس أحدهما على الآخر "استخدم دانين كلمة بلاشيم balashim ومعناها المباحث".

ويجب أن نستغل المعلومات الإستخبارية لإثارة المشاكل الداخلية.

يجب على العملاء ألا يعرفون لمن يعملون ويجب أن يبقوا في حالة خوف وتحت التهديـد ويجب أن يستخدم الحبر السري.

ريفن تساسلاني ودانين الثنائي اللذان شكلا الخطوات الأولى

إذا كان عزرا دانين هو أحد الأعمدة التي بنى عليها تطور ونشوء أجهزة المخابرات والأمن الصهيوني فإن ريفن تساسلاني كان العمود الآخر، ولد تساسلاني في القدس والأب كان حاخاما روسياً بارزاً وفي عام 1936 وكان عمره 27 عاماً.. كان تساسلاني مرتبطاً بقوة بأبيه وكان قد غير مهنته أكثر من مرة ولكنه أبدع في مجال الشئون العربية وجمع المعلومات، تخرج من معهد إعداد المعلمين في القدس ومن كلية الدراسات الشرقية في الجامعه العبرية وتفوق في قسم اللغه العربية.

في شباط 1937 وأثناء الصمت والهدوء في الإضطرابات العربية أصبح منصب تساسلاني رسمياً مديراً "للإستخبارات وأمور الأمن".

كان تساسلاني شاباً مفعماً بالطاقة والحيوية ولكن كان من الصعوبة العمل معه فقد كان سريع الاهتياج وشديد العصبية وغير مرتب وفوضوي وشديد التكتم ودموي وكأنه قد خُلق للعمل الإستخباري.

شكل دانين وتساسلاني فريقاً قوياً وقد كانت شراكتهما تمثل نقطة الإلتقاء والتعاون التي كانت الوكالة اليهودية والهاغاناه في أمس الحاجة اليها.

وبذلك الثنائي بدء أول فكر علمي إستخباري .. فيعطينا تقرير أرسله دانين إلى تساسلاني في أوائل تشرين الأول فكرة واضحة عن اهتمامات وأساليب المخابرات الصهيونية في ذلك الوقت.

لقد اشتمل ذلك التقرير تفاصيل لقاءات داخلية للثوار وكان المخبر الجديد والذي كان يعمل بكل دقة قد زودهم بتفاصيل سرية عن مركز عربي لصناعه الألغام واستخدام مواد متفجرة مصنوعة من حامض النيتريك والغليسيرين لتدمير أعمدة الكهرباء وكان المشبوهون من منطقه قللية وكإجراء مضاد قامت كتيبة فرسان ملكية من طولكرم بإعداد كمين في منطقه دلهم عليها دانين.

وكانت كلاب العرب تعتبر مشكلة اذ أن نباحها كان ينذر بالغارات البريطانية فكان من المفيد جداً اقناع بريطانيا بأن تعلن عن إنتشار مرض الكلب، وبالتالي يتم التخلص من كل تلك الكلاب.

كان للكثير من العرب الذين يعملون مع البريطانيين علاقات مع الثوار وكان يجب طردهم، وأما القرويون الذين كانت بيوتهم تُنسف فقد كان جيرانهم يساعدونهم على إعادة بنائها، وكان يجب أن يمنعوا من ذلك.

لم يكن الجنود يفتشون النساء العربيات، فحدث مرة أن هربت بعضهن أربعة مسدسات بعد أن ركبت حافلة ناتانيا.

كان لكل من تساسلاني ودانين اتصالات وعلاقات مفيدة داخل الاستخبارات العسكرية البريطانية فكانت المعلومات التي تحصل عليها اليهود حول تحركات ومخابئ الثوار العرب تصل اتباعاً إلى السلطات وكان الشيء الدارج في تلك الفترة أن تدخل القوات البريطانية قرية ما فيقوم دانين بإحضار الجواسيس ووضعهم داخل عربية مدرعة ويطلب منهم ان يشيروا إلى مكان الثوار وكان بعض ممن يُلقى القبض عليهم يُشنق.

كان دانين يرغب دائماً في التأكد من أن الفلسطينيين يُلاقون أشد العذاب والعقاب، كانت الشرطة البريطانية عدوانية وكان رجالها يعتقدون أن الصهاينة سياخذونهم في جولة.. يقول رقيب كان يخدم في مخفر "بيت ليدي" كل المعلومات التي كانت اليهود يعطونا إياها خاطئة وتهدف فقط إلى قتل العرب "لدرجة أن دانين اشتكي ذات مرة في تشرين الثاني 1938 أن بعض العرب الذين كان يُزود الشرطة بأسمائهم كانوا يُعتقلون ثم يُطلق سراحهم.

وتحسنت العلاقات بشكل ملموس مع الجيش البريطاني الذي وضع على قمة سلم أولوياته القضاء على الثوار والثورة وكانت الوثائق التي تقع في يد البريطانيين تُسلم مجاناً لليهود مما أعطى دانين وخبراء الشئون العربية في الوكالة اليهودية تبصراً فريداً داخل البنية الاجتماعية وطريقة عمل الثوار الفلسطنيين.

لقد أحسن البريطانيون واليهود إستغلال الإنقسامات داخل المعسكر العربي فقد دعمت الوكاله اليهودية جبهة معارضة "المفتي" التي كانت عائلة النشاشيبي المقدسية الراقية تترأسها وتم إنشاء فرق السلام ودعمها الجيش بتوجيه من إستخبارات سلاح الجو الصهيوني مقابل تزويدهم بأماكن الثوار، وفي فترة مبكرة من عام 1939م، بدأت الثورة العربية تصاب بالوهن.

وفي آذار قتل قائدها "عبد الرحيم الحاج محمد" على يد الجيش في إحدى قرى السامرة بعد أن تلقى البريطانيون معلومات عن تحركاته من قِبل أحد قادة "فرق السلام" وهربت رموز الثورة إلى سوريا وأصبح الفلسطينيين منقسمين على أنفسهم.. أكثر "هذا ما يحدث الآن بفلسطين".

الفصل الثالث

منظمة شاي shai

* المبحث الأول: بداية شاي ... الإستخبارات الداخلية.
* المبحث الثاني: إنهيار شاي.
* تأسيس العمل المخابراتي.

المبحث الأول

بداية شاي .. الإستخبارات الداخلية

في أوائل عام 1940 أُعيد تنظيم النظام الإستخباري الموجود آنذاك وذلك بعد موجة من إعتقالات أعضاء الهاغاناه من قبل السلطات البريطانية التي قررت أن تضرب تلك المنظمة بيد من حديد.

كانت التقارير الواردة من حيفا قد أشارت في مرحلة مبكرة تصل إلى أن المباحث الجنائية قد أولت بشكل مفاجئ، اهتماماً كبيراً بالتنظيم الهيكلي للهاغاناه وبنشاطات الصيادين في مجال الهجرة غير المشروعة التي أخذت طابعها الجديد بعد اصدار الكتاب الأبيض.

أثر ذلك أسست القيادة الوطنية للهاغاناه دائرة مخابرات مضادة "ريغول نيغدي" كانت مهمتها الرئيسية الأمن الداخلي الذي يقوم بمراقبة اليهود الذين يتعاونون مع البريطانيين وكذلك مراقبة المنشقين اليمنيين من أعضاء حركة "أرغون".. كان المسئول العام عن هذه الأمور هو ليفي شاؤول.

كانت معظم جهود الهاغاناه الإستخبارية في عام 1940 و1941 مُنصبة على عملاء بريطانيا من اليهود وكانت التحقيقات تجري مع المجرمين ومع نساء العالم السفلي من اليهوديات اللاتي أقمن علاقات مع جنود أو موظفين بريطانيين ومع فئات أخرى ممن يُشتبه بوجود صلات وثيقة بينهم وبين سلطات الإنتداب.

وتم تأسيس قسم مختص بمراقبة الشيوعيين اليهود ووضع أكثر من 200 شخص تحت الرقابة بالرغم من أن أغلب التهم أو الشكوك تُكتشف في النهاية أنها بلا أساس.

كما قامت الهاغاناه ببذل الجهد والوقت على الجماعات الصهيونية المنشقة خصوصاً عندما أصبح واضحاً أن منظمة لارغون كانت تحاول جاهدة تحديد مواقع مخازن أسلحة الهاغاناه وأنها كانت تستخدم خدعاً مختلفة لإيقاع الشقاق في المنظمة الكبري "الهاغاناه".

وقد ألقت المخابرات المضادة بإشراف شالتيل على أعضاء عصابه شتيرن "ليهي" وأودعوهم السجون وأجبروهم أثناء التحقيقات والتعذيب على البوح بخططهم وبمواقع ترساناتهم.

وفي حزيران من عام 1940م، تقدم ميروف بإقتراح لقيادة الهاغاناه ولموشيه شيرتوك رئيس الدائرة السياسية طالب فيه بإنشاء جهاز إستخبارات على مستوى البلد اسمه "شيروت يديعوت" واختصاره "شاي" shai.

وتم تنفيذ الإقتراح في شهر أيلول من تلك السنة وأصبحت وحدة المخابرات المضادة واحدة من ثلاث دوائر تشكل "شاي".

وفي عام 1942م، حل يسرائيل تسافلودفسكي "أمير" وهذا اسمه الكودي وتم تعينه رئيساً عاماً لوكالة شاي التي توحدت كل دوائر الهاغاناه تحت لوائها وأتخذ من مكتب في تل أبيب مقراً لها تحت غطاء "لجنه إغاثة الجنود"[1].

كان أمير خبيراً في شئون تجارة السلاح ولم يكن يفقه شيئاً في أمور المخابرات عندما تسلم منصبه فقرأ بشغف كل كتاب وقع تحت يديه حول هذا الموضوع.

وفي شكلها الجديد تجاوزت وكالة شاي المراجع العسكرية التقليدية فكانت علاقتها مباشرة مع قيادة الهاغاناه ومع الدائرة السياسية.

كانت شاي تتألف بشكل عام من ثلاث دوائر

1) التخابرات المضادة "الداخلية" .... تتعامل مع اليهود.

2) الدائرة البريطانية "السياسية" .... اختصت بإختراق الجيش والشرطة والحكومة في فلسطين.

3) الدائرة العربية .... التي كان يشرف عليها دانين.

وقد احتفظت شاي بذلك الشكل التنظيمي إلى أن تم حلها في حزيران 1948 بعد أسابيع من حرب فلسطين.

(1) تاريخ الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية "بيتي موريس".

وأصبح دانين يعمل أكثر مع القسم العربي في الدائرة السياسية التي كان يرأسها "الياهوساسوند" وتولى "زئيف شاريف" وهو أحد موظفي الوكالة اليهودية الإشراف على القسم العربي في شاي وذلك كتأكيد من الجميع على أهمية دورها في خدمة الجناحين السياسي والعسكري للجالية اليهودية وأصبحت قُدرات شاريف الإدارية الجانب المكمل والمفيد لخبرات ومواهب دانين التي لاتضاهى.

فقرر دانين تقسيم فلسطين إلى مناطق يُشرف على كل منها أحد "المدققين" (عميل يهودي) ويرسل تقاريره حول الأوضاع العربية تباعاً وخصص دانين من موازنته الفقيرة مبلغ 6 جنيهات "وهو ما يعادل راتب شرطي" لتوظيف مساعد له، وقد وقع الإختيار على مراقب شاب من هاديرا اسمه شمشون ماشبتسن، وطاف الإثنان البلاد بالسيارة طولاً وعرضاً باحثين عن مجندين ملائمين وغالباً ما كانوا من مخاتيرا المستوطنات أو من المراقبين.

وكان تجار الأبقار والقصابين من المفضلين أيضاً بسبب اتصالاتهم وإحتكاكهم المستمر بالعرب في المناطق الريفية النائية وبسبب الخيط الرفيع الذي كان يفصل بين أنشطتهم التجارية وبين التهريب وكان الكثير من هؤلاء قد عمل مع دانين منذ أحداث 1936 وقال ماشبتسن فيما بعد "كنا نبحث عن أي شخص له علاقات مع العرب".

وفي عام 1940 طلب دانين من ماشبتسن أن ينظم دورة في حيفا يكون منتسبوها من مدققي "العملاء اليهود" منظمة شاي ومن مخاتير المستوطنات الريفية ويكون موضوعها أسس التعامل مع المشاكل المحلية مع الجيران العرب.

وقد صرح ماشبتسن بذلك "قمنا بتدريس اللغة والعادات العربية لم يكن هدفنا محاوله تعليمهم العمل الاستخباري وإنما وسائل الحصول على المعلومات الكافية لتمكينهم من حراسة حقولهم ولمعرفة الأشخاص المتسبين في المشاكل، فالتركيز كان على المشاكل المحلية والهدف الذي وضعناه نصب أعيُننا كان أمن المستوطنات".

وكان التجول في البلاد هو خير وسيلة للحصول على ذلك النمط من المعلومات الإستخبارية الأساسية والمعتمدة على التقاط القيل والقال، وهو النوع المفضل لمنظمة شاي.

بعد أن قام يسرائيل "أمير" بإعادة تنظيم شاي نهائياً بعد عدة أشهر نقل شيموني[1] وكان عمره 26 سنة آنذاك مكاتبه إلى تل أبيب "16 شارع ميلخيت" في البداية، ثم إلى مقر قيادة شاي الذي كانت عبارة عن شقة من أربع غرف في الطابق الثاني من "190شارع بن يهوذا".

وهناك وُجدت حقائب الأرشيف المنتفخة ملاذا مستقلاً وتحت غطاء العمل كموظف لشركة "ام اوفيد" وهي دار نشر الخاصة بالهستدروت.. وجد ذلك الشاب المولع بالأعمال الكتابية مآربه.. ويتذكر شموني فيما بعد "لقد أخبروني أن العمل بإنشاء دائرة للشئون العربية والتي كانت تعني في ذلك الوقت شئون العرب الفلسطينيين بالذات.

وبدأ شيموني يحصل على كل التقارير التي يكتبها الأشخاص الميدانيون وبدأ في فترة قصيرة يزعجهم بمقاييسه الصلبة وطلباته المتكررة لمعلومات خاصة يزيد بها الملفات انتفاخاً.. كان شيموني مديراً صلباً ولم يكن يلتقى النصح من أحد بإستثناء دانين.

اما الملفات فقد كانت في غاية الفوضى لذا أخذها شيموني معه إلى بيته في ضاحيته "بات يام" وقام بتصنيفها وترتيبها وعندما أعادها سالمة إلى مقرها في منظمة شاي كان بذلك قد أعد بدايه نظام مرجعي سهل وفعال، أما دانين الذي كان يكره العمل الكتابي وكان يرفض الإحتفاظ بالسجلات فقد أصبح متحمساً لذلك بشكل خاص.

(1) شيموني: هو أحد الذين جُندوا لارسال كل ما يقع تحت يديه الي المنظمة من المستوطنات الريفية.

التحليل و دراسة الصحافه العربية

بطرق علمية للمرة الأولى

في عام 1943 اقترح "الياهو ساسون" أن يبدأ بدراسة الصحافة العربية بشكل منظم كونها أحد المصارد المهمة للحصول على معلومات تتعلق بالفلسطينيين وشعر شيموني بالحرج لأنه لم يفكر بمثل هذا الأمر من قبل.

فبدأت نشرات شاي تحت إشراف شيموني وبإسم رمزي هو "يديوت تينه" أي "سلة الفواكة" بدأت تحقق قدراً عالياً من الإحتراف وبنسبة عالية من التوزيع.

وبعد أن نفذ شيموني خطواته الرائدة في مجال التصنيف تبعه رئيسا دائرتين آخريين من دوائر المنظمة أحدهما "يوسف كراكوفسكي" (كاريب) اسمه الكودي وهو معلم مدرسة أصبح أول رئيس للدائرة اليهودية الداخلية.

وقد بدأ بعمل أرشيف منظم لدائرته.. وفي صيف 1944 تولي تلك الدائرة شاب قصير القامة اسمه ايسرهالبرين أو (هاريل) اسمه الكودي وأصبحت في عهده مصدر فخار لمنظمة شاي بأسرها حيث أعتمد نظام البطاقات في الفهرسة واستخدام الشبر الملون[1] لتسهيل عمليه استخدام المعلومات أما الآخر فهو الدكتور "دفيد اريان" وهو رجل شرطة برليني سابق ثم موظف بنك وكان مختصاً بالشيوعية.

تحليل الشخصية العربية

كتاب "وثائق وشخصيات"

بداية الفكر المخابراتي المنظم

يعتبر كتاب وثائق وشخصيات أول محاولة جدية من قبل اليهود لتدوين وتحليل دوافع وشخصيات أعدائهم من العرب، ويظل مصدراً تاريخياً ذا قيمة فريدة، ولقد بحث دانين في مقدمة الكتاب الذي كتبه شخصياً في الأصل الاجتماعي للثورة الفلسطينية.

(1) الشبر الملون: هي عملية إشباع الأوراق بلون ما، وعند اقترابها بالنار تضفي لون وكلمات أخرى.

وتوصل إلى أهمية دور الروابط الريفية التي كانت تربط بين سكان القرى وبعض المجموعات والأفراد وأعتبرها عاملاً رئيسياً في قيام الثورة وأشار أيضاً أن كلا من الصهاينة والبريطانيين كانوا يميلون إلى المبالغة في كميات الأسلحة والذخائر التي كانت بين أيدي الثوار.

كتب دانين "لا يمكن إهمال حقيقة أن مستوى التدريب الفني والعسكري عند العرب كان غير مرتفع، وكانت خبرتهم بالأسلحة الحديثة صفر تقريباً، كانوا يستخدمون التدريب الطبيعي للقرية العربية بشكل رئيسي وأقصد به ذلك القتال من أجل الحياة الذي هو السمة اليومية للقرية، ويشمل العداءات الدموية والقتال بالقبضات والكمائن واللصوصية والثار وإحراق المباني وتدمير البساتين وإتلاف المحاصيل والطعن في الظهر والصيد والرماية.

ولم ينتشر كتاب وثائق وشخصيات تجارياً وإنما طُبع منه عدد قليل من النسخ تم توزيعها على قادة الهاغاناه وبعض القادة السياسيين ولم يكن له ذكر داخل منظمة شاي أو في المخابرات ولكن هناك دروس عملية مهمة واضحة إذ أن دراسة الصراع المعاصر مع الفلسطينيين تُفيد في صراعات مستقبلية معهم.

وضع دانين في هذا الكتاب بداية الفكر والتخطيط المنظم لمعرفة الشخصية العربية، فقال دانين "نحن نعتقد أن من أهم الأسلحة التي نستخدمها ضد العرب دراسة عقليتهم وتوقع ردود أفعالهم نحو مواقف مختلفة يجب أن نكون ملمين بأساليب تجمعهم وهجومهم على الصمود أمام إغراءات الرشوة وجديتهم وميلهم للجدية أو ميلهم ليتخلون عن رفيق ليخون قائده واتجاهاته نحو اعدائه وجيرانه، وما هي قواعد القتال العادل في نظره وما السبيل لهز أعصابه وما هو أنجح أسلوب لإيذائه، ومتى يكون الهجوم المادي عليه فعالاً وتحت أي ظروف يكون الهجوم على ممتلكاته في أفضل حالاته؟

وعقدت شاي أول دورة استخبارية لرجال الهاغاناه في "شيفايا" بالقرب من "زيخرون ياكوف" 1944م وعقدت وحدة أكبر منها لثلاثين من الضباط الواعدين وذلك في

"هاديرا" عام 1946م وقد حاضر شيموني حول الفلسطينيين بينما دَرَسَهّمْ شاؤول بن تشيم ما هو ضروري لهم من اللغة العربية.

علاقة شاي والجيش البريطاني

بعد صدور الكتاب الأبيض عام 1939 الذي كان بمثابة ضربة قاسية إلى الشعب اليهودي حاولت القيادة الصهيونية أن يجدوا الفرصة السانحة لتبيين مدى حقد العرب على بريطانيا وتكون بذلك قد أختلف المبرر المناسب لمطالبها المتزايدة وإعطاء اليهود قدرة التحرك على نطاق واسع.

وكان ريفن تساسلاني هو الشخص المناسب للعمل كموظف ارتباط مع البريطانيين وذلك أنه كان قد صور علاقات وثيقة مع الجيش البريطاني والموظفين الأمنيين منذ أن بدأت علاقته مع استخبارات سلاح الجو البريطاني عام 1933م.

كانت الاتصالات تتم في فلسطين وكذلك في لندن خصوصاً بعد إنشاء هيئة العمليات الخاصة بأمر من ونستون تشريل عام 1940 وكما قال تساسلاني "كان أسهل شيء التعامل مع الهيئات الاستخبارية العسكرية المنشأة لأهداف خاصة وأغلبها قد أنشئ أثناء الحرب ضد هتلر ونطالب أثناء اتصالاتنا معهم وبوضع خاص تحدده الوكالة اليهودية.

ولقد كانت الإستعدادات المتحالفة لغزو سوريا ولبنان في ربيع 1941 إشارة على بداية تعاون بريطاني صهيوني جاد في مجال المخابرات والعمليات الخاصة.

على سبيل المثال: لقد أدى تولي نظام "فاشي" لزمام الأمور في فرنسا في الصيف الذي بعده إلى حرمان البريطانيين من مصادر المخابرات الفرنسية الداخلية لذا حصل التقريب من الجالية اليهودية هناك لتزودهم بالمخبرين وللقيام بعمليات تخريبية وأخرى استطلاعيه.

ولكن العمليه المشتركة الأولى إنتهت بكارثة وذلك أنه في شهر آيار انطلق 23 عضواً من الهاغاناه بقيادة تسفيسيبكتور ويرافقهم مراقب من هيئة العمليات الخاصة البريطانية وهو الرائد انتوني بالمر في زورق بخاري في مهمة تخريبية هدفها تدمير مصافي

النفط في ميناء طرابلس شمال لبنان وبذلك يكونون قد حرموا طائرات الألمان من التزود بالوقود حيث أنها بدأت بالعمل من داخل سوريا وفي لحظة ما أنقطع الاتصال مع الزورق "سي ليون" وبقى مصير هؤلاء الرجال مجهولاً حتي هذه اللحظة.

وكان هناك عمليات أخرى شملت تهريب أعضاء حكومة فرنسا الحرة "حكومة ديجول في المنفي" إلى فلسطين وعمليات استطلاع متقدمة قبل الهجوم الفعلي الذي حصل في 8 حزيران 1941 وفي آخر تلك العمليات وكانت في السابع من حزيران 1941 فقد ضابط هاغاناه شاب يسمي "موشي دايان" عينه اليسري عندما أطلق جنود سنغاليون عليه الرصاص الذي هشم نظارته قبل أن يفقده عينه وكان ذلك في منطقة أسكندروم جنوب لبنان.

وقد شجع التعاون المتزايد مع هيئة العمليات الخاصة البريطانية الهاغاناه على اتخاذ قرار بإنشاء جيش متأهب جديد عرف باسم "بالماه" أي المجموعه الضاربة "بلوغوت موهاتس".

والذي يتكون من وحدة صغيرة عرفت باسم "الفصيل السوري" بقيادة "يسرائيل بن يهودا" واسمه الحركي "عبده" وجوش بالمون الذي يساهم بخبرته الاستخباراتية في تطوير شاي.

كان هذا الفصيل يشكو من قلة الرجال وضعف الاتصال مع فلسطين ومع ذلك فإن الخبرة الجديدة المكتسبة من خلال العمل البالغ السرية في المنطقة كانت خبرة لا تقدر بثمن بالنسبة للصهاينة.

في عام 1943 إنتهي شهر العسل بين بريطانية والصهاينة ومما زاد الأمر سوءً قيام عناصر البالماه[1] بسرقة أسلحة الجيش البريطاني ولم يبقى هناك مبرر للإبقاء على الفصيل السوري بالرغم من أن مجموعه الرجال الصغيرة تلك أثبتت قله فائدتها عندما حاولت قوات الباماه في آيار إنشاء فصيل عربي يخدم هذه المرة المصالح الصهيونية فقط وليس البريطانية.

(1) البالماه: عناصر يهودية صهيونية كانت تمول وتساعد الجيش البريطاني.

المبحث الثاني

انهيار " شاي " 1947 ــ 1948م

شاي وحدة المخابرات والاستخبارات للهاغاناه دخلت عام 1947 ضعيفة وغير مستعدة لأي حرب حيث أن وحداتها وأقسامها الثلاثة السياسية العربية والبريطانية واليهودية الداخلية كان لها تركيز سياسي أكثر منه عسكري لذا قال "بن جوريون" في نيسان بأن شاي ينقصها التوجيه والتفكير المنظم ورغم كل المحاولات التي بذلها "يعقوب شايمون" وغيره لتحسين وإعادة التنظيم والإحتراف رغم ذلك بقى جهاز شاي للاستخبارات غير محترف في مجال المعلومات والاستخبارات.

وفي عام 1948 وبالتحديد في حزيران بعد مضي ثلاثة أسابيع فقط على حرب فلسطين وهزيمة العرب وضحت أمام بن جوريون الحاجة إلى إصلاح مؤسسة الاستخبارات في الدولة حديثة العهد وإتضحت لديه ضرورة وضع حد فاصل بين المسائل السياسية والمسائل العسكرية.

وفي نفس الشهر إجتمع "بن جوريون" وايسر بييري الذي خلف شالتيل في منصبه كقائد عام لوكاله شاي وإقترح بييري على بن جوريون أن تفصل وكالة الاستخبارات العسكريه عن وكالة الأمن الداخلي أو ما يسمي بالجاسوسية المضادة ولم يعتمد بن جوريون الإقتراح إلا في نهاية ذلك الشهر وجرى حل مؤسسة الشاي وآلت مهامها إلى هيئات أخرى جديدة.

واشتملت وكالة الاستخبارات الجديدة بحلول اوائل عام 1949 على إحدى عشرة دائرة وحافظت على هيكلها التنظيمي لمدة زادت عن عشر سنين لم يحدث خلالها سوي تغيرات ثانوية وتلك الدوائر كالآتي:

1) دائرة استخبارات القتال: وهي ملحقة بوحدات الخطوط الأمامية وتقوم بجمع وتفسير الاستخبارية المتعلقة بالجيوش العربية وتقدم بيانات طوبوغرافية "أي المسح السطحي لموقع أو إقليم وتشمل الهضاب والأودية والبحيرات والأنهار والطرق والجسور .... إلخ .. وتحلل الصور المأخوذة من الجو.

2) الاستخبارات الخاصة بالاتصالات اللاسلكية وترصد الإشارات اللاسلكية التي يستخدمها العدو.

3) استخبارات الميدان.

4) الرقابه العسكرية .

5) مركز البحوث: ويخدم الاستخبارات العسكرية وهيئات المعلومات الاستخبارية الأخرى.

6) فرع الخرائط: وتقوم بإعداد الخرائط وإجراء مسح طوبوغرافي للدول المعادية.

7) الفرع الثقافي: وهي عبارة عن فرع للبحوث ومكتبة مركزية لوكالات الاستخبارات.

8) الفرع الفني: وهو يزود وكالات الاستخبارات بالمعدات والمختبرات المركزية الرئيسية.

9) فرع تنسيق أنشطة الملحقين العسكريين: ويختص بمتابعة الملحقين في السفارة الأجنبية في إسرائيل إلى الملحقين الإسرائليين في سفارات إسرائيل في الدول الأجنبية.

10) فرع يختص بجمع المعلومات من المصارد العلنية المفتوحة ومن الملفات المفهرسة حسب نظام البطاقات والتي تحتوي على مواضيع شتى متعلقة بالدول العربية.

11) فرع العمليات الخاصة: وكان اسمه سابقا "وحدة شاحار" التابعه لحزب الماخ "والماخ بالعبرية تعني المجموعه الضاربة" أو mist aravim.

وفي صيف عام 1948 ضم ايسر بييري إلى وكالة الاستخبارات القلة القليلة المتبقية من الجواسيس العرب الذين عملوا مع شاي واستمر تشغيلهم في فلسطين ضمن المناطق الواقعه تحت سيطرة العرب أو تابع ارسالهم في مهمات قصيرة الأجل إلى داخل الدول العربية.

زادت وكالة الاستخبارات من قدرتها على التصنت الإلكتروني بشكل كبير خلال النصف الثاني من عام 1948 وتركيز الإهتمام على الجيوش العربية التي

أصبحت آنذاك هدفاً رئيسياً بعد أن تركز في السابق على السلطات الإنتداب البريطانية.

وتمكنت وكالة الاستخبارات في شهر تموز من التقاط سلسلة رسائل لاسلكية أعطت إسرائيل صورة دقيقة عن معنويات الأردنيين في أعقاب هزيمة الجيش العربي في منطقتي اللد والرملة.

وقد كان رئيس بلدية رام الله "حنا خلف" أرسل في خطاب إلى الملك عبد الله وجاء فيه أن مدينته تغص بسبعين ألفاً من اللاجئيين قَدِموا من المدينتين العربيتين في السهل وقال خلف إن الوضع لا يُطاق ولا يُحتمل وطلب من الملك عبد الله إصدار أمر لإجبارهم على النزوح من المدينة.

ورفض الملك عبد الله ذلك الطلب حاثاً "حنا خلف" على التحلي بالصبر، والتقطت رسائل أخرى أردنية في تلك الفترة دلت على حالة الجيش العربي السيئة ووضعه الحرج إذ كان بحاجة ماسة إلى المزيد من السلاح والذخيرة والوقود والطعام والتعزيزات.

كما شكلت عمليات التحقيق مع أفراد من أسرى الحرب مصدر معلومات آخر لوكالة الاستخبارات خلال 1948 وقد أدلى أسير عمل في أحد فيالق الجيش العربي بمعلومات عن نتائج قصف عمان في منتصف شهر تموز وعن حالة اللاجئين الفلسطينيين القاطنين في المخيمات في إربد[1].

وبذلت الاستخبارات الإسرائيلية أيضاً جُهوداً كبيرة لاستمالة أعضاء من أسرى الحرب وتجنيدهم كجواسيس يعملون لصالحها أو كمروجين للقضية الصهيونية، وتوصل شيموني إلى إتفاق مع الجيش الإسرائيلي عن طريق تساسلاني بغية تحقيق هذا الهدف حيث أقتضى الإتفاق بأن يطلق الجيش سراح عدد من السجناء الفلسطنيين للإيقاع بهم وتجنيدهم.

(1) مخيم إربد: هو واحد من أربع مخيمات أنشأ في شمال الأردن عام 1951 في مدينة إربد.

القبض على أيسر بييري

في الأشـهر الأخـيرة لعـام 1948 وفي بدايـة عـام 1949 ظهـر أنـه بيـنما تقـوم الخدمـة الاستخبارية بدورها بالشكل المطلوب في مجـال قـدرتها العسـكرية الاسـتخبارية فإنـه لايـزال ينقصـها عـنصر الوضـوح في الفصـل بـين الطاقـات والوظـائف بـين الاسـتخبارات العسـكرية والسياسية وبين متطلبات الاستخبارات الداخلية والخارجية.

إن طرد أيسر بييري المعروف لدى الجميع باسم "الكبير" بسبب طول قامته يُبـين الحاجـة الماسة للمزيد من إعادة التنظيم.

وافق بن جوريون على تنحية بييري من منصبه كقائد لجهـاز الخدمـة الاسـتخبارية ولكـن بن جوريون أوصى بأن تكون التهمة الموجهة هي القتل غـير العمـد في ظـروف غـير واضـحة، وذلك بعد أن قام بييري بقتل ثري عربي يدعي "علي قاسم" من قرية سيدنا علي وهـي قريـة على الساحل الشمالي من تل أبيب ولقد وجدت الجثة في دواب قـرب جبـل الكرمـل[1] وكـان قاسم تاجراً للأراضي معروفاً وكان لمدة طويلة يعمـل لقـوات الـدفاع الإسرائيليـة وبعـد عمـل التحقيقات من قبل الدفاع الإسرائيلي دلت هـذه التحريـات عـلى تـورط بيـيري ولقـد اعـترف بييري بأنه أمر بإعدام قاسم على أسـاس أن قاسـم قـد تحـول في مهمتـه وأنـه كـان يتجسـس لصالح العرب ولكن وزير العدل الإسرائيلي بنحاس زوزن قـرر بـأن بيـيري قـد أرتكـب جريمـة قتل.

بدأت محاكمة بييري في تشرين الأول 1949 وحكم عليه بالسحن الرمزي لمدة يـوم واحـد فقط من الصباح حتى المساء ولقد توفي بييري عام 1958 وحصل على عفو عام.

ترتيب العمل المخابراتي

في 1949/2/8 قابل بـن جوريـون القائـد العـام لجـيش الـدفاع الاسرائـيلي يعقـوب دوري وبييري وهير تزوغ وقررا بأن تكون لإسرائيل أربع خدمات استخبارية واضحة ومحدودة:

1. يكون ضمن قوات الشرطة ويتعامل هذا الجهاز مع المجرمين.

(1) جبل الكرمل: جبل بفلسطين غرب تل أبيب.

2. يكون خاصاً بالجانب العسكري الاستخباري وذلك للعمل ضد الأعداء الأجانب.
3. يكون ضمن الأمن الاستخباري الداخلي.
4. يكون خدمة استخبارية أجنبية تعمل ضمن وزارة الخارجية.

اما إعادة التنظيم للمرة الثانية في المخابرات الإسرائيلية فقد نتجت عن تأسيس القسم الاستخباري لجيش الدفاع الاسرائيلي وهذا القسم الاستخباري الخاص بجيش الدفاع يرأسه "حاييم هيرتزوغ" ونائبه المفوض "بنيامين جيبلي" ولقد اختلف هيرتزوغ عن بييري من ناحية أن هيرتزوغ حاول منذ البداية الدخول في نقاش حول مهام قسم الخدمة الاستخبارية المشكل حديثاً حيث أن هذا القسم الاستخباري العسكري يجب أن يتعامل مع مسائل الأمن الداخلي عدا ما يخص الأمن الميداني داخل القوات المسلحة وقال هيرتزوغ بأن المسائل الأمنية الداخلية يجب أن تديرها مؤسسة استخبارية خاصة يديرها وزير الدفاع أو وزير الداخلية.

عام 1950 المخاض

في أواخر عام 1949 أصبح أيسرهاريل رئيساً للشين بيت وأيسر أو عازر بالعبرية قد ولد في فيتبسك في روسيا الوسطي في عام 1912 باسم عازر هالبرين بخلاف الكثير من اليهود اللذين هاجروا من روسيا فأن عائلة عازر لم ترتبط بالبلشفيين.

فقد كانوا يهودا منتاون وكانت لهم تجارة صغيرة لكنها مربحة واستولى عليها الثوريون بعد أحداث عام 1917 وفي عام 1922 صُدرت ممتلكات الأسرة باسم الدولة وانتقل افرادها إلى ديفنسك في لاتفيا وكل هذا جعل عازر الصغير صهيونياً متعصباً.

وهاجر بعض أفراد أسرته إلى فلسطين في أواخر العشرينات وتبعهم عازر في عام 1931 والتحق بإحدى الكيبوتزات وتغير اسم عائلته إلى هاريل، وسرعان ما شق عازر طريقه مستخدماً ذكاءه ونشاطه وسرعة بديهته وقدرته على العمل الدائب، ولقد كان سلوكه يُنم عن شخصيته القوية منذ الصغر.

ولقد وجد بـن جوريـون في هاريـل مقـدرة هائلـه عـلى تفسـير المعلومـات ولـيس مجـرد جمعها، وبناء على هذه القدرة فقد اختاره ليصبح رئيساً لـ "شـين بيـت" التـي كانـت مكلفـه بمكافحة الجاسوسية.

ولقد ظلت عمليات هذا التنظيم وأسماء أفراده مغلفـة بدرجـة السريـة وقبـل أن يصـبح هاريل رئيساً للموساد في عام 1952 رقى إلى رتبـة العقيـد كولونيـل وأمـره بـن جوريـون بـأن يراقب بدقة شئون الأمن الداخلي ومكافحة الجاسوسية.

برغم أن شين بيت تعني أصلا تنظيم مكافحة الجاسوسية على الرغم من أن أسمها يوحي خطأ بأنها جهاز الخدمة السريـة الإسرائيليـة بأكملـه وفي هـذا خلـط جـوهري الكلمـة الأمـن الخارجي لكنه يرجع وبنفس القدر أيضا إلى عادة الإسرائليين في استخدام الاختصارات وضغط الكلمات في أسماء مؤسساتهم ومنظماتهم مما يجعـل الأجانـب عرضـة للوقـوع في أخطـاء في التفسير فـ "شين بيت" ليست تنظيماً لمكافحة الجاسوسية فحسب كما هـو الحـال في القسـم الخامس وإدارة المباحث الفيدرالية مثلاً ذلك أنها تكلفت بجمـع قـدر معـين مـن المعلومـات العسكرية ومن هنا فإنها ترتبط بإدارة المخابرات الحربية التي تقوم بتقييم وتحليـل وتفسـير مثل هذه المعلومات أما القسم الذي يختص بمكافحة الجاسوسية فقط داخل "شين بيت" فهو الذي يعرف باسم "شيروت بيتاكاهون كلاكي" او "شاباك" وهو الاسم الذي تشتهر به فعلاً.

الفصل الرابع

ولادة الموساد

بن غورين أبو الموساد الشرعي

أُنشأ الموساد رسمياً في الثاني من آذار عام 1951، وبناء على أوامر من رئيس الوزراء بن غوريون ثم باشر مهامه في الأول من نيسان عام 1951، وأسسه ريفن شيلوح، وكان أول مدير له وقد سمي (الموساد) في البداية باسم مؤسسه التنسيق "هاموساد ليتيوم" ثم أُعيد تسميته عام 1963 ليصبح مؤسسة الاستخبارات والمهمات الخاصة.

بدأت الخطوات الأولية لتأسيس وكالة الاستخبارات السرية الإسرائيلية على يد (شيلوح) عندما بعث برسالة إلى بن غوريون في تموز عام 1949، يدعو فيها إلى إنشاء "وكالة مركزية مختصة بقضايا الأمن والاستخبارات" وتابعة لمكتب رئيس الوزراء، وبعد خلافات ومحاكمات مطولة بين بن غوريون ومختلف رؤساء الوكالات أرسل رئيس الوزراء في كانون الأول عام 1949 الرسالة الآتية إلى وزير الخارجية شاريت:

"يجري الآن بناء على توجيهاتي إنشاء مؤسسة "الموساد" لتجميع وتنسيق أعمال وكالات الاستخبارات والأمن (دائرة استخبارات الجيش والقسم السياسي في وزارة الخارجية ووكالة الأمن العام .... الخ) ولقد عهدت إلى مستشار وزير الخارجية للعمليات الخاصة شيلوح تأسيس الموساد ليكون أول مدير له، سيعمل شيلوح تحت إشرافي، وسيتصرف طبقاً لتعليماتي وسيطلعني باستمرار عما يقوم به من نشاطات وسيكون مكتبه من الناحية الإدارية تابعاً لوزارة الخارجية".

"ولقد طلب من شيلوح أن يقدم إلى وزارة الخارجية إقتراحاً يتعلق بالميزانية والطاقة البشرية لعام 1950- 1951، على أن لا تتجاوز مبلغ (20 ألف شيكل إسرائيلية) وسيقتطع خمسة الآف ليرة من هذا المبلغ لتُنفق على المهمات الخاصة ولكن بموافقة مسبقة صادرة عني شخصيا".

يعتبر شيلوح الذي انتهت حياته بحادث سيارة عام 1959 بمثابة الأب الحقيقي للموساد فقد كان رئيس هيئة سرية هي وحدة أو لجنة رؤساء الاجهزة "فاءدات راشي

هاشير وتيم"[1] ومع ذلك قلما يرد اسمه في الكتابات الشعبية عن الاستخبارات الإسرائيلية.

ولد شيلوح في القدس وكان والده حاخاماً واشتغل أولاً بالتعليم ثم قضى بضع سنوات في العراق وتخفى تحت ستار العمل في "النشرة الفلسطينية" (بالستاين بولتين) ثم قبل العمل كضابط ارتباط بين الوكالة اليهودية والسلطات البريطانية حيث أنشأ علاقه حميمة مع منفذ العمليات الخاصة البريطانية ومن قاعدتيه في القاهرة وباري بإيطاليا حيث أنشأ علاقة حميمة مع يهود للعمل خلف خطوط العدو في البلقان بعد الحرب توجه إلى أمريكا لتأمين الدعم المالي لشراء الأسلحة ثم نُقل إلى واشنطن بصفته دبلوماسي برتبه وزير أما في الحقيقة فكانت مهمته التفاوض لإعطاء مركز مميز لرجال الاستخبارات الإسرائيلية المتعاقبين داخل وكالة الاستخبارات المركزية التي كانت لا تزال في بداية عهدها.

من المؤكد أن مساعدة الأمريكين لشيلوح خدمت المصالح الأمريكية فعلى الرغم أن الإتحاد السوفيتي كان الدولة الأولى التي اعترفت بإسرائيل رسمياً، فقد غير موقفه عندما أدرك (ستالين) مدى الخطأ الذي إقترافه وكان لابد له من القبول بواقع أن الدولة الجديدة المستقلة التي قامت بعد إنتهاء عهد الإستعمار قد لا تصبح الزبون الطيع بين يدي الإتحاد السوفيتي أو حتى دولة تدور في فلكه كما كان يظن.

وكان للأمريكيين أسبابهم الخاصة لتأييد الدولة العبرية الناشئة وللترحيب بعروض شيلوح ومن بين أول وأشد المتحمسين في اللوبي المؤيد لإسرائيل داخل أسرة المخابرات الامريكية (جيم انغلتون) رئيس فرع مكافحة الجاسوسية في مكتب الخدمات الإستراتيجي ثم رئيس أركان مكافحة الجاسوسية منذ ديسمبر عام 1954 حتى إحالته إلى التقاعد.

(1) اسم الوحدة الاستخباراتية.

تفاصيل البداية

فى 2 اذار 1951 اسـتدعى بـن غوريـون قـادة أجهـزة الاسـتخبارات الخمسـة إلى مكتبـه وأخبرهم أنه ينوى تكليف مهمة نشاطات جمع المعلومات والاستخبارات الخارجيـة لإسرائيـل لوكالة جديدة تدعى "ها موساد لى تيوم" أو معهد التنسيق وسيكون لها ميزانية مبدئية تقدر بحوالي عشرين ألف شيكل إسرئيلى والتى سيتم إنفاق خمسـة الآف منهـا عـلى مهـام خاصـة لكن بموافقة بن غوريون المسبقة فقط.

وستوظف الوكالة الجديدة كادرها من أفراد وكالات الاستخبارات الموجودة وسيتم إطـلاق اسم الموساد عليها فقط في الاستعمال اليومي.

ستكون الموساد في كل شـئونها الإداريـة والسياسـية تحـت سـلطة وزارة الخارجيـة وبكـل الأحوال سيكون ضمن كادرها ضباط رفيعى المستوى يمثلون الأجهـزة الأخـرى ضـمن مجتمـع إسرائيل الاستخباراتي: شين بيت، الأمن الـداخلي، أمـان، الاسـتخبارات العسـكرية، اسـتخبارات القوى الجوية، استخبارات البحرية.

وستكون وظيفة هؤلاء الضباط إطلاع الموساد على الاحتياجات الخاصة لعملائهم وفي حال الإختلاف على أي طلب سيتم تحويل الأمر إلى مكتب رئيس الوزراء.

بطريقته الفظة المعتادة في الكلام قال بـن غوريـون: سـتقدمون للموسـاد قائمـة التسـوق وسيذهب الموساد ويحصل على البضائع وليس من شأنكم معرفة المكان الذي تسـوق منـه أو ما دفعه للبضائع، تصرف بن غوريون مثل لجنة مراقبة تتكون من رجل واحـد لـلإشراف عـلى الجهاز الجديد وفي مذكرة لرئيس الجهاز الجديد ريفون شيلوه أمر رئـيس الـوزراء بـأن يكـون الموساد تحت إشرافي وأن يعمل وفقاً لتوجيهاتي وأن يقدم تقاريره لي بإستمرار.

لقد تم وضع القواعد الاساسية

بعد ثماني وعشرين سنة حافلة بالأحداث من جلوس أولئك اليهود في القدس عشية ليلة أيلول سنة 1929 للبحث في الأهمية القصوي للاستخبارات في منع أي هجمات

عربية أخري أصبح لدى أحفادهم جهاز استخبارات سري سيتحول بمرور الزمن إلى أحد أهم وأقوي أجهزة الاستخبارات في العالم.

لم تكن ولادة الموساد مثل ولادة لإسرائيل يسيرة أبداً وتولى الجهاز الإشراف على شبكة تجسس في العراق كانت تعمل منذ بضع سنوات تحت إشراف القسم السياسي لقوات الدفاع الإسرائيلية وكانت مهمة الشبكة الأساسية إختراق الدوائر العليا في الجيش العراقي وتنظيم شبكة هجرة سرية لنقل اليهود العراقيين إلى اسرائيل.

في نيسان سنة 1951 بعد تسعة أسابيع فقط من توقيع بن غوريون على أمر إنشاء الموساد انقض رجال الأمن العراقيون في بغداد على الشبكة وتم اعتقال عميلين إسرائيليين إلى جانب العشرات من اليهود العراقيين والعرب الذين كانوا يتلقون رشاوي لإدارة شبكة الهروب والتي كانت تمتد إلى كل الشرق الأوسط وتم إتهام ثمانية وعشرين شخصاً بالتجسس وحُكم على كلا العمليلين الإسرائيليين بالإعدام وسبعة عشر بالسجن مدى الحياة فيما تم إطلاق سراح الآخرين كمثال على نزاهة القضاء العراقي.

تم إطلاق سراح عميلي الموساد لاحقاً من السجن العراقي حيث تعرضا للتعذيب الشديد مقابل مبلغ طائل من المال إلى حساب مصرفي سويسري يخص وزير الداخلية العراقي.

تبع ذلك كارثة أخري تخص الجاسوس الذي يعمل في روما لوقت طويل لصالح القسم السياسي ثيودور غروس قبل أن يتحول للعمل للموساد بموجب الترتيب الجديد وفي كانون الثاني سنة 1952 تلقى ايسر هاريل الذي كان قائداً للشين بيت جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الداخلي إثباتاً لا جدال فيه على أن غورس عميل مزدوج ويتلقي راتباً من الاستخبارات السرية المصرية وقرر هاريل السفر إلى روما حيث أقنع غورس بالعودة إلى تل أبيب لأنهم على وشك تعيينه في منصب كبير في الشين بيت وتمت محاكمة غورس سراً وإدانته والحكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة فيما بعد مات غورس في السجن.

نتيجة لتلك الإخفاقات استقال "ريفون شيلوه" مكسور الخاطر وتم استبداله بايسر الـذي سيبقى رئيساً للموساد إحدي عشرة سنة وهي مدة لم يضاهه بها أحد في شغل ذلك المنصب.

لم يكن الموظفون الذين رحبوا بهاريل في مركز قيادة الموسـاد في الصـباح يـوم أيلـول سـنة 1952 معجبين بمظهره الجسدي ولم يكـن طولـه يتجـاوز (150 سـم) وكانـت أذانـاه بـارزتين ويتكلم العبرية بلهجة أوروبية ثقيلة وكانت عائلته قد هاجرت من لاتفيا سـنة 1930 وكانـت ملابسه تبدوا كما لو أنه قد نام وهو يرتديها.

كانت أولى كلماته للكادر المجتمـع انتهـى المـاضي لـن يكـون هنـاك المزيـد مـن الأخطـاء سنتقدم معاً ولن نتكلم مع أحد سوي أنفسنا.

أعطي مثالاً عما كان يقصده في نفس ذلك اليوم وإستدعى بعد الغداء وعندما سـأله عـن المكان الذي سوف يقصدونه كان الجواب أن ذلك سر وصرف هاريل السـائق وجلـس بنفسـه خلف مقود السيارة وعاد مع كيس من الفطائر للموظفين لكن الفكرة كانت قد وصـلت هـو من سيطرح الاسئلة.

كانت تلك اللحظة التي أحب بها الموظفون هاريل، وكان قادراً على بث النشاط فيهم من خلال ذلك المثال وقد سافر إلى بلاد عربية معادية لينظم شخصياً شبكات الموساد وقابـل كـل شخص يريد الإنضمام إلى الجهاز كان يبحث عن أولئك الـذين يشـبهونه ويـاتون مـن المـزارع الجماعية اليهودية.

أخبر معاوناً له عن سياسته

أشخاص مثل هؤلاء يعرفون عدونا ويعيشون بالقرب من العرب ولابد أنهم تعلمـوا لـيس التفكير مثلهم وحسب وأنما التفكير بشكل أسرع.

كان صبر هاريل أسطورياً مثلما هى ثورات غضبه وأصبح ولاؤه لموظفيـه معروفـاً على نطاق واسع. وكان ينظر إلى كل أولئك الذين يعملون خارج دائرته المغلقة بعـين الشك لانهم (انتهازيون ليس لديهم مبادىء) لم يكن يتعامـل مـع أشـخاص يعتـبرهم (متسترين بالتعصب مثل القوميين وخصوصاً فى الدين) وأظهر بشكل متزايد كرهـاً علنيا لليهود الأرثوذكس، كان هناك عدد من هؤلاء في حكومة بن غوريون والـذين

سرعان ما أظهروا استياءهم من ايسر هاريل ثم حاولوا إيجاد طريقة لتنحيته لكن رئيس الموساد المخادع كان حريصاً على البقاء.

ساعده في ذلك أن إنجازات الموساد آنذاك كانت تتحدث عن نفسها وساهم عملاء هاريل في نجاح اشتباكات سيناء ضد المصريين وكان لديه جواسيس في كل عاصمة عربية ويقدمون له سيلاً لا ينقطع من المعلومات التي لا تقدر بثمن وحقق نجاحاً آخر عندما سافر إلى واشنطن سنه 1954 للقاء ألان دوليس الذي كان قد تولي إدارة CIA للتو ومثل هاريل مدير الاستخبارات المحنك مع خنجر بنقوش دينية لم يكن حارس إسرائيل في حالة سبات أو نائماً.

اجاب دوليس: تستطيع الإعتماد علي للبقاء متنبهاً معك.

انشأت تلك الكلمات شراكة بين الموساد وCIA واستطاع دوليس تزويد الموساد بمعدات حديثة جداً أجهزة تنصت وتعقب آلات تصوير تعمل عن بعد وتشكيلة من المعدات التي أعترف هاريل نفسه بأنه لم يكن يعرف بوجودها وانشأ الرجلان أيضاً أول قناة خلفية بين جهازي الاستخبارات والتي يستطيعان الاتصال الدبلوماسي المعتاد مما أزعج كلا من وزارتي الخارجية الأمريكية والإسرائيلية ولم يكن لتلك القناة تأثير في تحسين موقف هاريل في الدوائر الدبلوماسية.

في سنة 1961 كان هاريل العقل المدبر وراء عملية نقل آلاف اليهود المغاربة إلى إسرائيل وبعد سنة من ذلك التاريخ كان رئيس الموساد الذي لا يكل ولا يمل في جنوب السودان ليساعد الثوار الموالين لإسرائيل في حربهم ضد النظام وساعد في تلك السنة أيضاً الملك الأثيوبي هايل سيلاسي في سحق محاولة إنقلاب.. لقد كان العاهل حلفياً لإسرائيل منذ زمن طويل.

لكن في الداخل كانت أصوات اليهود الأرثوذكس في مجلس الوزراء تتعالي ضده وتتذمر من أن ايسر هاريل قد تحول إلى مستبد لا يطاق وأنه لا يراعي الحساسيات الدينية وأنه رجل يمتلك برنامجه الخاص وربما هو طموح للوصول إلى المكتب السياسي الأعلى في البلاد وإرتفع خيال بن غوريون السياسي وأصاب الفتور العلاقات بينه وبين هاريل ورغم أنه منح هاريل صلاحية مطلقة من قبل إلا أنه بدا آنذاك يطلب إطلاعه على

أصغر وأدق تفاصيل أي عملية.. وإمتعض هاريل من المعوقات المحكمة لكنه لم يقل شيئاً وإشتدت حملة الشائعات ضده.

في شباط سنه 1962 تصاعد الغمز واللمز حول مصير فتى يبلغ من العمر ثماني سنوات ويدعى "جوزيل شوماخر" وكانت منظمة أرثوذكسية متطرفة قد خطفت الطفل من والديه قبل سنتين وكان جد الطفل لأمه "نامان شتاركس" عضواً في جماعة نيتوري كارتا وتعني "حراس أسوار القدس" وكان يشتبه بتواطئه في عملية الإختطاف ورغم حملة الشرطة الضخمة لإيجاد جوزيل إلا أنها لم تعثر على أي دليل حول مكانه وتم وضع "نامان" في السجن لوقت قصير عندما رفض التعاون مع التحقيقات وحول اليهود الأرثوذكس الرجل العجوز إلى شهيد وتظاهر الآلاف منهم حاملين رايات تدعي أن بن غوريون لا يختلف عن النازيين وأنه يعمل على سجن الشيوخ وتم إطلاق سراح نامان لأسباب صحية لكن الاحتجاجات تواصلت.

حذر مستشارو بن غوريون السياسيون من أن تلك القضية قد تجعله يخسر الإنتخابات القادمة والأسوأ من ذلك أنه في حال وقوع حرب أخري مع العرب فإن بعض المجموعات الأرثوذكسية ستقدم لهم الدعم واستدعي رئيس الوزراء الذي استعد للمعركة هاريل وأمر الموساد بإيجاد الفتى وجادل هاريل بأن تلك ليست مهمة جهاز الاستخبارات وقال بكلماته:

"تحول الجو إلى جليد وكان يكرر أن ذلك أمر وقلت له إنني بحاجة لقراءة ملف الشرطة على الاقل وقال رئيس الوزراء إن لدي ساعة"..

كان ملفاً ضخماً لكن بينما كان ايسر هاريل يقرأه كان هناك شيء يسري داخله حق الوالدين في تربية طفلهما دون أن يتعرض لضغوط ومعتقدات دينية متطرفه.

ولد جوزيل في آذار سنه 1953 لكل من آرثر وعيدا شوماخر وتم إرسال الفتى للعيش مع جده في القدس نظراً للصعوبات المالية التي كانت العائلة تواجهها ووجد الطفل نفسه في جو ديني ومعزول روحياً عن باقي المدينة وعلم "نامان" حفيده معتقدات وطرق جماعته الدينية وعندما زار والدا جوزيل الفتى انتقدهما نامان بغضب لما اعتبره معتقداتهما الدينية الخاصة.

كان الرجل العجوز ينتسب إلى جيل ساعده إيمانه على النجاة من الهولوكوست وكانت لبنه نامان وصهره يشعران أن دورهما الرئيسي يتمثل في تشكيل حياة لهما في الأمة الشابة وكانت الصلاة تأتي غالباً بالنسبة لهما.

قال والدا جوزيل إنهما طلبا استعادته بعد أن تعبا من انتقادات "نامان" المستمرة ولكن الأخير رفض قائلاً إن انتقال جوزيل في تلك المرحلة سيقطع تعاليمه في الحياة الدينية والتي ستخدمُه في حياته عندما يصبح راشداً وكان هناك المزيد من النقاشات الغاضبة وفي المرة التالية التي زارا فيها القدس كان جوزيل قد اختفي.

اهتم كل من اليهود الأرثوذكس والعلمانيين بتلك الحادثه ورأوا في القضية شرخاً كبيراً يستمر في تقسيم الأمة وكان ذلك واضحا لحزب العمل الذي يقوده بن غوريون والذي لم يكن قادراً على الاستمرار في الحكم دون دعم الأحزاب الدينية المتنوعة في الكنيست والمقابل كانت تلك الأحزاب تحصل على امتيازات إضافية لتطبيق القوانين الأرثوذكسية المتشددة في الدولة وطالب اليهود الليبراليون بأن يعود جوزيل إلى عائلته.

أخبر هاريل بعد قراءته للملف بن غوريون أنه سيستخدم مصادر الموساد وقام بتشكيل فريق مكون من أربعين عميلاً لتحديد مكان جوزيل واعترض الكثيرون منهم علانية على ما أعتبروه سوء استخدام لمهاراتهم.

وأسكت انتقاداتهم بخطاب قصير

"رغم أننا سنعمل خارج إطار أهدافنا المعتادة إلا أنها تبقى قضية بالغة الأهمية وتنبع أهميتها من خلفيتها الاجتماعية والدينية وهي مهمة لأن هيبة وسلطة حكومتنا على المحك وهي هامة بسبب القضايا الإنسانية التي تنطوي عليها القضية"..

سرعان ما اكتشف الفريق في الأسابيع الأولى من التحقيقات مدى صعوبه المهمة.

تخفى رئيس مستقبلي للشين بيت والذي كان عميلاً للموساد بهيئة أرثوذكسي متشدد وحاول التسلل بين صفوفهم ولكنه فشل وصدرت الأوامر لعميل موساد آخر بتشديد الرقابة على مدرسة دينية لكن أمره كُشف خلال أيام وحاول عميل ثالث التسلل إلى مجموعه من طائفة الهاسيد (طائفة دينية واجتماعية أسسها الحاخام

إسرائيل بن ألغازر في بولندا في القرن الثامن عشر) التي كانت في طريقها إلى القدس لدفن قريب لأحد أعضائها ضمن أسوار المدينة وسرعان ما تم كشفه عندما فشل في تلاوة الصلوات الصحيحة.

جعلت هذه الاخفاقات هاريل أكثر تصميماً وأخبر فريقه بأنه متأكد من أن الطفل لم يعد إسرائيل وأنما في مكان ما في أوروبا أو حتى أبعد من ذلك نقل هاريل مقر قيادة عملياته إلى منزل آمن للموساد في باريس وأرسل من هناك رجالاً إلى كل جماعة أرثوذكسية في إيطاليا والنمسا وفرنسا وبريطانيا وعندما لم ينتج عن ذلك شيء أرسل العملاء إلى أمريكا الجنوبية والولايات المتحدة.

استمر التحقيق الذي أصبح مثقلاً بالحلقات الغريبة وشارك عشرة عملاء موساد في قداس صباح الأحد في كنيسة في ضاحية هيندن القريبة من لندن واستدعى الحشد الغاضب الشرطة لاعتقال "الدخلاء الدينيين" بعدما سقطت لحاهم المزيفه خلال الشجار وتم إطلاق سراح العملاء بسرعه بعدما تدخل السفير الإسرائيلي مع وزارة الداخلية.

تم استدعاء حاخام أرثوذكسي جليل إلى باريس بذريعة أن أحد أعضاء عائلة ثرية يرغب منه القيام بمراسم معينة لظرف معين وقابله في المطار رجلان يرتديان معاطف وقبعات اليهود الأرثوذكس الشديدة السواد وكانا عميلين للموساد وكان في تقريرهما عنصر كوميديا سوداء.

"أخذناه إلى ماخور بيغال دون أن تكون لديه أدنى فكرة عنه وظهرت اثنتان من البغايا اللتين دفعنا لهما سلفاً وألقيتا بنفسهما على الحاخام والتقطنا له صوراً فوتوغرافية وأريناهم له وقلنا أننا سنرسلها إلى محفله إذا لم يكشف عن مكان الصبي واقنعنا الحاخام أخيرا أنه لا يملك أي فكرة ولهذا مزقنا الصور أمامه".

ووقع حاخام آخر يدعي شي فرير في براثن بحث هاريل الذي كان يتوسع بإستمرار في عالم اليهود الأرثوذكس واختطف الموساد الحاخام عندما كان يسافر بين باريس وجنيف وعندما أصبحوا مقتنعين بعد استجواب قاس أنها نهاية ميتة أخرى أمر هاريل بأن يوضع فرير في منزل آمن في سويسرا حتى إنتهاء البحث لأنه خاف من أن يقوم الحاخام بإنذار المجتمع الأرثوذكسي.

ظهر دليل واعد آخر كانت مادلين فري إبنه عائلة أرستقراطية فرنسية وبطلة المقاومة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية وقامت مادلين بإنقاذ عدد كبير من الأطفال اليهود من الترحيل إلى معسكرات الموت النازية واعتنقت اليهودية بعد الحرب.

أظهرت التحقيقات أنها كانت تقوم بزيارات منتظمة لإسرائيل وتقضي وقتها مع أعضاء في مجموعه "نيتوري كارتا" وأنها شاهدت جد جوزيل في عدة مناسبات وكانت آخر زيارة لها إلى إسرائيل في نفس الوقت الذي إختفى فيه الفتى ولم تعد إلى إسرائيل منذ ذلك الوقت.

في آب سنة 1962 تعقبها عملاء الموساد إلى ضواحي باريس وهاجمتهم عندما عَرفُوا بأنفسهم واستدعى أحد العملاء ايسر هاريل الذي شرح لمادلين "الخطأ الكبير" الذي لحق بوالدي جوزيل وأن لهما الحق الأخلاقي بتربية ولدهما بالطريقة التي يرغبان بها وأنه يجب عدم إنكار هذا الحق على أي والدين وأصرت مادلين أنها لا تعرف شيئاً عن جوزيل وشاهد هاريل أن رجاله قد صدقوها.

طلب هاريل جواز سفر مادلين ووجد صورتها وصورة لابنتها وطلب من أحد العملاء إحضار صورة لجوزيل وكانت ملامح الوجهيين لكلا الطفلين في الصورتين متطابقة تقريباً، اتصل هاريل بتل أبيب بعد ساعات قائلاً:

"لدي كل ما أحتاج لمعرفته من تفاصيل حياتها الجنسية خلال أيام دراستها إلى قرارها بالإنضمام إلى الحركة الأرثوذكسية بعد تبرئها من المعتقد الكاثوليكي، عدت إلى مادلين وأخبرتها كما لو أنني أعرف كل شيء أنها صبغت شعر جوزيل لإخفائه وتهريب الفتي خارج إسرائيل، أنكرت ذلك بشدة وقلت أنها يجب أن تفهم أن مستقبل البلد الذي تحبه في خطر شديد وأن الناس في شوارع القدس التي تحبها يرمون الحجارة على بعضهم البعض ورغم ذلك رفضت الإعتراف بأي شيء وقلت لها أن للطفل أماً تحبه كما أحبت أولئك الأطفال الذين ساعدتهم في الحرب العالمية الثانية"..

فعل التذكير فعله وبدأت مادلين فجأة تشرح كيف سافرت بحراً إلى حيفا كسائحة لرؤية إسرائيل وعلى متن السفينة استطاعت تكوين صداقات مع عائلة من المهاجرين الجدد الذين كانت لهم طفلة بعمر جوزيل تقريباً وأنها مشت مع الفتاة

الصغيرة على لوح السفينة الخشبي عندما وصلوا إلى حيفا وأعتقد ضابط الهجرة أنها ابنتها وأنه كتب ملاحظة بذلك في سجلاته وبعد أسبوع وأمام أعين الشرطة الإسرائيلية طارت في رحلة إلى زيوريخ مع ابنتها وأقتنعت مادلين الفتى جوزيل بأن يرتدي ملابس الفتيات وأن يضبغ شعره.

عاش جوزيل لفترة من الوقت في المدرسة الأرثوذكسية في سويسرا والتي كان الحاخام شي فرير يدرس فيها بعد احتجازه طارت مادلين مع جوزيل إلى نيويورك واسكنته مع عائلة كان أفرادها أعضاء في جماعة "نيتوري كارتا" ولم يكن لدى هاريل عندها سوي سؤال واحد أخيرا لها: "هل تعطينني اسم وعنوان العائلة ؟"

كان هناك لحظة صمت طويلة قبل أن تقول مادلين بهدوء : "إنه يعيش في الشقة 126 في شارع بن، بروكلين، نيويورك أنه معروف باسم يانكل جيرتنر.

ابتسم هاريل للمرة الأولى منذ لقائه بها "شكراً لك يا مادلين أرغب بتهنئتك بعرض عمل مع الموساد عليك إن ذكائك سيخدم إسرائيل كثيرا"..

رفضت مادلين.

طار عملاء الموساد إلى نيويورك وكان في انتظارهم فريق من مكتب التحقيقات الاتحادي FBI الذين حصلوا على إذن للتعاون من المدعي العام روبرت كينيدي وكان الأخير قد تلقى طلباً شخصياً من بن غوريون للمساهمة في حل القضية وانتقل العملاء إلى شقة رقم 126 في شارع بن وفتحت السيدة جيرتنر الباب واندفع العملاء إلى الداخل حيث كان زوجها يصلي وكان إلى جانبه فتى شاحب الوجه يضع قبعة صغيرة على رأسه.

وقال أحد رجال الموساد بلطف: **"مرحباً يا جوزيل لقد أتينا لنأخذك إلى البيت لقد مرت ثمانية أشهر منذ أن بدأ الموساد بحثه وتم إنفاق مليون دولار أمريكي تقريباً على العملية"**.

ولم تنفع عودة جوزيل سالماً إلى الديار في جسر الهوة الدينية في البلاد واستمرت الحكومات المتعاقبة في الترنح والسقوط بفعل الجماعات الأرثوذكسية البالغة الصغر التي يتم انتخابها إلى الكنيست.

رغم نجاحه في إيجاد الفتى إلا أن هاريل عاد إلى إسرائيل ليواجه انتقاداً شديداً جديداً من قبل الجنرال مير عميت الذي تم تعيينه حديثاً رئيساً لامان، الاستخبارات العسكرية ورغم أن هاريل تغاضى عن سلفه في المنصب إلا أنه وجد نفسه يتلقى انتقادات جارحة من عميت تتعلق بعملية إنقاذ جوزيل.

أصبح عميت القائد الميداني المتمرس مقرباً من بن غوريون في رمال السياسية الإسرائيلية المتحركة دائماً وأخبر رئيس الوزراء أن هاريل قد "أنفق الموارد" وأن عملية الإنقاذ بكاملها ليست علامة على أن رئيس الاستخبارات قد استمر في منصبه مدة طويلة جداً ونسى أن بن غوريون الذي وافقه الرأي أمر هاريل بتنفيذ العملية وفي 25 آذار سنة 1963 استقال ايسر هاريل في سن الخمسين بعدما أنهكه التعب نتيجة أسابيع طويلة من العمل المكثف وكان رجاله على وشك البكاء عندما صافحهم وخرج من مقر قيادة الموساد كان الجميع يعرف بأنها نهاية حقبة.

بعد عدة ساعات خطا رجل طويل ممشوق القوام بنشاط عبر أبواب الموساد: لقد تم تعيين مير عميت ولم يكن هناك حاجة لإخبار أحد أن تغييرات مثيرة ستتم في أسلوب عمل الجهاز.

بعد خمس عشرة دقيقة من الجلوس إلى مكتبه عقد رئيس الموساد الجديد اجتماعاً لرؤساء الأقسام لديه ووقفوا مجتمعين أمامه فيما كان ينظر اليهم بصمت ثم تحدث بصوت قوي كأن قد أطلق عدداً لا يحصى من المعارك.

لن يكون هناك تدخل سياسي كبير في أعمالنا أشار عميت إلى أنه سيحمي كل واحد منهم من الإنتقاد الخارجي لكن لا شيء سيحافظ على وظائفهم إذا فشلوا في مهامهم، سيقاتل للحصول على المزيد من الأموال من ميزانية الدفاع للحصول على أحدث المعدات ومصادر الدعم لكن ذلك لن يكون على حساب نسيان إحدى أهم مصادر القوة التي وضعها فوق كل شيء: هومنت أو فن جمع المعلومات الاستخباراتية البشري وأراد أن تكون تلك أعظم مهارات الموساد.

وجد موظفون أنهم يعملون مع رجل ينظر إلى أعمالهم خارج نطاق العمليات اليومية لكن إلى نتائجهم في السنوات القادمة وكان الحصول على التقانة العسكرية يقع في تلك الخانة.

بعد وقت قصير من تولي مير عميت القيادة دخل رجل قال إن اسمه سلمان إلى السفارة الإسرائيلية في باريس وقدم عرضاً مذهلاً وقال إنه يضمن مقابل مليون دولار أمريكي نقداً تقديم ما كانت عندها أكثر الطائرات المقاتلة سرية في العالم الروسية ميغ 21 وأختتم سلمان عرضه المذهل لدبلوماسي إسرائيلي بطلب غريب "أرسلوا شخصاً إلى بغداد وليتصل بهذا الرقم ويسأل عن جوزيف ولتكن المليون دولار جاهزة".

أرسل الدبلوماسي تقريره إلى الكاستا المقيم في السفارة والذي كان أحد أولئك الذين استطاعوا التغلب على عملية التطهير التي لحقت تعيين مير عميت أرسل الكاستا تقريره إلى تل أبيب مع رقم الهاتف الذي قدمه سلمان.

وازن مير عميت الأمر ودرسه لعدة أيام قد يكون سلمان محتالاً أو مخادعاً أو حتى جزءً من مكيدة عراقية للإيقاع بعميل موساد كانت مخاطرة حقيقية بأن يتم فضح كاستا آخرين يعملون خفية في العراق لكن احتمال الحصول على طائرة ميغ 21 كان لا يقاوم.

جعل مقدار الوقود الذي تحمله وارتفاعها وسرعتها وتسجيلها وقت طيرانها منها طائرة الجبهة المقاتلة الأولى في العالم العربي وسيكون قادة القوة الجوية في إسرائيل سعداء لدفع ملايين الدولارات لمجرد إلقاء نظرة على مخطط بناء الميغ فما بالهم بالحصول على طائرة كاملة قال مير عميت: "ذهبت للفراش أفكر بالأمر واستيقظت أفكر فيه وفكرت فيه في الحمام وأثناء العشاء وفكرت فيه في كل لحظة فراغ كانت لدي وكانت متابعة نظام التسليح المتطور للعدو أولوية لأي جهاز استخبارات أما الحصول عليه فهو شيء لم يحصل من قبل".

كانت الخطوة الأولى إرسال العميل إلى بغداد وابتكر مير عميت هوية مزيفة للعميل ووضع إسماً مستعاراً إنجليزيا على جواز سفره – جورج باكون "لم يكن أحد يعتقد أن يهودياً سيكون له اسم مثل هذا".

سافر باكون إلى بغداد بصفة مدير مبيعات لشركة مقرها لندن وتبيع معدات تصوير بأشعة إكس للمستشفيات وصل إلى بغداد عينات المعدات وتظاهر بأنه سيبيع عدة أجهزة للمستشفيات وفي بداية أسبوعه الثاني قام باكون بالإتصال بالرقم الذي حدده سلمان وتتضمن تقارير باكون شروحاً تفصيلية: "استخدمت هاتفاً عاماً في بهو الفندق وكانت مخاطرة أن يكون الهاتف مراقباً أقل من إجراء المكالمة في غرفتي، أجاب الطرف الآخر على المكالمة فوراً وسأل صوت بالفارسية عن المتكلم وأجبت بالإنجليزية وأعتذرت لأنني طلبت رقماً خاطئاً ثم سأل الصوت بالإنكليزية أيضاً عن المتكلم وقلت إنني صديق لجوزيف هل هناك شخص بهذا الاسم ؟ وطلب مني الصوت الإنتظار قليلاً واعتقدت أنهم ربما سيتعقبون المكالمة وأن تلك ليست سوى مكيدة ثم كان هناك صوت مهذب على الهاتف يقول أنه جوزيف وأنه مسرور لأنني اتصلت ثم سألني إذا ما كنت أعرف باريس وقلت في نفسي: لقد حصل الاتصال!

وجد باكون نفسه يوافق على الاجتماع في مقهى في بغداد في ظهيرة اليوم التالي وفي ساعة اللقاء قدم شخص نفسه بابتسامة على إنه جوزيف وكان وجهه مليئاً بالحفر وشعره أبيض وأرسل العميل تقريراً آخر يصف الجو السريالي للقاء.. قال "جوزيف": إنه سعيداً جداً للقائي كما لو أنني قريب ينتظره منذ زمن طويل وبدأ بعدها يتحدث عن الطقس وكيف أن مستوى الخدمات قد تراجع في مقاهي مثل هذا وفكرت هناك أنني وسط بلد معاد وأن أجهزته الأمنية كانت ستقتلني بالتأكيد إذا سنحت لها الفرصة وأنني استمع إلى تخرِفات رجل عجوز ووصلت إلى قناعة بأنه مهما كانت صفة الرجل ومهما كانت علاقته مع سلمان في باريس لم يكن جوزيف بالتأكيد ضابطاً في جهاز مكافحة التجسس العراقي وهدأ ذلك من روعي وأخبرته أن اصدقائي مهتمون جداً بالسلعة التي ذكرها صديقه وأجاب "إن سلمان أب أخي وهو يعيش في باريس إنه نادل في مقهى وقد غادر كل الندلاء الجيدون هذا المكان" وانحنى بعدها عبر الطاولة وقال: هل أتيت من أجل الميغ ؟ لقد حضرتها لك لكنها ستكلف مليون دولار أن الأمر بهذه البساطة".

شعر باكون عندها أنه ربما كان جوزيف أكثر مما يبدوا وكان ذلك مؤكداً حـول شخصـيته ولكن بدأ بسؤاله هز الرجل العجوز رأسه "ليس هنا قد يكون الناس يستمعون ".

اتفقا على اللقاء مجدداً في اليوم التالي على مقعد خشبي في منتزة بالقرب من نهر الفرات الذي يتدفق عبر المدينة ولم ينم باكون تلك الليلة جيداً وبقى يتساءل حول ما إذا كان يقترب من الفخ المعد بعناية إن لم يكن من قبل الاستخبارات العراقية فمـن قبـل رجـال مخـادعين شديدي الذكاء يستخدمون جوزيف كواجهه لهم.

كشف لقاء اليوم التالي بعض خلفية جوزيف ودوافعه.

لقد انحدر الرجل من عائلة يهودية عراقية فقيرة وعمل في صباه كخـادم لـدى عائلـة مـن الأقلية المسيحية في بغداد ثم وبعـد ثلاثـة عشر عامـاً مـن الخدمـة المخلصـة تـم صرفـه مـن الخدمة بشكل فظ نتيجة اتهامـه خطـأ بسرقـه بعـض الطعـام ووجـد نفسـه في عيـد مـيلاده الخمسين على قارعه الطريق كان أكبر من أن يجد عملاً آخر وعاش في فنـدق متواضـع وقـرر عندها أيضاً اكتشاف جذوره اليهودية وناقش سعيه مع شقيقته الأرمله مانو الذي كـان ابنهـا منير طياراً في سلاح الجو العراقي واعترفت مانو أن لـديها رغبـة قويـة بالـذهاب إلى إسرائيـل لكن كيف يمكنهم القيام بـذلك ومجـرد ذكـر الفكـرة كـان يعنـي المخـاطرة بـدخول السـجن العراقي وإذا تخلف أي شخص من العائلة ستعمل السـلطات العراقيـة عـلى معاقبتـه بشـدة وربما قتله أيضاً ومن أين سيأتي المال؟ وتنهدت وقالت إن الأمر كله مجرد حلم مستحيل.

لكن الفكرة اتقدت في ذهن جوزيف وكان منير يقول إن قائده يتباهي دائماً بأن إسرائيـل ستدفع ثروة مقابل الميغ التي يطير بها "وربما مليون دولار أمريكي أيها الخال جوزيف".

استولى الرقم على ذهن جوزيف لأنه من خلاله يستطيع رشوة المسؤولين وتنظـيم عملية الهروب ويستطيع بواسطة ذلك المال إخراج العائلة كلها من العراق وكلما فكر بالأمر كلما وجده معقولاً كان منير يحب والدته وكـان سـيفعل أي شيء لأجلهـا حتـى سرقة طائرته مقابل مليون دولار ولن تكون هناك حاجة ليقوم جوزيف بتنظيم فـرار

أفراد الأسرة لأنه سيدع الموساد يقوم بذلك، كان الجميع يعرفون أنهم ماهرون في مثل تلك الأشياء ولهذا السبب أرسل سلمان إلى السفارة.

ابتسم جوزيف لباكون قائلاً: وأنت الآن هنا يا صديقي..

ماذا عن منير ؟ هل يعرف أياً من هذا؟

"نعم لقد وافق على سرقة الميغ لكنه نصف المال مقدماً الآن والبقية قبل القيام بذلك".

كان باكون مصعوقاً وبدأ أن كل ما سمعه موثق وعملي لكن كان عليه أولاً ارسال تقرير إلى مير عميت.

في تل أبيب استمع رئيس الموساد طوال فترة بعد الظهر بينما كان باكون يقدم كل تفصيل في تقريره وسأل مير عميت:

أخيرا: "أين يريد جوزيف ان ندفع له المال"؟

إلى بنك سويسري لدى جوزيف ابن أخ يحتاج لمعالجة طبية فورية ليست متوفرة في بغداد ستمنحه السلطات العراقية الإذن للذهاب إلى سويسرا وعندما يصل إلى هناك يتوقع منا أن نكون قد حولنا المبلغ إلى حسابه".

علق مير عميت بسخرية: رجل ذو حيلة واسعة هذا جوزيف، حالما يتم تحويل المال إلى ذلك الحساب لن نستطيع استراده أبداً "وطرح سؤالاً إضافياً على باكون: لماذا تثق بجوزيف؟

أجاب باكون: أثق به لأن ذلك هو الخيار الوحيد أمامنا.

أمر مير عميت بتحويل نصف مليون دولار أمريكي إلى الفرع الرئيسي في بنك الاعتماد السويسري في جينيف وكان يقامر بما هو أكثر من المال وكان يعرف أنه لن ينجو بفعلته إذا كان جوزيف مجرد محتال ذكي والذي يعتقد بعض ضباط الموساد أنه كذلك بالضبط.

<u>كان الوقت قد حان لتقديم تقرير لرئيس الوزراء بن غوريون ورئيس أركانه إسحاق رابين وأعطى كلا من الرجلين الضوء الأخضر للعملية ولم يخبرهما مير عميت أنه قام بخطوة إضافية سحب كامل شبكة الموساد من العراق.</u>

<u>"إذا فشلت العملية لا أريد لأحد أن يعاقب عداي أنا، لقد حضرت خمسة فرق سيكون الفريق الأول صلة الوصل بين بغداد وبيني ولن يخترقوا صمت اللاسلكي إلا إذا حصلت أزمة وبخلاف ذلك لا أريد سماع شيء منهم وسيتمركز الفريق الثاني في بغداد دون أن يعرف أي منهم شيئاً ولن يكون باكون بينهم ولا أي من أفراد الفريق الأول وسيكونون هناك لإخراج باكون من البلد إذا حدثت مشكلة وجوزيف أيضا بالطبع وسيراقب الفريق الثالث العائلة وسوف ينسق الفريق الرابع معه الإكراد الذين زودتهم إسرائيل بالسلاح والذين سيساعدون في المراحل النهائية من إخراج العائلة وسوف ينسق الفريق الخامس مع واشنطن وتركيا وحتى تستطيع الميغ الخروج من العراق يجب عليها الطيران فوق المجال التركي للوصول الينا وستعمل واشنطن التي توجد قواعدها في شمال تركيا على اقناع الأتراك بالتعاون والقول أن الأمر سينتهي بالميغ في الولايات المتحدة وكنت أعرف أن العراقيين يخافون من إمكانية هروب أحد الطيارين إلى الغرب ولهذا كانوا لا يملأون سوى نصف خزانات الطائرات بالوقود وكان ذلك شيئاً لا نستطيع فعل شيء تجاهه.</u>

كان هناك مشاكل أخري عالقة وقرر جوزيف أن يكون لدي أقربائه البعيدين وليس عائلته المباشرة وحسب فرصة الهروب من النظام العراقي القاسي وأراد أن يتم نقل ثلاثة وأربعين شخصا بالطائرة إلى الأمان.

وافق مير عميت فقط ليواجه مشكلة جديدة وأرسل باكون من بغداد رسالة مشفرة أن منير لديه أفكار أخرى كان رئيس الموساد يشعر بما يحدث وكان منير أولاً وقبل كل شيء عراقياً وكان العراق طيباً معه ولم يكن مقتنعاً بخيانة بلده لصالح إسرائيل لقد كنا العدو وكانوا يعلمونه ذلك طوال حياته وقررت أن الطريقة الوحيدة كانت بإقناعه أن الميغ سيذهب مباشرة إلى أمريكا وهكذا سافرت إلى واشنطن وقابلت ريتشارد هيامز، DCI مدير الاستخبارات المركزية الأمريكية واستمع إلي" وقال: لا

مشكلة لقد كان دائماً متعاوناً هكذا ورتب لقاء الملحق العسكري الأمريكي في بغداد مع منير وأكد الملحق أن الطائرة ستسلم إلى الولايات المتحدة وألقى على مسامع منير الكثير من الكلام حول ضرورة مساعدة أمريكا في اللحاق بالروس وابتلع منير الطعم ووافق على المضي قدماً.

كانت العملية تجري وفق خطوات خاصة بها وحصل قريب جوزيف على إذن الخروج العراقي وسافر إلى جنيف وأرسل من هناك برقية: "تجهيزات المستشفي ممتازة وأكدوا لي أنني سأتماثل للشفاء الكامل" وكانت الرسالة علامة على أن الخمسمائة ألف دولار الأخرى قد تم تحويلها.

أخبر جوزيف وهو مطمئن باكون أن العائلة جاهزة وفي الليلة التي سبقت قيام منير بالطيران قادهم جوزيف في قافلة من المركبات شمالاً إلى هدوء الجبال الباردة ولم تعترضهم نقاط التفتيش العراقية لأن السكان يهربون في كل صيف من حر بغداد اللاذع، كان الأكراد ينتظرونهم عند سفوح التلال مع فريق الإرتباط الإسرائيلي وقادوا العائلة إلى أعالي الجبال حيث كانت مروحيات الجيش التركي بانتظارهم وطارت تلك المروحيات تحت مستوي الرادار عائدة إلى تركيا.

اتصل عميل إسرائيلي مع منير ليخبره أن شقيقته قد وضعت بأمان فتاة صغيرة وكانت تلك رسالة مشفرة أخري عن الانتقال الآمن.

في صبيحة اليوم التالي الموافق 15 آب سنه 1966 وعند بزوغ الفجر أقلع منير بطائرته في مهمة تدريبية وحالما غادر أرض المطار شغل محراق الميغ ووصل إلى الحدود التركية قبل أن تصدر الأوامر للطيارين العراقيين الآخرين بإسقاطه وواكبته طائرات الفانتوم التابعة لسلاح الجو الأمريكي وهبط منير في قاعدة جوية تركية وأعاد التزود بالوقود وأقلع ثانية وسمع من خلال سماعات الرأس الرسالة التالية بكلام واضح هذه المرة: "كل أفراد عائلتك بأمان وفي طريقتهم للإنضمام اليك".

حطت طائرة الميغ بعد ساعة من ذلك في قاعدة جوية عسكرية في شمال إسرائيل.

أصبح الموساد لاعباً جدياً عـلى السـاحة العالميـة وضـمن مجتمـع الاسـتخبارات الإسرئـيلي

أصبحت الأمور الهامة تصنف على أساس BA وتعني قبل عميت و AM وتعني بعد مير.

الفصل الخامس

بعض عمليات الموساد
ملف الموساد

العملية الأولى

لوتس مروض الخيول

(عين تل أبيب في القاهرة)

ولد لوتس ولفغانغ في المانيا عام 1921 من أم يهودية وفي ظل تصاعد العداء ضد اليهود في المانيا هاجرت هذه العائلة إلى فلسطين مع بداية عام 1933 بعد إنقضاء سنوات قليلة في فلسطين إلتحق لوتس بجيش الهاغاناه السري ثم بالجيش الإنجليزي واستطاع من خلال هذا الإلتحاق أن يلم باللغات الألمانية والإنجليزية والعربية والعبرية قبل قيام دولة إسرائيل عمل لوتس على تهريب الأسلحة للهاغاناه وحين أعُلن عن قيام هذه الدولة شارك ولفغانغ من خلال إنخراطه بالجيش في كل المعارك الحربية حتى أصبح أميراً للواء مشاه أثناء حملة السويس.

بعد إنتهاء حملة السويس اتصل رجال الموساد به لتجنيده ضمن صفوفهم وبعد خضوعه لساعات عديدة يومياً من التدريب لاتقان مختلف جوانب الجاسوسية وتلقيه لدراسات مكثفة لتاريخ مصر سياسياً وثقافياً صدر القرار بارساله إلى القاهرة ليتمكن من جمع معلومات عن الأسلحة السوفياتية لمصر وكذلك لمراقبة المستشارين الألمان الذين توافدوا إلى مصر في مختلف الاختصاصات وبالذات مهندسو الطائرات والطيران.

بيد إنه من الضروري تأمين تغطية مضمونة لشخصية قبل البدء في مهمته هذه فلقد تقرر أن يحتفظ باسمة الحقيقي وسيدعي أنه بقي في المانيا منذ مولده وأنه إنضم لجيش رومل في أفريقيا وخصوصاً أنه بات يعرف الكثير عن هذا الجيش من خلال استجوابه للأسري الألمان سابقاً (عن اتفانه للغته الأم).

بعد الحرب انتقل ولفغانغ كما شاءت له التغطية إلى استراليا وعاش فيها أحد عشر عاماً وهو يربي الخيول ويروضها ثم عاد إلى المانيا ومنها سافر إلى مصر حيث وصلها في كانون الثاني عام 1961.

وشرع هذا الجاسوس السائح الثري في الاتصال بأندية السباق المحلية وكان أول من تعرف عليه هناك يوسف علي غراب رئيس الشرطة العسكريه المصرية الذي قربه بعد فترة من أثرياء المجتمع المصري فأضحى ضيفاً دائماً على كل حفلات وسهرات هذا المجتمع.

بعد قضاء سته أشهر من انتدابه للقاهرة بدأ لوتس بارسال التقارير والمعلومات إلى إسرائيل حتى أصبح عين تل أبيب في القاهرة، التقى لوتس خلال إحدى زيارته لأوروبا لتقديم تقاريره بشقراء فاتنه تدعى فالترود مارتا نويمان وهي لاجئة من المانيا الشرقية مقيمة في أمريكا وكان بينهم حب وغرام انتهت بالزواج دون علم رؤسائه في الموساد الذين اعترضوا بادئ الأمر خشية أن يُؤثر هذا الزواج على مهام عمله لكن التقارير والمعلومات التي كان يقدمها والتي اتسمت بالدقة جعلت رؤساءه مرغمين على مرافقة زوجته له القاهرة.

عاد لوتس للقاهرة التي لحقته زوجته الجديدة اليها بعد أسابيع ليجد استقبالاً حافلاً من أصدقائه الذين غمروه بالهدايا والورود له ولزوجته.

وانطلق الزوجان في حياة اجتماعية حافله بالنشاط والمرح مع توسيع دائرة معارفهم حتى أصبحت شبكة هذه المعارف تضم الجنرال (فؤاد عثمان) والكولونيل (محسن سيد) وكلاهما لعبا دوراً أساسياً في الاستخبارات العسكرية المصرية ولتشمل الكثير من الألمان الذين يعيشون في القاهرة.

أيام وشهور ولوتس يمضي أيامه في تربية الخيول ومشاكلها وكذلك ارساله بكل المعلومات والتقارير التي يحصل عليها من شبكة معارفه عبر اللاسلكي لتل أبيب لكن سرعان ما إكتشفت أجهزة الترصد المصرية أن هناك بثاً لاسلكياً غريباً يبث في غير الأوقات المعروفة لبث السفارات الأجنبية والتي كانت متواجدة بكثرة قرب سكن لوتس وكذلك فهذا البث اللاسلكي يرسل رموزاً غير مألوفة، وبعد إجراء التحريات المطلوبه أيقن رجال المخابرات المصرية أن هذا البث مصدره سكن لوتس، اقتحمت مجموعه من الجنود مسكن لوتس مصدر الإرسال اللاسلكي ودهش ضابط الأمن عندما قال لهم لوتس ببرود: ستجدون الجهاز تحت بلاط الحمام وكذلك المتفجرات في

الواح الصابون وهناك أجهـزة أخـرى وكـذلك هنـاك أوراق نقديـة تصـل قيمتهـا إلى 75 ألـف دولار.

بدأ على الفور استجواب لوتس من قبل المخابرات المصرية الذي حاول أن يوهم المحققـين معهم أنه كان ضحية الموسـاد اضـطر لمسـايراتهم وارسـال تقـارير لهـم عـن وضـع مصر لأن الموساد قد وعدته بإقامة مؤسسة لتربية الخيل مساعدة له جزاء تقديمة لهذه المعلومات وأنه لم يكتشف الحاح الإسرائليين بطلب المعلومات وارسال الرسائل الملغومة إلى العلماء الألمـان إلا مؤخراً، وكرر الرواية التي كان قد لفقها إياه الموساد في حال افتضاح أمره من أنه ألمـاني خـدم ضمن جيش رومل في أفريقيا.

عرضت السلطات المصرية لوتس على طبيب أخصائي لتحديد هل هـو يهـودي أم لا فأكـد الطبيب أنه غير مختون وأنه بالتالي غير يهودي لم تكـن والـدة لـوتس ذات اعتقـادات دينيـة رغم كونها يهودية ولهذا فلقد تغاضت والدته وكذلك والده عن ختانه.

لم يكن المصريين متلهفين لإعدام لوتس حيث أنهم كانوا بوارد تحسين العلاقات مـع المانيـا الغربية وكذلك كانت الصحف العربية في ذلـك الوقـت مفعمـة بالحـديث عـن ايـلي كـوهين الجاسوس الإسرائيلي الآخر الذي اكتشـف بسـوريا وسـوء العلاقـات التـي كانـت قائمـة بـذلك الوقت بين سوريا ومصر بعـد الانفصـال عـام 1961 جعلـت السـلطات المصريـة تخفـف مـن الحديث عن هذا الجاسوس الذي مالت هذه السلطات إلى الإعتقاد أنه ألمـاني كـان يتجسـس لحساب إسرائيل.

في أثناء المحاكمه وجه لوتس رساله عبر وسائل الإعلام يؤكـد فيهـا جنسـيته الألمانيـة وأنـه نادم على ما فعل شاكراً للمصريين حسن معاملته في السجن "وإذا أراد الإسرائيليون مسـتقبلاً أن يبعثوا الجواسيس إلى مصر فليرسلوهم من بين قومهم ولا يجنـدوا الألمـان الشرفـاء للقيـام بتلك المهام".

انكرت زوجة لـوتس خـلال المحاكمـة علمهـا بعمـل زوجهـا التجسـسي وأعلنـت أن واجبها يقتضي منها الوقوف معه في أوقات المحن والشدائد، خلال هذه المحاكمة أيضـاً وردت رسالة من محام في ميونيخ واسمه الفرد زايدل بصفته محامياً عن عائلات ضحايا

الرسائل الملغومة كشف في رسالته هذه حقيقة لوتس بأنه مواطن إسرائيلي وأن أمه يهودية وملف كامل مدعوماً بالبراهين والوثائق.

لكن المحكمة رفضت كل تلك المعلومات من زايدل لأنها تهدف إلى تجريح المتهم.

في 21 آب 1965 اصدرت محكمة القاهرة أحكامها على لوتس بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة وبغرامة مالية وقيمتها 32539.5 جنية مصري وعلى زوجته بالسجن ثلاث سنوات وبغرامة الف جنية مصري ولم ينفذ حكم الأشغال الشاقة على لوتس بل عزز وضعه داخل السجن وحظي بامتيازات استثنائية في سجن ليمان طره، التقى لوتس بعدد من السجناء اليهود منهم فيكتور ليفي وفيليب ناتاسون وروبرت داسا.

وبعد حرب 1967 قاد السكرتير العام للأمم المتحدة أوثانت ومساعده غونار يارينغ مفاوضات بالغة التعقيد بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية للإفراج عن المسجونين بكلا الطرفين كان من نتيجة هذه المفاوضات الإفراج عن عشرة من جنرالات مصر بالإضافه إلى كبار الضباط من الجيش المصري مقابل إعادة الجواسيس الإسرائيليين العشرة إلى إسرائيل وقد تصدر قائمة أسماء هؤلاء الجواسيس أسماء ولفغانغ وفالترود لوتس وللمرة الأولى كشفت تل أبيب النقاب عن الحقيقة مما أذهل المصريين بحقيقة جنسية لوتس.

أطلق سراح لوتس وزوجته يوم 4 شباط 1968 وتوجهوا إلى أثينا ثم تل أبيب، بعد سنوات قليلة توفيت زوجة لوتس وقرر بعدها السفر إلى أمريكا حيث افتتح مع شريك آخر وكالة للتحقيقات الخاصة وتزوج هناك من امرأة إسرائيلية تدعي نأومي، ولكن لم تنجح الوكالة وأفلست وبقى معيله الوحيد هو المبلغ التقاعدي الذي قبضه من الموساد والبالغ 200 دولار شهرياً.

بعد زيارة السادات للقدس تضاربت الأمواج وتلاطمت في ذهن لوتس كما سماها في كتابه:

"لعلهم يسمحون لي العودة إلى مصر لأقيم مدرسة لركوب الخيل على ضفاف النيل قد لا يسمحون لي بذلك نهائياً، ولكن ذلك تمنى.

العملية الثانية

المخابرات الإسرائيلية في مصر

فضيحة لافون[1] تفصيلية.. انفجارات وقنابل في القاهرة والأسكندرية

البداية الحقيقية لعملية سوزانا (لافون)

في عام 1954 استقال بن غوريون من رئاسة الـوزراء ووزارة الـدفاع وتوجـه للاسـتيطان في "كيبوتس" مستوطنة سد بوكر في النقب.

وجاء بدلاً منه موشي شاريت في رئاسة مجلـس الـوزراء وبنحـاس لافـون في وزارة الـدفاع، وكان هذا الوقت وضع إسرائيـل دوليـاً في منتهـى التعقيـد، فالاتحـاد السـوفيتي أصـبح دولـة عظمى معادية، وبريطانيا عـلى وشـك الإنسـحاب مـن منقطـة السـويس، وأمريكـا الجديـدة برئاسة جنرال "دوايت إيزنهاور" تنكرت جزئياً لإسرائيل، وعلى جانب آخر بدأت بفـتح قنـوات اتصالات جديدة مع الرئيس جمال عبد الناصر.

دوافع العملية

كانت إسرائيل في هذا الوقت تعتقد بأن الدول العربية لـن تلبـث في الإنتقـام لكرامتهـا في حرب 1948 وتستعد لحرب جديدة ضد إسرائيل، فيجب توجيـه ضربـة وقائيـة لمصر قبـل أن تتسلح بالعدة والعتاد.

1972 في منتصف شهر تشرين الثاني "نوفمبر" صرحت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل لأحد المراسلين بأنها دُعيت إلى حضور حفل زواج يهودية من أصـل مصري كانت قد قضت 14 عاماً في سجون القاهرة بتهمة التجسس لحساب إسرائيل سرى النبأ كالبرق في إثارة ملاحظة مائير وعمل على ضجة كبـيرة خاصـة عنـدما ظهـر أن العروس ليست سوي فيكتورين نينيو إحدى أعضاء شبكة تجسـس خطـيره أدارهـا

(1) لافون: نُسبت إلى وزير الدفاع الإسرائيلي بنحاس لافون.

ونظمها جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية في مصر وعندما رفعت الرقابة الصحافية عن الموضوع بشكل مؤقت علـم الإسرائيليـون للمـرة الأولى أن أربعـة مـن أعضـاء هـذه الشـبكة التجسسية الذين زاولا نشاطهم في مصر تم استبدالهم في عام 1948 ولكن إكتشاف السلطات المصرية أمرها في العام 1954 نسفت العملية التجسسـية الإسرائليـة في مصر مـما أثـار ضـجة سياسية عظمى في إسرائيل كـادت تزلـزل الدولـة للـدفاع في ذلـك الحـين وظلـت المضـاعفات والأثار المترتبه عن إكتشاف الشبكة تتفاعل في إسرائيل بشكل خطير.

وكـان لم يكتشـف النقـاب البتـة عـن هـذه المضـاعفات ومـا أدت اليـه حتـى أن الرقابـة الصحافية لم ترفع عن قضية لافون سوي عشرة أيام فقط عادت من بعـدها الرقابـة الجديـدة مرة أخري فتم زواج فيكتورين نينو دون التقاط الصور التقليدية ومنعت الصحافة عـن ذكـر أسماء الزعماء السياسين والعسكريين الذين حضروا حفل الزفاف كما مُنعت الصحافة من ذكر قصة حب فيكتورين التي انتهت بالزواج.

فقبل سبعه عشر عاماً وفي تموز "يوليو" 1954 أمـر رئـيس جهـاز الاسـتخبارات العسـكرية الإسرائيلية الكولونيل بنيامين جيبلي أحد أعوانـه الميجـور أفـري إلعـاد واسـمه المسـتعار بـول فرانك بتكوين شبكة تجسس يكون نواتها اليهود المصريون وهدفها عرقلـة ومنـع حـدوث أي تقارب بين الولايات المتحدة ومصر.

ولكن سوء الحظ لعب دوره عندما اشتعلت إحدى المتفجرات في جيـب العميـل المكلـف بوضع المتفجرات بدار سينما ريو.. تمكنت الاستخبارات المصرية من القبض على اثنـان آخـران تم إعداهما بعد محاكمتهما واثنان تم تبرئتهم من التهمة أما الستة الباقون فقد حكم عليهم بالسجن وحكم على فيكتورين بالسجن أيضا 14 عاماً.

بعض هؤلاء أكمل مدة حكمه والبعض الآخر لم يكملها إذ جرت مبادلته مع أسرى الحرب المصريين أما الشخص الإسرائيلي (إفري إلعاد) الذي نظم الشبكة وخطط عملياتها فقـد تمكـن من الهرب.

المهم في الموضوع أنه بعد افتضاح أمر هذه الشبكة واعتقال السلطات المصرية أفرادها استقال وزير الدفاع الإسرائيلي بنحاس لافون وأنكر أن يكون قد أصدر الأوامر بتكوين هذه الشبكة في مصر.

وثارت الضجة في إسرائيل وفرض الجيش رقابة مشددة على جميع التقارير المتعلقة بالحادثة وظل النزاع السياسي حول من أعطى الأوامر بتكوين هذه الشبكة التجسسية في مصر دون حل طوال سبعة عشر عاماً بالرغم من تشكيل تسع لجان تحقيق لهذا الغرض بالرغم من الاستفسارات العسكرية العديدة المتعلقه بالموضوع.

ونشب أثر ذلك صراع على السلطة استمر سنوات بين بن غوريون والأتراك الشبان في حزب الماباي من جهة وبين الصهاينة القدامى الملتفين حول بنحاس لافون من جهة أخرى وفي الوقت نفسه نشب صراع مشابه بين الجناح المدني والجناح العسكري داخل مؤسسة الاستخبارات الإسرائيلية مما أدى بالنتيجة إلى تعيين أيسر هارل مديراً للأمن العام والاستخبارات الإسرائيلية.

وبعدما اُلصقت التهمة بضابط الاستخبارات الإسرائيلية أفري إلعاد وأُجبر على كشف خفايا وملابسات تكوين الشبكة التجسسية ونشاطها برئت ساحة وزير الدفاع السابق لافون نهائياً.

ومع ذلك استمرت الحادثة في إثارة الكثير من الشكوك في إسرائيل وأدت إلى تغيير العديد من الحكومات وإستقالة بن غوريون ووقوع إنشقاق في صفوف حزب الماباي الحاكم وبالرغم من الأنباء المتسربة من وقت لأخر ظلت الحقيقة عن فضيحة التجسس مجهوله تماماً وظل الصراع السياسي الذي نشب في إسرائيل في أعقاب إكتشافها مستوراً.

كيف تكونت شبكة التجسس الإسرائيلية في مصر وكيف زاولت نشاطاتها والمضاعفات السياسية من خلال تحقيق دقيق واسع شمل العالم باسره.

القلق الإسرائيلي

في عام 1951 جمع الكولونيل حاييم هرتزوغ رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية رؤساء المنظمة (شاي بيت) وكان البند الوحيد على جدول أعمال هذا الاجتماع الطارئ هو التجسس في مصر ولأكثر من ساعة بحث فيفيان لاسم مستعار لحاييم هرتزوغ مسألة كيفية تعزيز مصادر المعلومات التجسسية عن مصر علماً بأن الوكالة اليهودية في عام 1944 قد أقامت محطة استماع في القاهرة تحت ستار ناد للجنود استغل مدير النادي ويدعى يعقوب زور رواد النادي هذا ليجمع التقارير المنظمة عما يتحدثون فيه من معلومات ليرسلها مباشرة للزعماء الصهاينه.

وفي آواسط 1945 تمكن دافيد هاميري الذي كان يشرف على هجرة اليهود غير الشرعية من البلاد العربية من إنشاء مركز في مصر ووضعه تحت إشراف عملية للهاغانا تدعى روث كليجر مهمتها إنشاء وتجديد أول شبكة تجسُسية لصالح العدو.

بعد هزيمة المانيا تحولت عمليات استخبارات الهاغانا في مصر إلى شخص يدعي ليفي إبراهامي ليشكل شبكة ليس هدفها فقط التجسس السياسي والعسكري بل أيضا لتقوم بعمليات التخريب والتدريب على السلاح.

في عام 1948 وبعدما قامت الجيوش العربية بدخول فلسطين طلبت المخابرات العسكرية الإسرائيلية من رجل الموساد الدكتور فيكتور سعدي وهو طبيب يعمل في المستشفي اليهودي في القاهرة ان ينظم خليه تجسس جديدة ونجح سعدي في إقامة هذه الخلية من عدد صغير من الصهاينة داخل مصر استطاعت هذه الخلية نقل معلومات عسكرية مهمه إلى داخل إسرائيل.

بعد قيام ثورة 1952 استطاعت الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية زرع أحد أكفأ عملائها في القاهرة وهو الكابتن موشيه بينيت واسمه السري ماكس وذلك بعدما ارسلته الاستخبارات الإسرائيلية إلى ألمانيا وحصوله على الجنسية الألمانية ليدخل بها القاهرة تحت ستار ممثل لشركة لصنع الأطراف الاصطناعية.

خلال هذه الفترة إحتل الكولونيل بنيامين غيبلي مكان حاييم هرتزوغ في رئاسة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الذي وجد بدوره أنه لابد من إنشاء شبكة تجسس

جديدة بالقاهرة تغذي الجهاز القائم وتدعمه، من هنا تم ارسال الكابتن إبراهـام دار لإنشـاء هذه الشبكة الجديدة والذي وصل للقاهرة حاملاً جواز سفر بريطاني باسم مستعار.

استطاع دار والدكتور سعدي ضم فيكتورين نينيو وعمرها 34 عاما وهي لاعبة اولمبية من والد تركي وأم يوغوسلافية لتكون نواة الشبكة الجديدة ونشـطت فيكتـورين في توسـيع هـذه الشبكة حيث ضمت لها الدكتور مـوريس مـرزوق الـذي بـدوره اسـتطاع ضـم إيـلي يعقـوب ناجيم ونصير جوزيف كوهين ومئير مايوماس ومئير زعفران للعمل ضمن هذه الشبكة.

وبمساعدة فيكتورين تم إنشاء خلية الإسكندرية من فيكتور لافي وصموئيل عازار وفيليـب ناتانسون ولاحقاً إيلي كوهين.

وسافرت شـبكة مـرزوق وعـازار إلى إسرائيـل سراً للتـدرب عـلى السـلاح وزرع المتفجـرات وكذلك على إدارة عمليات البث بالراديو لتوصيل المعلومات.

في ذلك الوقت بدأ القلق الإسرائيلي من تقارب بريطاني أمريكي مصري تمثل في بيع طائرات بريطانية إلى مصر فضلاً عن الوصول لاتفاقات حول الجلاء عن قناة السويس وعـن السـودان كذلك بدا إن هناك سعياً أمريكيا لتكـوين صـداقات مـع زعـماء الـدول العربيـة عـبر الطـرح الأمريكي بتدويل القضـية وتـزامن كـل ذلـك مـع دعـم حكومـة جـمال عبـد النـاصر لغـارات الفدائيين داخل اسرائيل ومع تعزيز القوات المسلحة المصرية.

الشبكة تتحول إلى أعمال التخريب

راجع بن غوريون مع بينامين جيبلي[1] التقـارير السريـة الـواردة مـن شـبكة التجسـس في مصر من القاهرة والإسكندرية وقـدروا أن الوضـع قـد حـان للقيـام بنـوع جديـد مـن المهـام "تخريب المنشأت الأمريكية والبريطانية" وإظهار هذه الأفعال بأنها من صنع الشيوعيين.

(1) جيبلي: قناة الوصل بين الشبكة والموساد.

لكن لافون وزير الدفاع بعد علمه بالمهام الجديدة لشبكات التجسس عارض هذه المهام التخريبية لكن أمام إصرار دايان وبن غوريون بدء تحضير هذه الشبكات للقيام بالعملية وقد أرسل الكولونيل أفري إلعاد[1] إلى مصر وبحوزته جواز سفر ألماني مزور باسم بول فرانك بعد أن نزعت عنه آخر دلائل يهودية ففي عملية جراحية مؤلمة أُعيد الأمر إلى ما كان في السابق وكأنه لم يختن.

استطاع إلعاد أن يدخل سريعاً إلى قلب المجتمع المصري متظاهراً بمعاداته العنيفة للصهيونية كونه ذو ماضي نازي كما إدعى.. حتى أن الحاج أمين الحسيني[2] دعاه مرة إلى الغداء.

استطاع افري خلال المدة القصيرة التي قضاها بأول زيارة له للقاهرة أن يجمع معلومات دقيقة عن المواقع المصرية في سيناء والتي أثبتت فعاليتها في الحملة الإسرائيلية عام 1956.

قنابل في علب النظارات

يوم الإثنين الموافق 12 تموز "يوليو" استلم "أفري إلعاد" الأوامر للقيام بعمليات التخريب من خلال صوت إذاعة إسرائيل حيث أُذيعت إشارة متفق عليها "الكعكه الإنجليزية" ضمن برنامج يومي خاص بربه البيت.

وكان أفري قد اختار المكتبات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية ضمن المرحلة الثانية من عمليات التخريب.

أن يختار فريقاً من رجلين للقيام بإلقاء القنابل في كل من المدينتين (القاهرة والإسكندرية)، ووعد بأن يجتمع مغ الفريق العامل في القاهرة قبل يوم واحد من قيامه بعملية التخريب الجديدة.

وكان ظهر يوم الثلاثاء تقابل إفري في مقهي "جروبي" القريب من محطة السكك الحديدية يبحث في الأمر مع لافي وناتانسون[3].

(1) أفري إلعاد: معروف باسم إبراهام زايدنبرج ضابط الاستخبارات الإسرائيلية.

(2) الحاج أمين الحسيني: أحد مشايخ القدس.

(3) ناتانسون: يهودي مصري يعمل في عمر أفندي من فريق التخريب.

اقترح أن يقوم ثلاثتهم بإكتشاف الأهداف التي ستجري، ورافقهما إلى المكتبة الأمريكية "6شارع الشيخ بركات" التي تبعد مسيرة 10 دقائق من جروبي.

لم يخف الشابان إعجابهما بهدوء افري وهو يبين لهما الأماكن التي يجب وضع المتفجرات فيها ويؤكد أن العملية سهلة وعليهما أن ينصرفا قبل وقت قصير من موعد إغلاق المركز للتأكد من عدم وجود أحد عندما تنفجر القنابل، الشيء الذي سيسمح للنار بالإنتشار على نطاق واسع قبل أن يلاحظ أحد.

وبعد أن غادر المكتبه لاحظ إفري أن حُراس الباب يدققون في الرزم الكبيرة فقرر أن لا توضع القنابل في صناديق خاصة بالمطهرات بل في علب نظارات توضع في الجيب وتباحث في هذا الأمر مع مرؤسيه الإثنين فوعدهم لافي بأن يرتب عملية شراء علب النظارات.

التحضير داخل سيارة

لقد ساور القلق شبكة التجسس بسبب نفاد مواد التفجير منهم خاصة بالنسبة إلى حامض الكبريتيك وأثار إفري مسألة تزويدهم بهذه المواد مع المركز في تل أبيب فوعدت تل أبيب بإرسال ما يحتاجون إليه من هذه المواد لكن هذا الموعد لم يتحقق.

ولم يلبث لافي أن طمأنه لتطوع عازار[1] بتقديم خدماته للحصول على المواد الكيماوية الضرورية من مختبر المدرسة التي يعمل بها.

ابتسم افري وربت على ظهر لافي بكثير من الحب والإعجاب مقترحاً أن يجتمعوا مرة ثانية بعد ظهر اليوم التالي لتحضير القنابل وبالفعل حمل عازار المواد الكيماوية إلى ناتانسون في وقت مبكر من يوم الأربعاء كما وعد لكن عندما وصل إلى المكان المتفق عليه كان عازار قد غادر المكان.

ولم يتبقى للافي وناتانسون سوي دقائق فقط للحاق بالقطار المتجه إلى القاهرة فاستقلا سيارة إلى المحطة.

(1) صمويل بلفور عازار: مهندس مؤسس خلية الإسكندرية.

وفي الساعة 2.45 بعد الظهر دخل القطار السريع الأتي من الإسكندرية محطة القاهرة متأخراً عدة دقائق كما هي العادة.

وجد الرجلان أن الوقت لا يزال مبكر على مقابلة افري حسب الموعد فقررا حضور فيلم أمريكي جديد يُعرض في سينما "ريو" ولم يكملا مشاهده الفيلم إلى نهايته إذ كان عليهما أن يُقابلا افري في الساعة الخامسة والنصف في زاوية الشارع حيث تقع سينما "ريو".

سأل افري عن الحامض وحافظات النظارات أو علب النظارات فاومأ لافي برأسه مشيراً إلى أنها موجوده وكان افري قد أوقف سيارته في شارع هادئ يطل على النيل وعلى مسافة قريبه من المكتبة الأمريكية المطلوب نسفها.

لقد اختار افري مكاناً ضيقاً "خصيصاً" ليتوارى عن الأنظار داخل السيارة فلا يستطيع أحد معرفه رقم السيارة وأن أمكن معرفه لونها وماركتها وفضل أن يخرق اجراءات الأمن على ان يخاطر استئجار غرفه في فندق.

وخلال العشرين دقيقه التاليه كانوا جميعاً جالسين داخل السيارة يُحضرون القنابل وعندما انتهوا من عملهم تطلع افري إلى ساعته فوجدها تشير إلى السادسة وخمس دقائق.

وقبل أن يسمح لرجاله بالإنطلاق تأكد من انهم لا يحملون شيئاً يدل علي هويتهم وأمر لافي أن يقابله في الإسكندرية في وقت متأخر من صباح الخميس للتشاور في نتيجة العملية.

ثم تمنى لهم حظا سعيداً وودعهم بشالوم حارة وعندما اختفوا خلف الزاوية ابتعد بسيارته.

حرق المكتبات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية

لم ينتبه الحراس عندما دخل لافي وناتانسون المكتبة لأنهما لا يحملون طروداً ظاهرة للعيان.

توجهه رأساً إلى دليل البطاقات وإختار بعض الكتب وقدما البطاقات لعامل المكتبه.

وانتظر الرجلان بضع دقائق قبل أن يُسلمهما أمين المكتبه الكتب التـي اختاروهـا وهكـذا جلس لافي وناتانسون يقرأن وكأنهما لا يحفلان بكل ما يجري من حـولهما وعنـدما رن جـرس الانصراف واستعد أمين المكتبه لإغلاق مكتبته وضع كل من الرجلين قنبلته عـلى الـرف خلـف الكتب وخرجا وهما يتجادلان وكانهما غارقان بنقاش مهم وقبل الساعة الثامنة مسـاء بقليـل ركبا الباص عائدين إلى الإسكندرية في الوقت نفسه وصل داسا وعازار[1] إلى المكتبة الأمريكيـة في شارع فؤاد بالاسكندرية وكان داسا الذي حضر القنابل في الشقة التي كانـت مركـزاً لقيـادة الشبكة بالإسكندرية قد وضع حافظات النظارات عـلى رفـين مختلفـين بيـنما جلـس عـازار في غرفة المكتبة يراقب المكان للتأكد من عدم وجود أحد يراقبهما.

وفي السـاعة 9.20 رصـد ضـابطا بـوليس تناوبـا الحراسـه في المنطقـه المجـاورة للمكتبـة الأمريكية في القاهرة الـلـهيب المنبعث من المكتبه فاسرعا إلى استنفار رجال المطافئ.

وبعد ثلاثين دقيقة تمكن رجال الإطفاء من إخماد النيران ولكن بعد أن كانت قد أتت على المصابيح وصناديق الكتب وأتلفت نحو 500 كتاب وقد قُدرت الخسائر وقتها بــ 1500 دولار وساد الإعتقاد في بادئ الأمر أيضاً بأن عقب سيجارة كان السبب في الحريق.

لكن بعد يومين فقط عندما كتب ضـابط الأمـن في السـفارة الأمريكيـة إلى مـدير بـوليس القاهرة عن إكتشافه آثار مواد تفجيريه بين الحطام اعتبرت السلطات المصرية رسمياً الحادث عملية تخريب.

وفي الإسكندريه إكتشفت الشرطة في وقت لاحق أن سـارية الإطفـاء وصـلت بعـد خمـس وأربعين دقيقة من إغلاق المكتبة أبوابها.

(1) داسا وعازار: يهوديان من أصول مصرية تم تجنيدهما عام 1952.

لكن اللـهيب كان بارزاً حتى أنه إكتشف بعـد بضـع دقـائق مـن تصـاعده ولم تظهـر أي دلائل على وجود حريق متعمد كما لم يتسبب الحريق في أي أضرار.

وقال شهود عيان ومُخبرون وصحافيون أن النار انتشرت مـن قاعـة المطالعـة الرئيسـية إلى قاعة عرض الأفلام في المكتبة والتهمت عدداً كبيراً من الأفلام والكتب قبل إطفائها.

لم يعد أي مكان محصن ضد القنابل

عُثر على متفجرة داخل صندوق بالإضافة إلى بعض الملابس لزيادة وزنها في مخزن الأمانات في محطة السكك الحديدية في القاهرة وكان متوقعاً للنـار التـي سـتندلع نتيجـة الإنفجـار أن تمتد إلى مخزن أخشاب مجاور مما يزيد من الأضرار. تصـاعد الخـوف في كـلا المـدينتين بيـنما كانت صفارات سيارات الإطفاء تزعق وترسل عويلها بين الشوارع.

لم يعد مكان يُعتبر محصناً ضد المتفجرات ولم تتوافر دلائل لدى المسؤولين في الشرطة عـن تورط الجماعات المتطرفة في هذه الأعمال وقامت خليـة الإسـكندرية بالعمـل مـرة أخـري في الأسبوع الثالث من تموز "يوليو" ففي الثالث والعشرين من الشهر قام الفريقان اللذان عمـلا قبل أسبوع بمحاولة نسف أهداف جديدة أمر داسا وعازار بنسف محطة السـكك الحديديـة في القـاهرة وداريـن للسـينما أيضـاً كـما أمـر لافي ناتانسـون بنسـف دور السـينما فقـط في الإسكندرية.

ولهذا الغرض وُضعت حقيبة ملابس تحتوي بداخلها على المتفجرات داخل عربة القطار.

أما بالنسبة إلى دور السينما فقد كان من المقرر أن يدخل أعضاء الشبكة اليها قبـل نهايـة العرض الأول ثم يضعوا في كل منها حافظة نظارات تحتـوي عـلى قنبلـة حارقـة عـلى أن يـتم وضع القنبلة بين حواشي المقاعد ثم يغادرون المكان قبل نهاية العرض.

وقد إختار افري مع لافي الأهداف المستهدفة لنسفها في الإسكندرية، كما حـدث مـن قبـل على أن يقوموا بمراقبة نتيجة العملية من القاهرة.

عطلة الأسبوع مع عشيقة

وبعد ظهر يوم الجمعه الموافق 23 تموز وبعد 25 دقيقة من وصولهما إلى القـاهرة تقابـل داسا وعازار مع افري في تقاطع شارع فؤاد الأول بجوار "الغراند اوتيل".

أعاد الجاسوس الإسرائيلي أوامر المهمة وحدد الأهداف التي سيجري نسـفها، وهـي سـينما راديـو وسـينما ريفـولي.. وتعـود ملكيـة هـذه الـدور إلى الأخـوين محمـد ومصـطفى جعفـر وشراكائهما الأمريكيين.

وبعد أن تأكد من أن تعليماته ستنفذ حرفياً رافقهم بضع خطـوات إلى فنـدق "دو روز"[1] 33 شارع سليمان باشا حيث تسجل الرجلان باسمين مستعارين.

وما أن غادرهما افري حتي قاما بتحضير القنابل المحرقه ووضعاها في حافظـات النظـارات وتركا الغرفة ومعهما القنابل في الساعة السادسة مساء لكنهما لم يعرفا بأن داسا الذي كان قد وضع ترتيباته لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع عشيقته كارولين، لن يعود إلى المنزل قبل اليـوم التالي.

واعتقل ناتانسون بطريقه الصدفة

وضعت حقيبة الثياب في محطة السكك الحديد المركزية تحت اسـم "الـبرت" وأخـذ داسـا إيصالا بالحقيبة رقمه 98614.

بعد ذلك بخمسة عشر دقيقة إستاجر كل من الرجلين سيارة أجرة من أمام المحطة ليصـلا إلى دور السينما في الوقت المحدد.

واشتري عازار بطاقة بلكون في الصف السابع كرسي رقم 30 في سينما راديو أما داسـا فقـد جلس في الصف الثاني بلكون أيضاً كرسي رقم 4 في سينما ريفولي.

وبخلاف الأوامر الصادرة اليهما وضع كل منهما حافظة النظارات التي تحتوي على القنبلة تحت مقعديهما، وفي التاسعة مساء رجع داسا إلى الفندق أما افـري فقـد كـان في طريقـه إلى المنزل.

---

(1) في عمارة مكتبة الشروق الحالية.

ولم يوفق في محاولة نسف المترو في الإسكندرية إذ لم يتمكن من الحصول على بطاقـة لأن حفلة الماتينيه كانت مخصصه للسيدات فقط لذلك قرر تأجيل العملية.

أما ناتانسون فعندما وصل إلى سينما ريو كانت قـوة مـن البـوليس معـززة بوحـدات مـن رجال الجيش تحيط بالمكان، وكان رجـال التحقيقـات الجنائيـة بثيـابهم المدنيـة يُراقبـون كـل الأماكن العامة في المدينة، الكابتن حسن زكي المنياوي من محطة شرطة العطارين أخـذ موقعـاً له بالقرب من السينما بعد السابعه مساء بقليل.

كان يقف أمام مكتب التذاكر يراقب الجمهور عندما سمع فجاة صرخات استغاثة وشاهد شاباً علقت النار في سترته يركض خارج السينما.

أسرع مفتش الشرطة وطرحه أرضا في محاوله لإطفـاء النـيران، ابـان ذلـك وقعـت حافظـة نظارات من جيب سترة الرجل وانتشر مـن الحافظـة مسـحوق أسـود عـلى الرصـيف ففحـص المنياوي المادة بدقة وعرف فوراً أنها مواد أساسية تستعمل في صنع المتفجرات محليا.

الشاب الذي عَرف نفسه بأنه فليب ناتانسون أصر على أنه لم يُصب بسوء قـال للمفـتش: إن والدي طبيب ويستطيع أن يعتني بحروقي لكن المنياوي رفض إطلاق سراحه وكلـف قـوة من رجال الشرطة نقله بسرعه المستشفى المجاورة حيث لم يجد المسـؤولين لـدي تفتيشـه مـا يكشف عن هويته ما عدا بعض المتعلقات الخاصة به.

بعد ذلك نقل ناتانسون إلى مركز الشرطة في المنشـية لإسـتجوابه وكـان اعتقالـه مـن قبـل الشرطـة السريـة المصريـة بمثابـه رأس الخـيط لإكتشـاف حقيقـة القنابـل الغامضـة مـما أدى اكتشاف شبكة التجسس الصهيونية كلها.

فتح حارس السـجن في مركـز شرطـة المنشـية البـاب الحديـدي السـميك في نهايـة الـرواق وتنحى ليدخل أحد المخبرين .

كانت الزنزانة معتمة ورطبة وكان من الصعب على المخبر الذي يرتدي الملابس المدنيـة أن يميز الشخص الجالس على الأرض في الزاوية.

أمره المخبر بالنهوض فأطاع الشاب متثاقلاً وتبع المخـبر عـلى الـدرج ثـم عـبر رواقـاً أشـبه بالكهف إلى مكتب غير منظم في الطبقة الثانية حيث كان اثنان من المفتشين ينتظران.

وقبل أن يجلس فيليب ناتانسون على الكرسي المقدم له، فتح الباب ودخل سمير درويـش رئيس قسم التحقيقات الجنائية في الإسكندرية يتبعه بعض رجاله.

حياة المفتشان بإحترام بالغ بينما تراجع المخبر وأمـر درويـش بـأن يبـدأ الإسـتجواب وقـد وقف ينصت بهدوء لإنكار ناتانسون أن تكـون لـه أي علاقـه بحـوادث تخريـب دور السـينما والمكتبات التي وقعت أخيراً ثم ما لبث أن استشاط غضـباً وسـأله بحـدة شـديدة الاضـطراب وعن الجهه التي أمرته بالقيام بحملات التخريب.

هنا ظهر الاضطراب على ناتانسون إلا أن اضطرابه لم يستمر طويلاً فسرعـان مـا اسـتجمع قواه وعاد ليكرر براءته في حين وقف الرجال في الغرفة صامتين تماماً ثم غادر درويـش المكـان مع الرجال وطلب منهم استكمال التحقيق، والتمسك بهذا الخيط.

وقبل منتصف الليل ظهر أن الاستجواب وصل إلى طريـق مسـدود، عـاد درويـش ليكمـل التحقيق المبدئي وكان علي وشـك أن يـأمر بنقـل ناتانسـون إلى سـجن طـره حتـى يقـرر مـاذا سيفعل معه

وفي هذه اللحظة أمر المنياوي فريق المخبرين بتفتيش منزل ناتاسون وكانت النتائج بمثابة مفاجأة غير متوقعة.

لقد أدى التفتيش السريع للمنزل إلى إكتشاف رسائل جاء فيها ذكر رجل يدعى بول وظهر من فحوى هذه الرسائل أنه شخص مهم جداً بالإضافة إلى صور فوتوغرافية من روبـرت داسـا لفكتور لافي.

وهنا أخذ درويش طرف الخيط وواجه السجين بالقرائن المتوفرة في أشهر قضية سرية.

أصر على أنه شيوعي

ازاء ذلك غير ناتانسون أقواله بأنه شيوعي وأن أوامر صدرت اليه للقيام بأعمال إرهاب عشوائية ضد النظام.

لكن درويش غير من تكتيكه فأغرى السجين بتحسين أوضاعه إذا ما وافق على الإعتراف بكل ما يعرف ووعده المفتش بأنه إذ إختار طريق التعاون فإنه سيعمل على إنقاذ حياته.

وظل ناتانسون مصراً على أقواله.

وبإشارة من درويش بدا استجواب من الدرجة الثالثه لكن ناتانسون تحمل هذا النوع من الاستجواب دون أن يغير أقواله ولم ينهار إلا عندما أخبره درويش بأن أمه أُعتقلت بتهمة الشك في إشتراكها بأعمال التخريب فأفضى بإعتراف كامل كاشفاً عن شريكه بيار الذي قام معه بأعمال التخريب.

ووقع لافي في الفخ

وفي الساعة عشرة ونصف من ليلة الجمعه أي بعد مرور خمس ساعات على اعتقال ناتانسون كتب المحقق تقريره الأول مشيراً إلى أن السجين هنري تموز وهو قاما بشراء حافظات النظارات من متجرين في الإسكندرية يمكلهما اختصاصي العيون موران حايك.

وبالرغم من أن التقرير أكد أن الدلائل لم تُعزز من قبل ناتانسون ولما كان السجين لم يعترف الا قبل وقت قصير من بزوغ الفجر فقد تبين بوضوح أن البوليس كان يملك معلومات من مصدر خارجي.

وبعد مضي ساعتين على كتابه التقرير عرفت دائرة التحقيقات الجنائية اسم بيار الكامل وصدرت مذكرة اعتقال بحق فكتور لافي فوراً وقد تم اعتقاله في الساعة الرابعه صباحاً وكان قد عاد مبكراً إلى منزله بعد محاولته الفاشلة في تلك الأمسية ورجع إلى الشقة مقر الخليه التجسُسية من أجل اجتماع بن عازار كان قد تقرر مسبقاً

لتقييم الوضع فلم يجد زميله في الشقة فحاول الاتصال به تليفونياً لكن دون جدوى لذا تـرك مذكرة وغادر المكان.

في طريقه إلى منزله سمع لافي بالشائعات عن اعتقال ناتانسون فتخلص سريعاً من القنبله التي كانت في حوزته والتي لم يتمكن من زرعها في سينما مترو وقرر أن ينتظـر حتـي الصـباح قبل أن يطلب تعليمات جديدة من افري.

وفي ظهر يوم السبت وبعد استجواب طويل وشاق استسلم لافي أخـيراً للمحققـين وكشـف عن علاقته مع روجر داسا.

عازار يرتعد وافري يطمئنه

وأما افري الذي لم يكن يعلم شيئاً عن الاعتقالات فقد وصل إلى الإسكندرية قبـل العـاشرة صباحاً بقليل وقاد سيارته إلى مقهى في منطقه العطارين حيث كـان قـد اتفـق مـع لافي عـلى اللقاء لبحث في الموقف.

ولما تعذر على رئيس الحلقة التجسُسية في الإسكندرية المجئ في الموعد ذهـب افـري بعـد ساعتين إلى مكان بديل اتفقا عليه مسبقاً.

وهناك أيضاً انتظر دون جدوي فقرر الذهاب إلى المقر العام للحلقة لكنه عندما لم يسمع أي أصوات من الداخل ترك لـ لافي رسالة في صندوق البريد محدداً فيها موعداً جديد للقاء.

هذه المرة أيضاً فشل في الظهور، وبدأ افري يخشى حدوث تعقيدات غير متوقعة.

فعاد إلى الشقة في الخامسة مساء وانتظر عبرالشارع إطلاله أحد من الحلقة وأثناء وقوفـه في مدخل إحدى البنايات رأى عازار يهرول عبر الشارع فاتخذ احتياطات الأمن اللازمـة وبعـد أن تأكد من أن أحداً لا يلاحق عازار اتصل به ولم يكن عازار يملك أي تفسير لغياب لافي فأمره افري بأن يبحث عنه في منزله لكن الشاب المذعور إدعى أنـه لا يعـرف منـزل رفيقـه فـاقترح افري ان يبحث عازار عن ناتانسون بدلاً من لافي .

وبعد ساعة عاد وأخبر افري بقلق شديد عـن اعتقـال ناتانسـون وقـال إن أحـد الأصـدقاء العاملين في مركز الجمعية اليهودية أخبره بهذا الأمر.

عندما حاول افري طمئنة عـازار المضـطرب وتهدئـه روعـه قـائلاً: إن اعتقـال شـخص مـن الشبكة لا يعني اكتشاف أمر الشبكة كلها وعلى الأثر عكف على تقييم الوضع ثم قـرر اتخـاذ الخطوات التالية:

- عليهم أولاً أن يتخلصوا من أي دليل لا يزال موجود في شقة القيادة ثـم يسـتطلعوا مـا حدث لـ لافي.
- وأمر افري عازار بالذهاب لجلب مفتاح الشـقة وفي الوقـت نفسـه عليـه أن يسـتقصي أخبار لافي.

إعلام تل أبيب بالاعتقالات

بعد ساعة التقى الرجلان في المكان نفسه للمرة الثالثة في تلك الأمسية كان عازار في حالـة رعب رهيب عندما أخبر افري أن لافي أُعتقل بينما كان يغادر منزله.

وأضاف عازار قوله "لقد فتشوا شقته" لكنهم لم يجدوا شيئاً، ودون أي تعليق طلـب افـري من عازار أن يلحق به فقاما بسرعة بإتلاف الوثـائق الموجـودة في شـقة القيـادة ونزعـا جهـاز التقاط وجهاز ارسال دقيقاً، وعهد افري بهما إلى عازار أمـراً بـإتلافهما واحـتفظ بجهـاز راديـو دقيق غالي الثمن.

ولأن افري كان يعرف بوجود جهاز إرسال آخر مُثبت في كتاب لدى لافي حـث عـازار عـلى إيجاده فوعد عازار بأن يحاول لكنه أصر على وجوب عمل شيء قبل أن تـتمكن الشرطـة مـن الوصول إلى الأعضاء الذين لا يزالون طُلقاء.

لكن افري رفض إختيار طريق محدد للعمل قبل اجتماعهما في اليـوم التـالي وأمـرهُ بـبرود بالرجوع إلى المنزل.

وقد وافقه عازار متردداً وما كادا أن يذهبا حتى وصلت قوة كبيرة من الشرطة إلى المكان.

وفي وقت متأخر من ليلة السبت علم افري بـأن السـلطات تضـيق الخنـاق عـلى الشـبكة فقرر أن يعلم المركز في تل أبيب بتفاصيل الاعتقالات.

وبسبب فقدانه جهاز الاتصال مع مقر قيادة الاستخبارات العسكرية أرسل تلغرافاً مفتوحاً إلى المانيا هذا نصه "افلس بيار ـ لافي انتظر لانقاذ الاستثمار ووقع البرقية باسم ابنه" وهكذا ارسلت البرقية إلى تل أبيب بواسطة البريد العادي.

بعد ذلك بثمان وأربعين ساعة أمر جهاز الاستخبارات العسكرية ماكس بينيت بمغادرة القاهرة لكن ماكس كان يشعر بأمان تام فقام فقط بإرسال عائلته وظل هو في القاهرة.

مواصلة أعمال التخريب لتضليل التحقيق

وفي صباح الأحد الباكر أسرع عازار لملاقاة افري في المكان المتفق عليه وقال عازار إن ناسا لا يزال في القاهرة ولكن افري كان مهتماً بالموجودين رهن الاعتقال، وأكد الحاجة إلى تجديد أعمال التخريب لوضع الشرطة في مأزق وإخفاء شبه الجريمة عن الرجلين المعتقلين.

وأمام إصرار عازار على عدم التورط من جديد وعد افري بجمع العناصر الموجودة في مصر لمتابعة عملية التخريب وقال إننا نملك كثيراً من هذه العناصر وفي اجتماع صباح الإثنين وصل عازار وهو في حالة مضطربه للغاية فلقد اتصل بمنزل داسا وعلم من أهله بأمر اعتقاله.

وكان داسا قد أمضى عطلة نهاية الأسبوع في القاهرة ثم ركب القطار المتوجه للإسكندرية صباح الإثنين وكان عدد من المخربين في انتظاره في محطة سكك حديد الاسكندرية فأُعتقل وأُرسل إلى مركز بوليس المنشية حيث قام بإستجوابه السيد درويش.

وعلم افري في وقت لاحق أن داسا انكر معرفته بعمليات التخريب لكن لدى مواجهته بكل من ناتانسون ولافي اللذين اعترفا بتورطُه عاد فأكد إشتراكة في العمليات وبعد اعتقال ثلاثة من أعضاء الحلقة أصبح اعتقال عازار محتماً لذلك إقترح عليه افري أن يغادر البلد برفقته.

تردد عازار في البداية ثم ما لبث أن وافق، وقد اتفقا على أن يتقابلا مرة اخري في 28 تموز.

وفي اجتماع 28 تموز اتفقا على أن يُغادرا مصر معاً كما اقترح افري.

لم يقع إفري في الفخ

بعد ظهر يوم الأربعاء الموافق 28 تموز وقبل موعد اللقاء أخرج افري سيارته من الجراج حيث أبقاها يومين لإعادة طلائها وقبل الثالثة مساء بوقت قصير أوقفها خلف فندق سميراميس ومشى باتجاه شارع البنوك القريبة.

وعندما اتجه نحو الناصية رأى عازار يقطع الشارع ذهاباً وإياباً في حالة عصبية دون أن يحمل حقيبة ثيابه ولما راه عازار لم يبذل أي جهد في تحاشي القيام باتصال مكشوف معه بل مشى نحوه دون أي مقدمات أخبره بأنه يجب أن يبقي في مصر وقال له أنه لا يستطيع أن يترك أُمه مريضة ويغادر البلد.

وحاول افري اقناعه أن يغير رأيه لكن عازار رفض بعناد ومع ذلك قرر افري أن يمنحه فرصة أخري فحدد لقاء آخر هو 2 آب وبعد مرور الأيام الخمسة وصل افري إلى مكان اللقاء المتفق عليه بالقرب من سينما مترو قبل الوقت المحدد.

وكان على وشك أن يقترب من زاوية الشارع حيث قرر أن يقابل عازار عندما شاهد رجال الشرطة.

بعد ذلك بلحظات جاءت سيارة السجن تنقل عازار وأنزله البوليس في المكان المحدد لملاقاه افري لكن افري كان قد غادر المكان بهدوء.

وقد ذكر تقرير البوليس في وقت لاحق أن اعتقال عازار تم قبل أربعه أيام يوم الخميس الموافق 29 تموز في العاشرة والنصف عندما كان متجهاً إلى منزله، وقام رجال دائرة التحقيقات الجنائية معززين برجال الامن العام باستجواب عازار ليلاً نهاراً.

وعندما فتشوا شقته وجدوا الأجهزة التي أمره افري بالقائها في البحر إعترف بدوره في حوادث إلقاء القنابل وقال أنه قابل روبرت افري الذي لا يعرف سوي اسمه المستعار وكان عليه أن يلتقيان مرة ثانية في الثاني من آب (أغسطس).. وكان القبض على عازار بمثابة الطعم للقبض على الشبكة بالقاهرة.

موسى ليتو مرزوق[1] المسئول عن فرع القاهرة يعترف بدور فيكتورين نينو الشهيرة (بمارسيل) مسئولة الاتصال بين خلايا التنظيم

اتهم عازار[2] بأنه أصبح السبيل إلى اعتقال أعضاء خلية القاهرة للتجسس فمن خلال إعترفاته تمكنت الشرطة من اعتقال زعفران وميوحاس كما أن عتقال هذين الشخصين أدى إلى القبض على أعضاء آخرين هم إيلي نعيم، وإيلي كوهين، ومرزوق.

وعندما سُئل زعفران عما إذا كان يعرف شيئاً عن بول المذكور اسمه في الرسائل التي ضبطت في شقة ناتانسون أجاب ببساطة بألتاكيد إنه الاسم الذي كان يتستر به الدكتور مرزوق وبالرغم من معرفته بالاعتقالات التي تمت في القاهرة والإسكندرية ظل الجراح الشاب موسى ليتو مرزوق يذهب إلى العمل في المستشفى إلى أن اعتقله مخبروا دائرة التحقيقات الجنائية ورجال المخابرات.. في الاستجواب الأول كشف مرزوق بعض التفاصيل عن الآله الصهيونيه أو الجهاز الصهيوني في مصر واعترف أن الشقة التي استعملت كمركز للقيادة في الإسكندرية لم تستعمل فقط لنقل الإشارات والرسائل اللاسلكية بل كانت أيضا مكاناً للقاء ضباط الاستخبارات الإسرائيلية الذين كانوا يأتون إلى مصر دورياً لغرض التفتيش.

وادعى مرزوق أن أحد هؤلاء الضباط الأسرائيليين موجود حالياً في القاهرة لكنه لا يستطيع أن يدل الشرطة عليه لأنه كان يتصل به من خلال كلود نينو الواسطة بين حلقتي شبكة التجسس وبين المركز في إسرائيل وكان اسم فيكتورين سابقاً قد تردد على السنة المتهمين الآخرين فصدرت فوراً مذكرة باعتقالها.

وتبين أن الفتاة المعروفه باطلاعها الوثيق لم تعلم عن الاعتقالات إلا بطريق الصدفة.

حاولت الاتصال بـ "بينيت"[3] عن طريق رسالة تركتها في مكان متفق عليه لكن عندما لم يظهر في الاجتماع إعتبرت أنه من الخطورة بمكان بقاءها في المدينة.

(1) د. موسى مرزوق: طبيب بالمستشفى الإسرائيلي ومسئول عن خلية القاهرة

(2) صويل عازار: مدرس بهندسة الإسكندرية مسئول خلية الإسكندرية في البداية.

(3) ماكس بينيت: حلقة الاتصال بالخارج والداخل.

وهكذا أخذت أجازة بحجة البقاء إلى جانب والدتها المريضة وتسللت بهدوء إلى الإسكندرية لكن قلقها آثار الانتباه.

فبعد وقت قصير من مغادرتها المكتب تلقت شرطة القاهرة رسالة هاتفية من إحدى رفيقاتها في العمل كانت قد ارتابت فيها وأصبحت تشك في تصرفتها.

وفي الوقت الذي اندفع المخبرون إلى شقتها كانت هي قد غادرت الشقة ولكن الشرطة وجدت في الشقة أكثر مما كانت تتوقع وجدت جثة جارها الياهو ارماند كارمونا الموظف في شركة هليوبوليس معلق بإحدى دعامات سقف الحمام.

إدعت فيكتورين في وقت لاحق أن الياهو انتحر لأن ابنته تعيش في إسرائيل وخشى أن تشك السلطات بأن له ضلعاً مع الصهاينة.

ولاحق رجال التحري بفكتورين إلى منتجع بالقرب من الإسكندرية واقتحموا غرفتها في الوقت الذي حاولت القفز من النافذة.

ولدي مواجهتها بالقرائن التي أدلى بها رفاقها المُتآمرون إعترفت أخيراً بدورها في الشبكة لكنها أنكرت معرفة المكان الحقيقي لماكس بينيت وقالت إنها تعرف فقط رقم سيارته.

اعتقال بينيت

وكانت فيكتورين قد اقتربت مرة من بينيت بشكل غير حذر عندما كان بصحبة بعض رجال الاستخبارات وعلم أحدهم بهذه المقابلة.

ومن خلال هذه المعلومات بالرغم من ضآلتها أمكن الترصد لبينيت، فقد قامت الشرطة بالبحث في منطقة الزمالك إلى أن وجدت سيارته الشيفروليه الزرقاء وبعد إجراء تفتيش دقيق في شقته إكتشف رجال التحري وجود جهاز إرسال في خزان الزيت وأقاموا كميناً له في الجراج.

ويوم 12 آب أغسطس في الثالثة صباحاً عندما حاول بينيت الاتصال بتل أبيب فتم اعتقاله متلبساً بالجرم المشهود لعدم معرفته بإعترافات أعضاء الشبكة في نفس الوقت استمر افري بإلقاء القنابل بنفسه في محاولة لإرباك البوليس المصري.

وهكذا في الرابعة من مساء يوم 27 تموز يوليو ركب شاطئ المكس بجوار القاهرة وفجر بقنبلة مولوتوف خط أنابيب الزيت وخزانات البنزين التابعة لشركة شل.

وبعد ذلك بيومين استعار سيارة صديق له وسافر إلى الإسماعيلية.

وعند بدء العشية وبينما كان ماراً بمخيم للجيش البريطاني في منطقه القناة قذف الحراس بالقرب من البوابه الأمامية بقنبلة يدوية وأسرع بالهروب.

بعد اعتقال عازار توصل افري إلى القناعة بأن اعتقاله سيسئ إلى الاستخبارات الإسرائيلية أكثر من هجرة الشبكة وكان من الضروري أن يغادر مصر ولخوف من احتمال إقدام البوليس على غلق الحدود عدل عن الخطة السابقة بالهرب عن طريق ليبيا وعلى سبيل التضليل اشتري بطاقة سفر ظهر الباخرة اليونانية اغامنون وأعلم كل أصدقائه الألمان بأنه سيبحر في الحادي والعشرين من آب أغسطس.

وعن طريق وسيط يدعى كيل وهو يوغوسلافي صاحب كاراج أجرى الترتيبات لبيع سيارته، وبكل هدوء أجرى المعاملات الجمركية اللازمة وقبض 900 دولار مقدماً ووقع أوراق تحويل ملكية السيارة إلى السيد مسعد حسن حسنين.

ويوم 4 آب قام افري بآخر رحلة له للقاهرة وهناك سلمه أحد الألمان وثائق مصرية سريه خطيرة برهنت عن قيمتها العظمى بأن حرب السويس في عام 1956 بعد ذلك بثمان وأربعين ساعة ركب طائرة الخطوط الجوية العالمية "تي دبليو أي" من مطار القاهرة الدولي إلى روما.

التستر على كوهين

بدأ البوليس المصري بحثه عن روبرت بعد وقت طويل من مغادرة افري مصر .. بينيت آخر من اعتقل كان خلف القضبان منذ أسبوع عندما توافرت لدى المحققين المعلومات عن بول فرانك 21 آب وبعد ان ثبت ضلوع فرانك في حوادث إلقاء المتفجرات صدرت مذكرة باعتقاله.

وعلاوة على افري حاول فيكتور سعدي وإيلي كوهين وأعضاء آخرون في الشبكة لم تعرف هوياتهم مراوغة البوليس.

وفي اليوم الذي أُعتقل فيه عازار توقف كوهين في مقهى في الطريق إلى منزله قادماً من المكتب جلس يحتسي القهوة عندما تقدم منه أحد رجال التحري الذي يعرفه جيداً وأخبره عن اعتقال صهيوني محلي كان متورطاً في حوادث إلقاء القنابل الأخيرة.

مثل كوهين ببراعة، متظاهراً بالصدمة أن يهودياً قد فعل هذا، وبعد محادثة قصيرة مع رجل التحري غادر القهوة مسرعاً والشيء الغريب مثلاً أن لا أحد من أعضاء الشبكة ذكر في التحقيق اسم عامل جهاز اللاسلكي "الكس" وهو اسم الشفرة الذي كان يستعمله كوهين.

وفي وقت لاحق تم القبض على إيلي كوهين بعد ضبط وثائق في شقة عازار تدين كوهين واعتقل مع 150 آخرين من يهود القاهرة والإسكندرية كلهم كانت لهم سجلات صهيونية واعترفو بعلاقات صداقه مع المتهم وتعرض هؤلاء جميعاً للاستجواب.

وبرغم براعة المحقيقيين في محاولة الحصول على اعتراف من كوهين إلا أنه أصر وبشكل قوي على عدم معرفته بالخلية وعملياتها.

ولكن البوليس حوله إلى سجن في صحراء "سيوه" بالقرب من الحدود الليبية وبعد أسابيع من الاستجوابات الدورية وفشل البوليس في ايجاد رابطة بين كوهين وبين المتهمين أمر باطلاق سراحه مع 20 آخرين من المشتبه بهم.

التحقيق العسكري

وبعد إنتهاء التحقيق الأولي الذي قامت به دائرة التحقيق في الجرائم ومديرية الأمن العام ثم تحول المخربون الأحد عشر إلى مركز للجيش في القاهرة حيث تم تسليمهم إلى قسم التحقيقات العسكرية.

وتم حبسهم حسب إنفرادي مع استمرار التحقيق معهم لمدة تتجاوز 43 يوم، ليلاً ونهاراً بواسطة فريق من المحقيقن على رأسهم المدعي العام العسكري أمين أبو العلا.

اعترفوا جميعاً بانتسابهم الصهيوني ومع ذلك رفضوا التعاون بالرغم من الوثائق الجرمية الدامغه التي وجدها البوليس بحوزتهم.

إن أعضاء جهاز مكافحة التجسس الذين قاموا بتفتيش منازل أعضـاء الشـبكة في القـاهرة والإسكندرية عثروا على ثروة مـن الأدوات والمعـدات ووثـائق وخـرائط وصـور وأفـلام ميكـرو ونسـخ مـن مراسـلات مـع الاسـتخبارات العسـكرية الإسرائيليـة في أوروبـا وشرائـط تسـجيل ومتفجرات وحتي موزع أوراق أوتوماتيكي.

الشيء المحير بشكل خاص هو عدد أجهزة الإرسال بالرغم من أن بينيت كـان مـدير ثلاثـة من هذه الأجهزة فقد ذكر رجال الأمن العام إنهـم صـادروا سـتة أجهـزة أخـرى بـين القـاهرة والإسكندرية كانت قد خُبأت في زجاجات المربى وخزانات الوقود في السيارات وحتى في كتـاب التوراة.

فيكتورين حاولت الانتحار

وفي 11 آب أغسطس وعندما كانت فيكتورين تنتظر وصول المحقـق سـمعت طرقـة عـلى الباب.

وعندما وقف الحارس ليرد على الطـارق قفـزت فيكتـورين في حركـة سريعـة مـن النافـذة محاولة الانتحار لكنها سـقطت مـن الطبقـة الأولى فقـط وأصـيبت بـكسر في رجلهـا وجـروح بسيطة.

وبعد جهد متواصل تمكن المحققون من الحصول على اعترافات ممهورة بتوقيـع السـجناء الأحد عشر، وعقب ذلك بوقت قصير حُول السجناء إلى سجن مدني بالقرب من محطة سـكك حديد القاهرة واستعد السجناء للمثول أمام محكمة علنية.

راديو دمشق كان الأول في إعلان نبأ اكتشاف العصابة الصهيونيه التي هددت سلامة مصر الداخلية ولكن البيان الرسمي عن القضية أذاعهُ وزير الداخلية زكريا محي الدين مـن راديـو القاهرة يوم 6 تشرين الأول "أكتوبر".

قال إن تحقيقات البوليس اكتملت باعترافات صريحـة مـن المتهمـين وأن باسـتطاعتهُ الآن الكشف عن المؤامرة الإسرائيلية لنشر الفتنـة والفـوضي في مصر وقـال زكريـا محـي الـدين إن الهدف من إلقاء القنابل هو إساءة العلاقات بين مصر وكل من بريطانيا والولايات المتحدة.

وأصبح واضحاً أيضاً أن اليهود الذين يعيشون في مصر قد أجُبروا على العمل في الشبكة التجسُسية بالرغم من رغبتهم بالبقاء في مصر وهم مواليين للحكومة المصرية.

وقالت مجلة المصور على يهود مصر ان يتتبعوا باهتمام نتيجة محاكمة الجواسيس ويُعيدوا القصة على اطفالهم مئات المرات وهكذا يمكنهم أن يروا أن إسرائيل تريد منهم خيانة البلد الذي عاملهم بكرم أخلاق.

أعضاء شبكة لافون (عملية سوزانا)

إفري إلعاد: رجل المخابرات الإسرائيلية.. تمت على يده تجنيد عدد من شباب اليهود المصريين لعمل شبكة التخريب في القاهرة والإسكندرية.

وكانوا هم:

1- موشيه مرزوق أو (موسى ليتو مرزوق) الطبيب بمستشفى الإسرائيلي بالعباسية بالقاهرة.
2- صمويل عازار (رئيس الشبكة بعد ذلك) ومهندس خلية الإسكندرية.
3- فيكتور ليفي.
4- روبير داسا.
5- فيليب ناتاسون.
6- مارسيل فيكتورين نينو.
7- مائير زعفران.
8- مائير ميوحاس.
9- إيلي جاكوب.
10- سيزار كوهين.
11- إيلي كوهين.
12- ماكس بينيت (ضابط، وكان يتجسس على مصر وقتها) وهو المسئول عن تفجيرات بغداد عام 1951 ضد الجالية اليهودية في العراق لزرع العداوة والكراهية بينهم وبين العراقيين.

الأحكام:

1- موشيه مرزوق – وصمويل عازار – الإعدام.. وتم تنفيذ الحكم في 31 يناير 1955.
2- فيكتور ليفي – وفيليب ناتاسون – المؤبد.
3- ماتير زعفران – ماتير ميو حاس – الأشغال الشاقة لمدة 7 سنوات.
4- إيلي جاكوب – وسيزار كوهين – وإيلي كوهين – براءة.
5- ماكس بينيت – فلم يصدر أي أحكام لأنه انتحر في السجن.

الفصل السادس

عمليات ضد الموساد
الفضيحة التي هزت تل أبيب

فضيحة هزت تل أبيب
يسرائيل بير صديق بن غوريون
ومستشاره العسكري جاسوس سوفياتي

إنزعج (يسرائيل بير)[1] أو ببكه كما لقبه الناس أشد الإنزعاج لاستدعاء أيسر هرئيل له، فقد كانت الرسالة التي تسلمها منه فظة غليظة ... تعال إلى مكتبي:

وكان بير الذي أشتهر بأنه خبير في الشئون العسكرية وواحد من أقرب المقربين إلى بن غوريون شخصية بارزة في الحياة الإسرائيلية العامة.

وخرج يسرائيل بير من الجيش في عام 1950 ليمتهن السياسة ولكنه حافظ على اهتمامه بالأمور العسكرية وعلى صلتُه بها وكان يُحضر اجتماعات رئاسة الأركان البالغة السرية ويحصل على ما يشاء من معلومات وكانت خطط الجيش ووثائق الدفاع ذات الأهمية القصوي تجد سبيلها إلى يده.. وفي عام 1955 طلب منه أن يكتب تاريخاً رسمياً لحرب الإستقلال وخُصصت له غرفة في وزارة الدفاع ليقوم بأبحاثه فيها.

وشاعت شهرة بير بوصفه خبيراً حتى خارج إسرائيل وكان بير في جولاته ومحاضراته بالمانيا يُنبه جمهور الشبان المستمعين اليه أشد التنبيه إلى واجبهم تجاه وطنهم وإلى حاجة لجعل المانيا دولة ديموقراطية قوية في مواجهة الخطر الشيوعي القادم من الشرق.

واستحوذ بير على إعجاب قيادة حلف شمال الأطلسي الناتو في أوروبا للتحليلات البارعة التي قدمها عن الاستراتيجية اللازمة في حالة نشوب حرب برية في أوروبا وقد اثني عليه موظفوا وزارة الدفاع الفرنسية علانية لتفهمه الواسع المدى لمختلف الشئون العسكرية.

ولم يكن من المستغرب إذن أن ينزعج بير عندما استدعاه ايسر بخشونة ذات مساء من خريف 1960 إذ لم يبد أيسر هرئيل من الإحترام ما يتفق مع مكانته البارزة.

(1) يسرائيل بير: عمل جاسوساً للمخابرات المصرية لمدة 15 سنة دون أن يدري من خلال علاقته بفتاة اسمها ريتانا من (موسكو) التي كانت تقدم له الخمور حتى الثمالة، وتقوم بتصوير الأوراق ونقلها للمخابرات المصرية.

ولم يقم بير بأي جهد لإخفاء إنزعاجه عندما مشي في مكتب ايسر والسيجار في فمه ثم ألقى نفسه في الكرسي المقابل لمكتب رئيس الموساد ونفض بير الرماد عن سيجارة بنقرة من إبهامه تدل على إزدراء ثم انحنى في كرسيه إلى الامام وقال ببساطة لندخل في صميم الموضوع فأنا مستعجل.

وحدق ايسر إلى العينين اللتين لا تطرفان في رأس البروفسور الأصلع وكانت جميع ملامح وجه الزائر ذي الشارب الأصفر المميز الذي بدت فيه آثار رماد السيجار تشير إلى الإحتقار الموجه إلى هرئيل ولكن هذا لم يكن ممن يفزعون بسهولة فواصل التحديق إلى وجه بير وهو يوجه إليه سؤالين موجزين قصيرين.

لماذا واصلت زيارتك إلى برلين الشرقية ولماذا سافرت إلى بولندا؟

وظهر أيسر بمظهر الديكتاتور الذي يتخذه أحيانا ورفع صوته قائلاً: ألم أحذرك قبلاً من الإختلاط بالشيوعين؟

وضرب المنضدة التي أمامه بقبضتيَّ يديه بشدة وصاح: إنني أحذرك يا بير وأمنعك من السفر إلى أوروبا.

وعندئذ وثب البروفسور على قدميه غاضباً فلم يكن أحد حتى بن غوريون نفسه يجرؤ على التحدث اليه على هذا النحو وأجاب صائحاً:

اهتم بشئونك الخاصة فسوف أشكوك إلى رئيس الوزراء بل سأشكوك إلى الحزب أيضا.

وعندئذ اندفع خارجاً من مكتب ايسر وانقضت عدة دقائق ورئيس الموساد يفكر في صمت فقد كانت الشكوك تُساوره بشأن "إسرائيل بير" عدة سنوات.

فقد كتب سلسلة من المقالات المعادية لأمريكا في أثناء الحرب الكورية وكان ايسر يعلم أن بير برغم إنضمامه إلى حزب بن غوريون الماباي الان كان منتمياً فيما مضي إلى جماعه المابام وهي الجناح اليساري الأكثر تطرفا وكان للبروفسور نشاط قوي في مناصره الشيوعية آنذاك مما أدى به إلى تلك الجماعه أخيراً ولم ينضم إلى التحالف الحاكم برئاسة بن غورين إلا متاخراً وأصبح نهجه الجديد هو قل يعيش بن غورين ثم إفعل ما تشاء.

ولم يكن ايسر ليحارب بير على إنتمائه السياسي ولكنه كان يعجب لقدرة الرجل على تغيير إنتمائه على ذلك النحو السريع الحاسم. أما رئيس الموساد فلم يكن منتمياً إلى أي حزب ولكنه يعي ما يعتقده وعياً تاماً، وكانت انتهازية الرجل تثير الشكوك في نفسه.

وبعد رحيل الخبير العسكري المفاجئ انزعج ايسر الجالس في مكتبه مرة أخرى لشيء قاله ألا هو التحذير الذي وجهه بير حال مغادرته بقوله سوف أشكوك إلى الحزب فما الذي يقصد بذلك ؟ كان بير يعلم أن ايسر لا ينتمي إلى أحزاب.

وكانت الطريقة شديدة اللهجة التي تحدث بها البرفسور "بير" إلى أيسر هرئيل.. فلم تكن هذه الكلمات بمثابة مفاجأة وبدا هذا التحذير الصادر عن رجل اعتاد تمثيل شخصية المحلل المنطقي البعيدة عن الإنفعال وبرزت ملامح التعقيدات الفكرية الذي تميز به "بير".

وتملكت أيسر حالة من الإنزعاج الشديد بشأن "بير" فكان من الضروري إطلاع بن غوريون ونقل شكوكه إليه.. ولكنه ظن بأن شكوكه هذه قد تُأخذ على أنها غيرة من شخصية "بير" لشهرته ونفوذه.. فلم يتراجع أيسر عن قراره، فذهب لمقابلته وإخباره عن شكوكه تجاه "بير" وقال: يقوم بير من زمن بجمع معلومات عسكرية لا تتصل به في شيء وهو يزور المدن الشيوعية في رحلاته إلى أوروبا، وتربطه صداقات كثيرة مع الدبلوماسيين الروس العاملين في إسرائيل الذين يقابلهم كثيراً.

وقد بدت في حياة بير الاجتماعية بعض الجوانب الغريبة مؤخراً فهو ينفق أموالاً طائله تزيد عما يكسب في ملاهي تل أبيب وعندما كان في ميونيخ مؤخراً دفع مبلغ 200 دولار دون أدنى اهتمام وقد كان يشتري لنفسه ولعشيقاته ومنهن من يشك في سلوكهن، ملابس غالية الأثمان أما علاقته مع زوجته رفكا فهي سئية جداً وهو يقضي لياليه يعاقر الراح في الحانات كحانه اتوم في شارع بن يهودا وكان صوت ايسر مفعماً بالغضب لفساد أخلاق بير فهو لم يعرف الإنغماس في هذه الرذائل طيله حياته.

وقال ايسر: من الجلي عندي أن بير يعاني من إجهاد ما هو إجهاد العميل الذي يمثل دورين في الحياة ومنذ وقت قريب تورط في فضيحة عامة فقد هاجمه زوج إحدى عشيقاته ووجه إليه لكمات في وجهه وهشم بعض أسنانه.

وكان بير قد أخبر رئيس الوزراء بأنه فقد تلك الأسنان في حادث سيارة واختار بن غوريون تعليله ذلك على ما قاله ايسر وبقى راسخاً في عدم الإقتناع بدعاوي ايسر.

ورد بن غوريون بهدوء: من واجبك أن ترتاب في كل شخص كائناً من كان أما أنا فثقتي مطلقه بهذا الرجل.

وانتهت المقابله بينهما بذلك ولكن المسأله بقيت قائمة لدى ايسر فأمر عملاؤه بتشديد الرقابه على بير وأخذ فريق التحري يُنقب في ماضيه للتأكيد من وجود جوانب مُريبة أو انصاف حقائق في سيرة حياته كما أخبر أصدقاءه وزملاؤه.

كان ايسر يسعى للتحقيق من تخميناته المشهورة.

وفي عام 1991 ليلة 28 أذار وبعد حوالي ثمانية أشهر من المواجهه الدرامية التي تمت بين ايسر هرئيل وبين إسرئيل بير في مكتب رئيس الموساد كان اليهود يحتفلون بعيد الفصح وهو أحد من أخصب الأعياد وأحبها إلى اليهود ففيه يحتفلون بالخلاص من العبودية في مصر وفي منازل اليهود في جميع أرجاء العالم تجلس العائلات حول الموائد لتناول (السيدير) وهي وجبة عيد الفصح التقليدية التي تتلى معها حكاية الخلاص.

في الساعة الثامنة من ذلك المساء خرج رجل من شقته الواقعه في 67 شارع براندیس في تل أبيب وكان المساء دافئاً ولكن النسيم العليل الذي يهب من البحر الأبيض إلى الشاطئ حمل ذلك الرجل إلى تزرير معطفه وكانت في يده حقيبة أوراق جلدية.

واسرع الرجل خطاه في الشارع الخالي من المارة وهو يلتفت من حوله كما لو أراد التأكد من أن أحداً لا يقتفي خُطاه واستدار جانبي وتوقف قليلا في ظل كابينة للهاتف وكان يهلث آنذاك بالرغم أنه لم يبتعد أكثر من 200 متر عن شقته التي خرج منها وتوقف لحظات قليلة لإلتقاط أنفاسه ثم يلفت من حوله مرة أخرى وعندما تأكد بعدم ملاحقته أحد في الجوار انطلق متجهاً إلى الشارع فخفض قليلاً نحو مقهى صغير يقبع في إحدى زوايا الشارع.

وسعد صاحب المقهى الذي كان يجلس وراء الباب بمشاهدة أول زبون يراه في ذلك المساء وطلب هذا الزبون زجاجة كونياك ومضى بها إلى منضدة في زاوية الحانه بعيداً عن أضواء الشارع الساطعه ووضع حقيبة أوراقه الجلدية على مقعد مجاور وعندما حاول صاحب المقهى بأن يتجاذب الحديث مع الزبون .. عندها أشار إليه بعدم رغبته في ذلك، ومضى يحتسي الكونياك في صمت ثم أشعل الرجل سيجارة ونظر بقلق إلى ساعته.

وبعد خمس دقائق دخل رجل آخر للمقهى وكان يرتدي بدلة سوداء قاتمة وعلى رأسه قبعه ذات حافه عريضة وبعد أن لوح بيده للزبون الجالس إقترب منه وجلس على كرسي مقابل له حول المنضدة.

ولم يتبادل الرجلان شيئاً من الحديث وبعد لحظات من الجلوس نهض الوافد وخرج من المقهى.

وفي يده كانت اوراق الرجل الاخر وبعد ثوان معدودات نهض الزبون ودفع ثمن الشراب وبدون أن ينبس ببنت شفة غادر المقهى، ليلفه الليل في حين شرع صاحب المقهى في كنسه وتنظيفه وفي الخارج تلفت الرجل الطويل حوله مرة أخرى قبل أن يسير نحو منزله.

وعاد أدراجه في الطريق الذي جاء فيه وإن كان صفر اليدين الآن.

وعندما بلغ الرجل الطويل باب المبنى الذي تقع فيه شقته دخل منه دون أن يكلف نفسه عناء التلفت فيما حوله كان مطمئناً إلى أن أحداً لم يتعقبه وبعد أن صعد الدرج المؤدي إلى شقته دخل فيها واتجه صوب مكتبته التي تعمر جدرانها كتب من عدة لغات وهناك جلس يرتقب.

منتصف الليل صوت سيارة مسرعة يمزق سكون الليل في ذلك الشارع وعند رقم 67 أوقفت السيارة ونزل الرجل الغريب ذو القبعة وهو الرجل الثاني الذي زار المقهى القريب قبل بضع ساعات.

وكانت في يده حقيبة الأوراق التي اخذها من صاحبه وسار هذا الرجل إلى باب المبنى رقم 67 ودخل بدون أن يطرق على الباب ومن الواضح أن قدومه لم يكن مفاجئاً وأنه لم يتوقع المكوث طويلاً فقد ترك محرك سيارته بدون توقف.

دق جرس الهاتف في منزل ايسر هرئيل وتناول ايسر السماعه على الفور فقد كان ينتظر هذه المكالمه التي عرف فيها صوت واحد من كبار عملائه ولم يكن من داع للإعتذار عن المكالمة في ليله العيد تلك.

جرت مقابله بين رجلنا وبين رجل الاتصال الروسي للمرة الثانية في هذا المساء فقد تقابلا في المقهى الصغير الذي تعرفه وكان مع رجلنا حقيبة أوراق سلمها إلى رجل الاتصال ثم افترقا.

وقمت بتعقب خطى رجلنا حتى المنزل وأنا الآن في خارج المكان وقد دخل الرجل الروسي قبل لحظات ومعه حقيبة الأوراق التي تسلمها في المقهى وهو مع رجلنا الآن في الداخل.

وكان ايسر بالغ القلق ولكنه لم يفاجأ بما حدث فرقم 67 شارع برانديس هو عنوان إقامه إسرائيل بير.

قرر ايسر أن الوقت قد حان ليضرب ضربته ولكن ينبغي أن يتم كل شيء بطريقه صحيحة وبارعة فإلقاء القبض على البروفسور الآن وهو متلبس بتسليم الوثائق إلى أحد الدبلوماسيين السوفييت الذي عرف عنه أنه من أكبر جواسيس روسيا في إسرائيل سيكون له إنعكاسات دولية ربما إلى إسقاط حكومة بن غوريون.

وقرر ايسر الانتظار حتى يغادر الدبلوماسي منزل بير قبل الشروع في العمل وفي أثناء ذلك طلب من عميله الحصول على أمر بالتفتيش في منزل إسرائيل بير واعتقاله.

ينبغي أن يتم كل شيء بصورة قانونية أو لا يحدث البتة.

وبعد أن وضع ايسر سماعة الهاتف رفعها على الفور مرة أخري واتصل بن غوريون لم تستغرق محادثهما أكثر من عشر دقائق قال فيها ايسر سألقى القبض على إسرائيل بير هذه الليلة وتردد بن غورين لحظة ثم قال: قم بواجبك وانتهت المحادثة بذلك.

كانت الساعة تشير إلى منتصف الثالثة في الصباح وإسرائيل بير جالس يقرأ في مكتبه وحقيبة الأوراق ملقاه على المنضدة القريبه في الموضع الذي تركها فيه بعد مغادرة زائره دون المساس بشيء من محتوياتها وفجأة طرقة على الباب.

وقبل أن يتمكن بير من إخفاء الحقيبة أو حتى النهوض من كرسيه العتيق إنكسر الباب وكانت ضربة وحيدة كافية لخلعه من مفصلاته.

وإندفع صف من سبعة رجال في داخل الشقة ووقفوا من حول بير الذي كان يجلس متجمداً في كرسيه وقال أحدهم بهدوء: إنك معتقل الآن ولدينا أمر بتفتيش الشقة.

وشاهد بير الضابط يوجه بصره إلى الحقيبة وأجاب بهدوء بتلك الكلمات التي تفوه بها بن غورين قبل ساعات في المكالمة الهاتفية مع هرئيل "قم بواجبك".

وكان بير يعلم حق العلم من هو ضابط الاستخبارات المضادة الذي تحدث إليه فقد كان يعرف اسمه الشخصي منذ عدة سنوات ولم يزد على أن قال: هل تمانع في أن أدخن ؟

كان ضابط الموساد المسئول عن اعتقال بير يعلم أنه يتعامل مع رجل من أبرز شخصيات البلد فقد كان بير محاضراً في مدرسة الجيش التي تدرب فيها الضابط وكان كولونيلاً في الإحتياط ومستشاراً ناصحاً لوزارة الدفاع ورئيس الوزراء نفسه وقد أحس الحاضرون بالصدمة جميعاً إذ لم يكن العملاء يصدقون أن الرجل الذي قدموا لاعتقاله إنما كان واحدا من جواسيس السوفيات ألا يمكن أن يكونوا مخطئين في شأنه لقد كانوا يتمنون ذلك.

بيد أن شكوكهم مهما كان أمرها سرعان ما تبددت عندما فتح الضابط الحقيبه الجلد التي كانت ما تزال على المنضدة القريبة من بير وفي داخل الحقيبة شاهد الضابط عدد من الوثائق البالغه السرية ومنها قائمة مفصلة لمصانع الاسلحة الكبري في إسرائيل وفوق ذلك كله شاهدوا مفكرة بن غورين الخاصة التي استعارها البروفسور حين عبر له عن رغبته في كتابة سلسلة من المقالات عن فلسفة بن غوريون في القيادة والحكم ولم تكن هذه المفكرة تحتوي على أكثر أفكار بن غورين الخصوصية فحسب بل كانت تحتوي فوق ذلك على أعدد من أسرار الدولة التي كان وزراء

الحكومة يجهلون بعضاً منها عندما قدم ايسر هرئيل مفكرة بن غوريون إليه علق أن الحادث كان أليم الوقع علي نفسه وقد أحجم ايسر عن الإشارة إلى أنه أعرب عن ارتيابه من بير في وقت مبكر يعود إلى 1953 ومن الأمور التي تسجل له ولموشيه دايان أن كلاهما قد قاوم رغبة بير في الإلتحاق بالجيش وأن بير قد اتكأ على صدقاته للوصول إلى جمع الوثائق الهامة بالجيش.

اطمأن ايسر الآن إلى أن بير كان يعمل لصالح موسكو لعدة سنوات ولكن إصراره أثناء مراحل الإستجواب الأولى لم تصل معه بشيء ولم يغير طوال فترة الإستجواب بل كان يتباهى بسيرة أصدقائه وزملاءه لعدة سنوات.

وفقاً لرواية بير عن سيرة حياته ولد في فيينا عام 1912 وهاجر والده إلى الولايات المتحدة ولكنهما عادا إلى أوروبا بعد وقت قصير، ودرس بير الإنسانيات والأدب الألماني في جامعه فيينا حيث تتلمذ كما زعم على يد ماكس راينهادت رجل المسرح المعروف، وفي أثناء دراسته بالجامعه انضم إلى الطلاب الذين تمردوا ضد الديكتاتور انغلبرت دولفوس واشترك في حرب الشوارع ضد النازيين في عام 1934 وتدرب بير في أكاديمية فينزنويشنات العسكرية كما قال وأصبح ضابطاً في الشوتسبابد أو حلف الدفاع النمساوي.

وفي عام 1936 كما قال بير ذهب إلى اسبانيا للقتال إلى جانب لواء الأمميين ضد الفاشيين في الحرب الأهلية الأسبانية وقد خوله تدريبه العسكري أن يصبح مدرباً هناك وتعرف بير على جميع كبار العسكريين الشيوعيين واشترك معهم في معركتي مدريد وغوادا لجارا الشهرتين وساهم بير أيضا في معركة تيرول الضاربه وفي اوائل عام 1938 حين تبين أن الحرب ستكون خاسرة هرب من أسبانيا وطلب منه السفر إلى موسكو ليلتقي تدريباً اضافياً ولكنه بدلاً من ذلك عاد إلى فيينا حيث تأثر بالفكر الصهيوني بعد وقت قصير صح عزمه على الهجرة إلى فلسطين وقال بير لأسرته متحدياً: هذه هي قصة حياتي مثلما تعرفون جميعاً.

وفي ذلك اليوم الرابع من بدء الإستجواب زاره ايسر هرئيل وكان هذا يعلم أن السجين لا يبدي أي تعاون من جانبه فدبر شيئاً ما لمواجهته.

وحدق هرئيل إلى عيني بير كما فعل في لقائهما الأول قبل عدة أشهر وقال له في نبره هادئة وعنيدة في الوقت نفسه:

أنا أعرف أنك جاسوس سوفييتي أخبرني بالحقيقة إذا تعاونت معنا فسوف تسهل الأمر على الجميع وعلى نفسك أيضاً، أخبرني حكايتك الحقيقية وفي مواجهه هذا التحدي أعاد بير القصة ذاتها مرة أخرى حتى إذا فرغ منها قال له هرئيل بهدوء "كذاب" ولم نجد أي أثر لوالديك في النمسا ولو كانا يهوديين نموذجيين كما تدعي فلماذا لا تكون "مختونا".

لقد فحصنا جميع السجلات النمساوية فتوصلنا إلى أنك لن تقاتل في متاريس الشوارع ولم تحصل على شهادة الدكتوراة كما تدعي بل إنك لم تدرس في الجامعه ثم إنك لم تذهب إلى الأكاديمية العسكرية فقد كان هذا محظوراً على اليهود آنذاك وقد طلبنا دراسة قوائم الأسماء فلم يعثر على اسمك فيها وليس اسمك موجوداً في قوائم الشوتسبابد كذلك.

ونقبنا في سجلات لواء الأمميين ولم نعثر على اسمك فيه إنك لم تحارب قط في أسبانيا والواقع إنك لم تساهم في أي حملة عسكرية في أي مكان من العالم.

والآن قل لي: من أنت ؟ أخبرنا الحقيقة.

واتضح لـ "بير" أن الموساد قد عري زيف إدعاءاته فانهار وفي الأيام الثلاثة التالية أملى تقريراً وافياً بنشاطاته التجسسية.

وكان هرئيل قد اشتبه في أن موسكو قد نشطت بير بعد حملة السويس في عام 1956 وألحت عليه في تلك الفترة في تقديم أية معلومات يمكنه الحصول عليها وعندما كانت فرنسا تزود إسرائيل بالأسلحة التي اشترتها إسرائيل من ألمانيا كما أنه جمع ما استطاع من المعلومات عن دور ألمانيا في حلف الأطلسي الناتو في أثناء سفره إلى ألمانيا وكانت أبحاث بير العلمية الخاصة في التكنولوجيا النووية خصوصاً أحد الموضوعات التي يحتمل أن يكون رؤساء بير في موسكو قد طالبوه بتقديم معلومات عنها.

وبقى بير يمزج الحقيقة والوهم حتى في أثناء بوحه بإعترافاته فقام عملاء الموساد وحلفاؤهم في إسرائيل وأوروبا ومنها البلدان الشيوعية بالتحقق من كل كلمة تفوه بها وأثبت البحث الدؤوب الذي قاموا به بطلان الكثير من إدعاءته.

بدأت محاكمة بير في حزيران 1961 وأدت طبيعة الكثير من الأدله في القضية إلى بقائها سراً وكذلك بقيت بعض اعترافاته بشأن الطريقه الدقيقه التي نقل بها المعلومات إلى موسكو سراً مكتوماً حتى يومنا هذا ومن المعلوم على كل حال أنه قد نقل للروس خططاً عسكرية تتصل بتكتيك القتال كما نقل قوائم عن منشآت عسكرية سرية فضلاً عن معلومات حول من يزودون إسرائيل بالأسلحة من الجانب.

وفي أثناء المحاكمة دافع بير عن نفسه بأنه فعل ما فعله لاعتبارات وطنية وقال: لقد شعرت بإن من واجبي المساهمة في إنقاذ إسرائيل من الوقوع في قبضة القوي الغربية.

واعتقد أن على إسرائيل التحالف مع البلدان الشيوعية وأنا لم أخن إسرائيل قط وإنما كانت جميع جهودي رامية إلى إبعادها عن الطريق المؤدي بها إلى كارثة.

التجسس الإسرائيلي لا يزعج البيت الأبيض

قنبلة جديدة غير مدوية تفجرت في العلاقات الأمريكية الأسرائيلية وتم احتواؤها بين مسؤولي الطرفين إنها قنبلة الحكم على الجاسوس الإسرائيلي الأمريكي جوناثان بولارد الموظف في البحرية الأمريكية والصادر عن محكمة أمريكية في واشنطن بالسجن مدى الحياة بسبب تسريبه معلومات أمريكية عن القوة العسكرية العربية والسوفييتية إلى إسرائيل كما حكمت على زوجته الن بولارد بالسجن خمس سنوات لمساعدة زوجها في نقل معلومات سرية إلى العدو الصهيوني.

وجاء في مذكرة وزير الدفاع الأمريكي كاسبار واينبرغر إلى المحكمة أن الجاسوس اليهودي الأمريكي أكد أنه يشعر وكأنه طيار إسرائيلي وأن ولاءه هو أكبر من ولائه لأمريكا.

والذين تابعوا قضية بولارد خصوصاً من المسئولين الأمريكيين يدركون أن الوثائق السرية التي نقلها بولارد إلى إسرائيليين تكفي لشغل المخابرات الإسرائيلية لزمن طويل آت وكما كشفت التحقيقات فإن هذا اليهودي الأمريكي كان يمد إسرائيل بانتظام بمعلومات أمريكية غاية في السرية تتضمن أسراراً لصنع القنابل النووية والشفرة السرية للأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط وكل تفاصيل المعلومات الأمريكية عن أسرار تسليح وإمكانيات مصر والأردن والسعودية.

وهذه الفضيحة التجسسية لم تخجل إسرائيل وإن حاولت دبلوماسياً وحتي لا يغضب الشعب الأمريكي التقليل من آثار الفضيحة فقد صرح أربيل شارون بأنه ليس لدى الولايات المتحدة ما تقوم به إسرائيل وإنما العكس هو الصحيح وأنه يكفي أن إسرائيل هي التي ساعدت أمريكا طوال سنوات قيامها بما يساوي 126مليار دولار في النفقات العسكرية ومن بينها معلومات تجسسية تساوي 28 مليار دولار أعطتها إسرائيل إلي الولايات المتحدة عن السوفييت والعرب في سياق تبادل المعلومات.

وقد أكد مسئول في الاستخبارات الإسرائيلية "نحن قادرون على أن نحصـل عـلى 95% مـن المعلومات التي نحتاج إليها من الولايات المتحدة".

وكشف كتاب جواسيس نهاية العالم للمؤلف مايكل سابا الذي صدر في الولايـات المتحـدة عام 1984 حقائق ومعلومات واقعيـة مدعومـة بالاسـماء والوثـائق عـن المافيـا الصـهيونية في الإدارة الأمريكية وأساليب عملها في سرقة أخطر الأسرار من البنتاغون وتزويد إسرائيل لها.

ففي آواخـر الخمسـينات وأوائـل السـتينات إختفـت كميـات هائلـه مـن اليورانيـوم مـن المختبرات الأمريكية ولم تحرك الأدارة الأميركية ساكنة رغم علمها بـأن عمـلاء إسرائيـل داخـل الولايـات المتحـدة هـم الـذين سرقـوا هـذه الكميـات لتعزيـز الصـناعات الذريـة في الكيـان الصهيوني.

أشهر جواسيس الموساد الإسرائيلي في مصر
محمد إبراهيم كامل الملقب بـ "ماريو"
خسر ورشته على الراقصات فكان الموساد ملازه

منذ أن تفتحت عيناه على ضجيج الحياة في حي محرم بك المزدحم ذاب عشقاً في جرس الترام.. الذي كلما ملأ أذنيه خرج إلى الشرفة يبتسم في انبهار وحيرة.. فنشأت بينه – منذ طفولته – وبين الترام قصة غرام دفعته للهرب من مدرسته.. والسعي وراءه راكباً لجميع خطوطه المختلفة ومحطاته.. ولم يدم هذا الحب كثيراً إذ اندفع فجأة نحو السيارات فالتصق حباً بها.. والتحم عقله وقلبه الصغير بموتور السيارة مستغرقاً وقته كله.. حتى أخفق في دراسته الابتدائية.. وأسرعت به خطاه إلى أول ورشة لميكانيكا السيارات يمتلكها إيطالي يدعى الخواجة "روبرتو" الذي اكتشف هذا الحب الجارف بين الولد والموتور فعلمه كيف يتفاعل معه؟! ويفهمهُ ويستوعبهُ.

ولم تكد تمضي عدة أشهر فقط إلا وكان محمد أشهر صبي ميكانيكي في ورشة الخواجة "روبرتو".. كانت السيارات تقف موازية للرصيف بجوار الورشة بأعداد كبيرة. . تنتظر أنامل محمد الذهبية وهي تداعب الآلة المعدنية الصماء.. وتمر بين أجزائها في تناغم عجيب فتعمل بكفاءة ويتحسن صوت "نبض" الموتور.. ويزداد الصبي شُهرة كل يوم.. ورغم محاولات البعض استدراجه واستثمار خبرته وشهرته في عمل ورشة "مناصفة" بعيداً عن روبرتو، أُجبروا على أن يتعاملوا معه كرجل لا كصبي في الخامسة عشرة من عمره.. وكثيراً ما كان ينزعج عندما كان يخرج إلى الكورنيش مع أقرانه بسبب توقف السيارة ودعوة أصحابها له ليركب حتى منزله، فكبرت لدى الصبي روح الرجولة وارتسمت خطوطها المبكرة حيث كان مبعثها حبه الشديد للعمل والجدية والتفكير الطويل.

وبعد عدة سنوات كانت الأحوال والصور قد تغيرت.. صار الصبي شاباً يافعاً خبيراً بميكانيكا السيارات. تعلم اللغة الإيطالية من خلال الخواجة روبرتو والإيطاليين المترددين على الورشة وأصبح يجيد التعبير بها كأهلها.. فأطلق عليه اسم "ماريو".

وعندما طاردتهُ نظرات الإعجاب من "وجيدة".. دق قلبه بعنف وانتبه لموعد مرورها أمام الورشة حين عودتها من المدرسة.. فواعدها والتقى بها ولم يطل به الأمر كثيراً.. إذ تقدم لأسرتها وتزوجها بعدما أقنعتهم رجولته وسمعته الحميدة وشقته الجميلة في محرم بك..

ثمانية أعوام من زواجه وكانت النقود التي يكسبها تستثمر في ورشة جديدة أقامها بمفرده.. ومنذ استقل في عمله أخذ منه العمل معظم وقته وفكرهُ حتى تعرف على فتاة قاهرية كانت تصطاف مع أهلها بالإسكندرية وأقنعها بالزواج.. ولأنها كانت ابنة أسرة ثرية فقد اشترى لها شقة في الدقي بالقاهرة وأثثها.. وأقام مع عروسه "تغريد" لبعض الوقت ثم عاد إلى الإسكندرية مستغرقاً في عمله متنقلاً ما بين "وجيدة" "وتغريد" ينفق هنا وهناك.. وعندما توقف ذات يوم على الطريق الصحراوي بالقرب من الرست هاوس بجوار سيارة معطلة.. أعجبته صاحبة السيارة ودار بينهما حوار قصير.. على أثره ركبت معه السيارة الرائعة إلى القاهرة.. وفي الطريق عرف أنها راقصة مشهورة في شارع الهرم.. سهر معها في الكباريهات وتنقل معها هنا وهناك.. ثم اصطحبته معها إلى شقتها.. واعترف ماريو أن هذه الراقصة كانت أول من دفعه والخطوة الأولى نحو حبل المشنقة.. ويقول في اعترافاته التفصيلية.. في تلك الليلة شربت كثيراً وكلما رأيت جسد الراقصة المثير يرتعش أمام الزبائن ترتعش في جسدي خلجات الرغبة، وبعدما انتهت من فقراتها الراقصة في أربعة كباريهات.. عدنا إلى شقتها في المهندسين وبدلاً من أن أنام أو أذهب لشقتي حيث تنتظرني تغريد.. وجدتني أطوق خصرها بشدة وأطلب منها أن ترقص لي وحدي، فأبدلت ملابسها وعادت لي بلباس الرقص الشفاف الذي سلب عقلي وأفقدني الصواب.

وذهبت الي تغريد التي وجدتها تشتاق إلى جيوبي قبلما تشتاق إلي .. فافتعلت مشاجرة معها وعدت ثانية إلى الراقصة التي استقبلتني بفرحة .. ومنذ ذلك اليوم وأنا لا أكاد أفارقها أو أبتعد عنها لأواصل عملي في الورشة.

لقد استعنت ببعض الصبية الذين دربتهم على القيام بالعمل بدلاً مني.. فكنت أتغيب لعدة أيام في القاهرة وأعود لأجمع ما ينتظرني من مال لديهم.. وسرعان ما أرجع لأنفقه

على الداعرات والراقصات.. ونساء يبعن بناتهن ورجال يبيعون لحم زوجاتهم من أجل جنيهات قليلة.

ولأن للفلوس مفعول السحر فقد كنت أعامل كملك.. لأنني أصرف ببذخ على من يحطن بي من فتيات ونساء أشبعنني تدللاً . . وصورني كأنني الرجل الأول لديهن، فأطلقت يدي ومددتها إلى مدخراتي في البنك شيئاً فشيئاً حتى أصبح رصيدي صفراً وتحولت الورشة إلى خرابه بعدما سرق الصبيان أدواتها وهرب منها الزبائن.. حاولت أن أثوب إلى رشدي وكان الوقت قد فات، وخسرت سمعتي بعدما خسرت نفسي.. وأصبحت مصاريف وجيدة وتغريد تمثل عبئاً قاسياً على نفسي وأنا الذي لم يعضني الجوع أو تثقلني الحاجة من قبل.. فتأملت لحالي وقررت أن أخطو خطوة سريعة إلى الأمام.. وإلا فالمستقبل المجهول ينتظرني والفقر يسعى ورائي بشراسة ولا أستطيع مجابهته.

استخرجت جواز سفر وحصلت على عناوين لبعض زبائني القدامى في إيطاليا وركبت السفينة الإيطالية "ماركو" إلى نابولي.. وبعدما رأيت أضواء الميناء تتلألأ على صفحة المياه صحت بأعلى صوتي تشاو .. تشاو نابولي. وفي بنسيون قديم وقف أمامه صاحبه العجوز سألته هل زرت مصر من قبل؟ فقال الرجل لا.. ضحكت وقلت له أنني رأيتك في الإسكندرية منذ سنوات فجاءتني زوجته تسبقها حمم من الشتائم قائلة: ماذا تريد أيها المصري من زوجي؟ أتظن أنك فهلوي؟ انتبه لنفسك وإلا . . ففي نابولي يقولون: إذا كان المصري يسرق الكحل من العين.. فنحن نسرق اللبن من فنجان الشاي.

وكان استقبالاً سيئاً في أول أيامي في إيطاليا.. في اليوم التالي حاولت أن أتعرف على السوق وبالأخص أماكن بيع قطع الغيار المستعملة.. ولكن صديقاً إيطالياً توصلت إليه أخبرني أن في "ميلانو" أكبر أسواق إيطاليا للسيارات القديمة والمستعملة.. وثمنها يعادل نصف الثمن في نابولي.. فاتجهت شمالاً إلى روما وقطعت مئات الكيلو مترات بالقطار السريع حتى ميلانو.. وبالفعل كانت الأسعار هناك أقل من نصفها في نابولي.. والتقيت في ميلانو بأحد زبائني القدامى الذي سهل لي مهمتي.. ولفت انتباهي إلى أماكن بيع منتجات خان الخليلي في ميلانو بأسعار عالية.

ابتعت طلباتي من قطع غيار سيارات الفيات 125 غير المتوافرة في السوق المصرية وعدت إلى الإسكندرية وخرجت من الجمرك بما معي من بضائع بواسطة زبائني الذين يعملون في الدائرة الجمركية.. وقمت ببيع قطع الغيار بأضعاف ثمنها وذهبت إلى خان الخليلي واشتريت بعضاً من بضائعه وسافرت مرة ثانية إلى إيطاليا.. واعتدت أن أنزل ببنسيون "بياتريتشي" في روما ثم أتجه إلى ميلانو لعدة أيام .. أنجز خلالها مهمتي وأعود ثانية إلى روما ونابولي ثم إلى الإسكندرية.

اعتدت السفر كثيراً وبدأت الأموال تتدفق بين أصابعي من جديد.. واتسعت علاقاتي بإيطاليين جدد بالإضافة للأصدقاء القدامى الذين يكنون لي كل الود.. وفي ذات مرة وبينما كنت في خان الخليلي أنتقي بعض المعروضات التي أوصاني صديق إيطالي بشرائها.. سألتني فتاة تبيع في محل صغير عما أريده .. وساعدتني في شراء بضائع جيدة بسعر رخيص وتكررت مرات الذهاب للشراء بواسطتها ولما عرفت أنني أسافر الي إيطاليا بصفة مستمرة عرضت علي أن تسافر معي ذات مرة. . لتشتري سيارة فيات مستعملة لتشغيلها تاكسياً في القاهرة.

واطمأنت "زينب" وهذا هو اسمها – عندما أخبرتها أنني أعمل ميكانيكياً وأقوم بالإتجار في قطع الغيار.. وتركتها لتجمع المبلغ المطلوب ثم أرسل لها من إيطاليا لأنتظرها هناك.

أراد أصدقائي الإيطاليين أن أظل بينهم وأمارس عملاً ثابتاً أحصل بمقتضاه على إقامة في إيطاليا.. وقد كان.. إذ سرعان ما وجدوا لي عملاً في شركة "راواتيكس".. وبعدما حصلت على تصريح عمل وإقامة.. لم تتوقف رحلاتي إلى الإسكندرية.. فالمكسب كان يشجع على السفر بصفة مستمرة لكي أعرف احتياجات سوق قطع غيار السيارات في مصر.. والذي كان يمتصها بسرعة فائقة.

وفي إحدى هذه السفريات وبينما كنت في مطار روما تقابلت بالصدفة مع صديق إيطالي قديم – يهودي – كانت بيننا "عشرة" طويلة واسمه "ليون لابي" فتبادلنا العناوين، وبعد عدة أيام جاءتني مكالمة تليفونية منه وتواعدنا للقاء في مطعم مشهور في ميلانو.

أشفق "لابي" كثيراً على حالي بعدما شرحت له ظروفي وتعثراتي المالية وزواجي من امرأتين .. وسألته أن يتدبر صفقة تجارية كبيرة أجني من ورائها أموالاً طائلة.. فضحك "لابي" وقبل أن يقوم لينصرف ضربني على ظهر يدي وقال لي: "لا تقلق ماريو.. غداً سأجد لك حلاً، لا تقلق أبداً".

الوقوع في المصيدة

في اليوم التالي وفي الثامنة مساء وقفت مرتبكاً للحظات أمام الباب المغلق.. ثم نزلت عدة درجات من السلم وأخرجت علبة سجائري وأشعلت سيجارة.. وعندئذ سمعت وقع خطوات نسائية بمدخل السلم فانتظرت متردداً.. وعندما رأيت الفتاة القادمة كدت أسقط على الأرض.. كانت هي بنفسها الفتاة التي واقعتها في شقة "لابي" لكن ابتسامتها حين رأتني مسحت عني مظاهر القلق وهي تقول: بونجورنو.. فرددت تحيتها بينما كانت تسحبني لأصعد درجات السلم ولازالت ابتسامتها تغطي وجهها وقالت في دلال الأنثى المحبب: - أنا لم أخبر سنيور لابي بما حدث منك.. قلت في ثقة الرجل: لماذا؟ ألم تهدديني بالانتحار من النافذة؟ .. بهمس كأنه النسيم يشدو: أيها الفرعوني الشرس أذهلتني جرأتك ولم تترك لي عقلاً لأفكر.. حتى أنني كنت أحلم بعدها بـ "أونالترا فولتا"، لكنك هربت!! قلت لها: ياليتني فهمت ذلك. وانفتح الباب وهي تقول: هل ترفض دعوتي على فنجان من القهوة الإيطالية؟ ووجدت نفسي في صالة القنصلية الإسرائيلية والفتاة لا زالت تسحبني وتفتح باب حجرة داخلية لأجد "لابي" فجأة أمامي.. قام ليستقبلني بعاصفة من الهتاف: ميو أميتشو.. ماريو.. أهلاً بك في مكتبك. وهللت الفتاة قائلة: تصور.. تصور سنيور لابي أنه لم يسألني عن اسمي؟ قهقه لابي واهتز كرشه المترهل وهو يقول بصوت جهوري: شكرية.. شكرية بالمصري سنيور ماريو تعني: جراتسيللا.. واستمر في قهقهته العالية وصرخت الفتاة باندهاش: أيكون لاسمي معنى بالعربية؟ اشرحه لي من فضلك سنيور ماريو.. وكانت تضحك في رقة وهي تردد: شوك . . ريا . . شوك . . ريا . جراتسيللا شوك .. ريا.

ولم يتركني لابي أقف هكذا مندهشاً فقال للفتاة: أسرعي بفنجانين من الـ "كافي" أيتها الكافيتيرا جراتسيللا.. واستعرض لابي في الحديث عن ذكرياته

بالإسكندرية قبل أن يغادرها الي روما في منتصف الخمسينيات.. وأفاض في مدح جمالها وشوارعها ومنتزهاتها.. ثم تهدج صوته شجناً وهو يتذكر مراتع صباه وطال حديثنا وامتد لأكثر من ساعتين بينما كانت سكرتيرته الساحرة جراتسيللا لا تكف عن المزاح معي وهي تردد: شوك . . ريا .. سنيوريتا شوك . . ريا . . وعندما سألتني أين أقيم فذكرت لها اسم الفندق الذي أنزل به. . فقالت وكأنها لا تسكن ميلانو: لم أسمع عن هذا الفندق من قبل.. رد لابي قائلاً: إنه فندق قديم غير معروف في الحي التاسع "الشعبي".

قالت في تأفف: أوه . . كيف تقيم في فندق كهذا؟ قال لابي موجهاً كلامه اليها: خذيه إلى فندق "ريتزو" وانتظراني هناك بعد ساعتين من الآن.. وربت لابي على كتفي في ود وهو يؤكد لي أنه يحتاجني لأمر هام جداً لن أندم عليه وسأربح من ورائه الكثير.

وركبت السيارة إلى جوار جراتسيللا فانطلقت تغني أغنية "بالوردو بيلفا" أي "أيها الوحش الضاري" وفجأة توقفت عن الغناء وسألتني: هل تكسب كثيراً من تجارتك يا ماريو؟ قلت لها: بالطبع أكسب . . وإلا . . ما كنت أعدت الكرة بعد ذلك مرات كثيرة. .

- كم تكسب شهرياً على وجه التقريب؟
- حوالي ستمائة دولار.. قالت في صوت مشوب بالحسرة
- وهل هذا المبلغ يكفي لأن تعيش؟ إن لابي يشفق لحالك كثيراً سنيور ماريو.
- سنيور لابي صديقي منذ سنوات طويلة .. وأنا أقدر له ذلك.
- إنه دائماً يحدثني عن الإسكندرية .. له هناك تراث ضخم من الذكريات.!!

وفي فندق ريتز.. صعدنا إلى الطابق الثاني حيث حجزت لي جراتسيللا جناحاً رائعاً وبينما أرتب بعض أوراقي فوجئت بها تقف أمامي في دلال وبإصبعها تشير لي قائلة: "أونالترا فولتا" أيها المصري وهذه المرة "للإيطاليا نيتا".. "محبة الوطن الإيطالي".. وغرست أظافرها بجسدي بينما كنت أرتشف عبير أنوثتها وأتذوق طعمها الساحر وكانت لا تكف عن الهتاف: ليوباردو.. ليوباردو.. ماريو إيجتسيانو.

وعندما جاء لابي كان من الواضح أننا كنا في معركة شعواء انتهينا منها تواً.. أخرج من جيبه مظروفاً به خمسمائة دولار وقال لي إنه سيمر علي صباح الغد.. وأوصاني أن أنام مبكراً لكي أكون نقي الذهن.. وانصرفا بينما تملكتني الأفكار.. ترى ماذا يريد مني؟ وما دخلي أنا فيما يريده لابي؟؟ وفي العاشرة والنصف صباحاً جاء ومعه شخص آخر يتحدث العربية كأهلها اسمه "ابراهيم".. قال عنه لابي إنه خبير إسرائيلي يعمل في شعبة مكافحة الشيوعية في البلاد العربية.. رحب ابراهيم بماريو وقال له بلغة جادة مفعمة بالثقة:

إسرائيل لا تريد منك شيئاً قد يضرك.. فنحن نحارب الشيوعية ولسنا نريدك أن تخون وطنك.. مطلقاً.. نحن لا نفكر في هذا الأمر البتة.. وكل المطلوب منك.. أن تمدنا بمعلومات قد تفيدنا عن نشاط الشيوعيين في مصر وانتشار الشيوعية وخطرها على المنطقة.

وأردف ضابط المخابرات الإسرائيلي: كل ذلك لقاء 500 دولار شهرياً لك. وعندما أوضحت له أنني لا أفهم شيئاً عن الشيوعية أو الإشتراكية.. وأنني أريد فقط أن أعيش في سلام. ذكرني لابي بأحوالي السيئة بالإسكندرية والتي أدت إلى تشتتي هكذا بعدما كنت ذا سمعة حسنة في السوق. واعتقدت أنني يجب ألا أرفض هذا العرض.. فهي فرصة عظيمة يجب استغلالها في وسط هذا الخضم المتلاطم من الفوضى التي لازمتني منذ أمد.. وتُهدد استقرار حياتي.

الحصار في روما

عندما تسلمت زينب الرسالة الوافدة من إيطاليا، لم تكن تصدق أن يهتم بها هذا العابر المجهول إلى هذا الحد.. كانت قد نسيته بعدما مرت عدة أشهر منذ التقت به في خان الخليلي حيث تعمل بائعة في محل للأنتيكات والتحف.. وبعدما تردد عليها عدة مرات عرضت عليه السفر معه إلى إيطاليا لتشتري سيارة لتشغيلها سيارة أجرة في القاهرة .. فوعدها بأن يساعدها ثم اختفى فجأة ولم يعد يذهب إليها.. حتى جاءتها رسالته تحمل طابع البريد الإيطالي وعنوانه وتليفونه هناك.. أسرعت زينب بالخطاب إلى خالها الذي يتولى أمرها بعد وفاة والديها، ولكنه عارض الفكرة وعندما رأى منها

إصراراً رضخ للأمر ووافقها.. سنوات وزينب تحلم بالسفر إلى الخارج للعمل.. لقد بلغت الرابعة والعشرين من عمرها، ولم ترتبط بعد بعلاقات عاطفية تعوق أحلامها.. لذلك تفوقت في دراستها بكلية الآداب - جامعة عين شمس وعشقت اللغة الإنجليزية عشقاً كبيراً.. والتحقت بعد الجامعة بالعمل في خان الخليلي بالقرب من بيتها في شارع المعز لدين الله بحي الجمالية.. حيث مسجد الحسين ورائحة التاريخ تعبق المكان وتنتشر على مساحة واسعة من الحي القديم العريق.

حجزت زينب تذكرة الطائرة ذهاباً وإياباً على طائرة مصر للطيران.. وبحقيبتها كل ما لديها من مال وفرته لمثل هذه الفرصة.. وفي مطار روما كان ماريو بانتظارها يملؤه الشوق لأول الضحايا الذين سيجندهم للعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية.. وعندما رأته كانت كمن عثر على شيء ثمين.. إذ صدمتها اللغة الإيطالية التي لا تعرف منها حرفاً واحداً.. وسرت كثيراً عندما وجدت ماريو يتحدث بها "كالطليان" أصحاب البلد.

اصطحبها إلى فندق رخيص في روما ثم تركها لتستريح وذهب هو إلى مسكنه ليرتب خطة تجنيدها التي رسم خطوطها عدة مرات.. وفي الصباح ذهب إلى الفندق حيث كانت الفتاة تنتظره فأخذها في جولة رائعة بسيارته لمنتزهات روما وأماكنها السياحية.. ثم ذهب بها في اليوم التالي إلى أماكن بيع السيارات المستعملة.. معتمداً أن يرفع لها أسعار السيارات مستغلاً جهلها باللغة الإيطالية. . واعتمادها عليه أولاً وأخيراً. وتعمد أيضاً أن تطول مدة إقامتها في روما للبحث عن فرصة شراء سيارة أفضل وأرخص وأقنعها بشراء فيات 125 دفعت فيها معظم ما تملكه من مال.. وما تبقى معها كان يكفي بالكاد مصاريف الشحن إلى الإسكندرية.

وصدمت الفتاة بعدما تبين لها أن فاتورة الفندق امتصت النصيب الأكبر من نقودها.. ولم تعد تملك مصاريف الشحن كاملة.. لقد خدعها ماريو عندما ذكر لها أرقاماً تقل بكثير الحقيقة عند شحن السيارة.. تركها ماريو لعدة أيام دون أن يتصل بها بحجة أنه كان في ميلانو.

وبكت زينب في حرقة وهي تحكي له عن حالها.. وكيف إنها لم تعد تملك أية أموال لتعود إلى مصر بالسيارة الواقفة أمام الفندق ومتوسلة أن يساعدها فوعدها

بذلك.. ومرت ثلاثة أيام أخرى كانت زينب قد باعت حليها ولم تتبق معها سوى ساعة يدها الجوفيال التي لا تساوي شيئاً يذكر.. حاصرها ماريو جيداً وأفقدها التفكير واستعمل معها أسلوب "صيد الغزلان" بأن أغلق أمامها كل الطرق.. وترك لها فتحة ضيقة لتنفذ منها إلى شبكته لتقع فيها ولا تخرج.

وظهر لها فجأة بعد غياب عدة أيام معتذراً بشدة.. واصطحبها للعشاء بأحد المطاعم الراقية.. وبعد أن جلسا عزفت الموسيقى مقطوعة إيطالية شهيرة عنوانها "مولتي جراتسي ميو أميتشو" أي "شكراً جزيلاً يا صديقي" فقالت زينب لماريو: طلبت منك قرضاً أرده لك في مصر فلم تجبني.. اعتدل ماريو في مقعده وقال بسرعة: نعم .. نعم .. لا مشكلة إذن .. بعد غد سأتولى شحن سيارتك إلى الإسكندرية. ولِم بعد غد؟ مشغول أنا غداً.. ولا أملك وقتاً مطلقاً "قالها ماريو وتعمد ألا ينظر لوجهها".. لقد وعدتني أن تدبر لي عملاً هنا في روما.. فإن ذلك سيعفيك من إقراضي أية أموال.. ماذا تقولين؟ ألم أخبرك أنني أبحث بالفعل عن عمل مناسب لك؟ أنت تقول "قالتها زينب مليئة بالحسرة والإحساس بالندم" فما كان من ماريو إلا أن أجاب: عموماً.. بعد غد ستكون سيارتك على ظهر السفينة.. أفهمت؟ وفي تلك اللحظة.. اقترب منها رجل وسيم تعدى الخمسين بقليل وقال بالإنجليزية بأدب جم: أتسمحان لي بأن أطلب من إدارة المطعم إغلاق جهاز التكييف الحار حتى لا نصاب جميعاً بالبرد عند الخروج؟ ردت زينب في حماس بالغ ممزوج بالعرفان: تفضل.. وشكراً يا سيدي أردف الرجل قائلاً: معذرة.. هل أنت تونسية؟ أجابته بأن لكنتها تدل على ذلك وضحكت وقالت في افتخار: أنا من الجمهورية العربية المتحدة.. من القاهرة. هتف الرجل سعيداً: أوه.. ناسر يا له من زعيم عبقري.. وفي حركة مسرحية سريعة مد الرجل يده الي محفظته.. وأخرج منها صورة لعبد الناصر يشرب من "القلة" ويجلس على الأرض بجوار صلاح سالم وأردف قائلاً: تمنيت أن أراه وأصافحه ذات يوم.. فهل يتحقق لي ذلك؟ تعال إلى القاهرة يا سيدي وأعتقد أن ذلك ليس بالشيء الصعب.. هكذا قالت زينب بفخر، وهي تتكلم الإنجليزية بطلاقة، وتكلم ماريو يخاطب الرجل بالإيطالية: أنتم تكرهون ناصر في الغرب.. وفي الشرق تتوقف الحياة تماماً حينما يتكلم.. تناقض غريب.

أجاب الرجل في بشاشة: نعم يا سيد.. ؟ ماريو.. ماريو إيجتسيانو "ماريو المصري". نعم.. نعم سنيور ماريو هذه حقيقة لا ننكرها.. فمنذ أزمة القناة والغرب لا ينسى ذلك لناصر أبداً.

واعترضت زينب على حوارهما بالإيطالية فقال لها ماريو إن لغته الإنجليزية ضعيفة جداً..

وجاءت فاتورة الحساب ففوجئت زينب بالرجل الغريب يصر على دفعها.. وعندما تمسك ماريو برأيه قال الرجل: إذن.. هلا قبلتما دعوتي على العشاء غداً؟ أجاب ماريو موافقاً بينما تحرجت زينب ثم فاجأهما ماريو بإعلان اعتذاره لارتباطه طوال الغد.. فأبدى الرجل الأنيق تفهمه ونظر إلى زينب فتراجعت الكلمات على لسانها.. عندها لم يمهلها وقتاً طويلاً لتفكر وقال موجهاً حديثاً إليها أنه سيلتقي بها في الثامنة مساء الغد في مطعم "فريسكو".. فقالت زينب في اضطراب "بعدما نظر اليها ماريو موافقاً" إنها لا تعرف الأماكن جيداً.. وبدأ الرجل سيلاً من الأسئلة عن جوانب حياتها فأجابته زينب بحسن نية وأخيراً قال لها في دبلوماسية شديدة تدل على خبرة عالية في إدارة حوار: لقاء الغد ستترتب عليه أشياء كثيرة مهمة لكلينا.. !! وبعد إنتهاء السهرة صحبهما بسيارته الفارهة وأنزل زينب أمام فندقها وانصرف.

وقضت هي وقتاً طويلاً تفكر فيما يقصده بعبارته الأخيرة.. وماذا سيترتب عليها من أشياء مهمة؟؟ وفي مساء اليوم التالي كان في انتظارها بردهة الفندق كما اتفقا بالأمس.. وأخذها في جولة ليلية بنوادي روما وشوارعها ثم ذهبا معاً إلى مطعم فريسكو الشهير .. حيث الأنواع الغريبة من الأسماك والمحار وكائنات بحرية مدهشة.

كان الرجل قد التمس مكاناً هادئاً في ركن بعيد وتوقعت زينب بأنه من زبائن المطعم المعروفين، للإحترام الجم الذي قوبل به.. ولكنه انتشلها من حيرتها وقال لها بحرارة: آنسة زينب.. منذ الأمس وأنا في حيرة شديدة.. وكما تعلمين فأنا رجل أعمال بريطاني معروف.. والذي لا تعرفينه أنني انفصلت عن شريك لي منذ مدة قصيرة.. وكنت أنوي توسيع أعمالي في لندن لكن أشار علي البعض باستثمار مشاريع إنمائية في جنوب أفريقيا.. وقمت بالفعل بالسفر إلى جوهانسبرج وزيارة كيب تاون وحصلت

على بعض تقارير اقتصادية لتساعدني في اتخاذ قراري.. حتى كان لقاء الأمس الذي سبب لي حيرة شديدة فبرغم حبي لناصر إلا أنني لم أفكر من قبل في السفر إلى القاهرة لدراسة السوق المصرية وإقامة بعض مشروعاتي بها.. وتنهد الرجل فيما يشبه إحساساً بالندم وأردف: إنني الآن – وبإصرار وثقة – أريد اقتحام السوق العربية من خلال مصر.. ومن خلالك أنت.. قالت له زينب في دهشة: من خلالي أنا؟ نعم.. فأنت مصرية وجامعية طموحة.. تملكين اللغة العربية والإنجليزية والثقافة.. ويمكنني الاعتماد عليك في إعداد تقرير اقتصادي عن أحوال مصر الاقتصادية ومشاكل التنمية بها ومعوقات السوق. ومن خلال هذا التقرير سأقرر ما إذا كنت أستطيع إقامة مشاريع إنمائية في مصر من عدمه.. ولذلك فهذا الأمر مهم بالنسبة لي ولك.. لأنك ستكونين مديرة لفرع القاهرة وتملكين حق اتخاذ قرارات لصالح مؤسستنا.

انفرجت أسارير زينب وهللت بشراً وسعادة لهذا الخبر المنهمر الذي أغدق عليها فجأة.. كانت تجلس أمامه ولا تملك بحقيبة يدها سوى ستة وعشرين دولاراً وبضع ليرات إيطالية لا تكفي ليوم آخر في روما.. واغرورقت عيناها بدموع الفرح عندما فاجأها قائلاً: ومنذ اليوم سيكون راتبك ثلاثمائة دولار شهرياً.. صرخت بأعماقها لا تصدق أن غيمة النحس قد انقشعت.. وأن الحياة عادت لتضحك من جديد.. لقد مرت بها سنوات من الجوع والحرمان والحاجة.. وكلما ارتقت درجة من درجات الأمل انزلقت إلى الوهم وأحلام الخيال.. الآن جاءت أحلام الواقع لتزيح أمامها الأوهام فتتراجع القهقري.

كانت تبدو من قبل وكأنها تغرق في لجج من ماء ذي قوام.. الآن تطير في سماوات من الصفو اللذيذ.. أخيراً تحقق الحلم الذي طال انتظار اليتيم له.. حلم ليس بالمستحيل ولكنه كان المستحيل نفسه.. يا الله.. قالتها زينب وهي تتنهد فتغسل صدرها الصغير من تراكمات اليأس وخيوط الرجاء.

أوصلها الرجل إلى الفندق بعدما منحها 600 دولار مرتب شهرين ودفع عنها حساب الفندق.. وفوجئت زينب بماريو يسرع بشحن سيارتها ودفع مصاريفها ويودعها بالمطار.. وفي مقعدها بالطائرة أغمضت عينيها وجلست تفكر في أمر ماريو.. لقد أخبرته بأمر

الرجل فأظهر موافقته.. وبرغم كونه تاجراً لم يأخذ منها مصاريف الشحن.. بل ألح عليها كثيراً لكي تأخذ منه مائة دولار في المطار.. وسلمها حقيبة هدايا بها علبة ماكياج كاملة وزجاجتا بارفان وحزام جلدي أنيق.

تشككت زينب في هذه الأمور وأخذت من جديد تستعرض شريط ما مر بها في روما.. وتذكرت الدورة الإرشادية التي حضرتها في أحد مدرجات جامعة القاهرة قبل سفرها بأيام. كان المحاضر يشرح أساليب الموساد في اصطياد المصريين في الخارج.. ولأن ماريو مصري مثلها ومجريات الأمور كلها كانت شبه طبيعية.. فقد طردت وساوسها التي تضخمت إلى حين.. وقررت أمراً في نفسها.. وفي مطار القاهرة انتحت بأحد الضباط جانباً وسألته سؤالاً واحداً.. وفي اليوم التالي.. كانت تستقل سيارة صحبتها إلى مقر جهاز المخابرات المصرية.. قالت كل شيء بدقة وسردت تفاصيل رحلتها إلى إيطاليا وكيف خدعها ماريو لتنفق كل ما لديها من نقود.. وحكت ظروفها النفسية السيئة التي مرت بها وكيفية تقرب رجل الأعمال البريطاني منها في تلك الظروف.. وكيف شحن ماريو سيارتها إلى الإسكندرية على نفقاته.. وهو التاجر الذي يسعى للكسب.. ؟ بل إنه عرض عليها مائة دولار أخرى.. ولماذا لم يعطها رجل الأعمال عنوانه في بريطانيا لتراسله وتبعث اليه بالتقارير التي طلبها؟ لقد أخبرها أن ماريو سيسافر إلى القاهرة عما قريب وعليها أن تسلمه التقرير الاقتصادي الوافر الذي ستعده عن مصر.

وتذكرت زينب أيضاً كيف أن ماريو طلب منها في المطار أن تهتم جيداً بالعمل الذي أوكل إليها ولا تهمله.. وعندما سألته هل لديك عنوان مكتب رجل الأعمال ؟!! أجاب بنعم في حين أنه من المنطقي أن يكون معها عنوانه.

لقد سلمها 600 دولار وهي بلا شك لقاء قبولها التجسس على وطنها..

صراع العقول

وفوجئت زينب بما لم تتوقعه على الإطلاق.. صور عديدة لها مع ماريو.. قال ضابط المخابرات المصري أن المخابرات العربية على علم بأمره.. وتراقب تحركاته وتنتظر دليل إدانته وقال لها أيضاً: إن إسرائيل منذ قيامها في عام 1948 وهي تسعى بشتى السبل

لمعرفة كل ما يجري في البلاد العربية من نمو اقتصادي وتسلح وما لديها من قوات وعتاد.. ولذلك لجأت لشراء ضعاف النفوس والضمائر وجعلتهم يعملون لحسابها.. وينظمون شبكات التجسس المتعددة في العواصم العربية.. حتى إذا كشفت واحدة تقوم الأخرى مكانها وتتابع نشاط جواسيسها.. وتنفق إسرائيل الملايين على هذه الشبكات للصرف عليها.. وأن السبب الرئيسي لسقوط بعض الأفراد في مصيدة المخابرات الإسرائيلية هو ضعف الحالة المادية.. وبالإضافة إلى الأموال الطائلة التي تنفقها الموساد على عملائها.. فإنها تغرقهم أيضاً في بحور الرغبة وتشبع فيهم نزواتهم.. وبذلك تتم له السيطرة عليهم.. لذا.. فقد أعلنت المخابرات المصرية في يناير عام 1968 بأنها ستساعد كل من تورط مع العدو.. ووقع في فخ الجاسوسية بالإغراء أو التهديد.. وأنها على استعداد للتغاضي عن كل ما أقدم عليه أي مواطن عربي.. إذا ما تقدم بالإبلاغ عن تورطه مع الموساد مهما كان منغمساً في التجسس.. وذلك لتفويت الفرصة على المخابرات الإسرائيلية.. ووعد الزعيم جمال عبد الناصر صراحة بحماية كل من تورط بالتجسس لأي سبب.

وقد أسفرت هذه الخطة عن تقدم سبعة مصريين إلى جهاز المخابرات المصرية يعترفون بتورطهم ويشرحون ظروف سقوطهم.. وأضاف الضابط: لقد تكلمنا مع ماريو عدة مرات من قبل.. وأفهمناه بطريقة غير مباشرة بأننا على استعداد لمساعدة المتورطين دون أن يعاقبوا.. لكن يبدو أنه استلذ أموال الموساد.. وسيسقط على يديك يا زينب لأننا سنحصل على دليل إدانته من خلالك.. ووضعت المخابرات المصرية خطة محكمة لاصطياد ماريو.. وفي أول اتصال هاتفي من روما بعد أيام من وصولها.. أخبرته زينب بأنها مشغولة "بترجمة الكتاب" – وهو مصطلح سبق لهما أن اتفقا عليه – وعندما سألها عن المدة التي تكفي لإنجاز "الترجمة" لأنه ينوي المجيء لمصر بعد يومين طلبت منه – حسب الخطة – أن يتأخر عدة أيام حتى تنجز العمل.

اطمأن ماريو وصديقه لردود زينب.. وقنعا بأنها منهمكة في إعداد التقرير.. فلو أن هناك شيء ما يترتب في الخفاء لما ترددت في إيهامه بأنها أنجزت ما طلب منها.. وفي

مكالمة أخرى بعدها بثمانية أيام.. زفت النبأ الذي ينتظره.. وينتظره أيضاً رجال الموساد في روما.. وعلى ذلك أكد لها بأنه سيصل إلى القاهرة عما قريب.

سقوط الجاسوس "ماريو "

وبعد اللقاء المسجل بالصوت والصورة.. اتجه الخائن إلى شارع نوال بالدقي حيث شقة زوجته تغريد.. فمكث معها يوماً واحداً وحمل كاميرته الخاصة التي تسلمها من الموساد وركب إلى الإسكندرية بالطريق الزراعي.. يصور المنشآت الجديدة التي تقوم على جانبي الطريق.. ويراقب أية تحركات لمركبات عسكرية أو شاحنات تحمل المدرعات.. وأمضى مع زوجته وجيدة عدة ساعات ثم عاد إلى القاهرة مرة ثانية بالطريق الصحراوي.. وكرر ماريو هذا السيناريو لمدة أسبوع بشكل متصل.. كان إخلاصه للموساد قوياً كعقيدة الإنسان أو إيمانه بمبدأ ما.. فآلاف الدولارات التي حصل عليها من الموساد بدلت دماءه وخلايا مصريته وأعمته عن عروبته.. وجعلت منه كائناً فاقد الهوية والشعور.. بل كان لأموال إسرائيل الحرام فعل السحر في قلبه وزعزعة ثوابت إسلامه.. فلقد نسي أن اسمه محمد ابراهيم فهمي كامل.. مسلم.. من مصر.. وأن ماريو ليس اسمه الحقيقي الذي ينادى به.. وفي إيطاليا كثيراً ما مر على مساجد روما – دون قصد – فكان يتعجب ويتساءل: ماذا يعني الدين والأنبياء والرسل؟ وعندما اتصلت به معشوقته جراتسيللا – عميلة الموساد – تستقصي أخباره وأخبار ضحيته زينب أجابها بأن كل شيء على ما يرام.

وحدد لها ميعاد سفره إلى إيطاليا.. وبعدما أنهت زينب إجراءات الإفراج الجمركي عن سيارتها.. استعدت "هكذا ادعت له" للسفر معه.. فأخبرها بموعد الطائرة وأنه سيمر عليها ليصحبها إلى المطار.. وقبل السفر بعدة ساعات كان ماريو قد أعد أدواته.. وخبأ الأفلام التي صورها بجيوب سرية داخل حقائبه ونزع البطانة الداخلية لها وأخفى التقارير السرية التي أعدها بنفسه ثم أعاد إلصاقها مرة ثانية بإحكام فبدت كما كانت من قبل.

ومن بين تلك التقارير كان تقرير زينب الذي كان لدى المخابرات المصرية صورة عنه.. وبينما كان ماريو يغادر منزله بالدقي في طريقه إلى زينب ثم إلى المطار.. فوجئ

بلفيف من الأشخاص يستوقفونه.. وأقتيد إلى مبنى المخابرات وأمام المحقق أنكر خيانته لكن الأفلام والتقارير التي ضبطت كانت خير دليل على سقوطه في وكر الجاسوسية.. فاعترف مذهولاً بعمالته للموساد.. وأمام المحكمة العسكرية وجهت إليه الجرائم الآتية: الحصول على أسرار عسكرية بصورة غير مشروعة وإفشاؤها إلى المخابرات الإسرائيلية.. الحصول على مبلغ "7 آلاف دولار" مقابل إفشاء الأسرار لدولة معادية "إسرائيل".. التخابر مع العدو لمعاونته في الإضرار بمصر في العمليات الحربية.. تحريض مواطنة مصرية على ارتكابها التخابر.. والحصول على أسرار هامة بقصد إفشائها للعدو. وبرئاسة العميد أسعد محمود إسماعيل وعضوية المقدم فاروق خليفة والمقدم أحمد جمال غلاب بحضور ممثل النيابة العسكرية والمقدم عز الدين رياض صدر الحكم في مايو 1970 بإعدام ماريو شنقاً بعد أن كرر الخائن اعترافه بالتجسس على وطنه.. مبيناً الأسرار العسكرية مقابل سبعة آلاف دولار.

وصدق رئيس الجمهورية على الحكم لعدم وجود ما يستدعي الرحمة بالجاسوس.. لم تنس المخابرات المصرية الدور الكبير الذي لعبته زينب للإيقاع بالخائن ماريو واصطياده إلى حيث غرفة الإعدام ومشنقة عشماوي في أحد سجون القاهرة.

وكانت زينب بالفعل – أول مصرية – تصطاد جاسوساً محترفاً في روما.. لإعدامه في القاهرة!!.

الفصل السابع

جناح الموت
دليل الجريمة .. والإدانة

* مصطلح الإغتيالات في العصر القديم والحديث

1-الجريمة ... و ... الإدانة

يقول تعالى:

﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللـه هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللـه مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾

(سورة البقرة - آيه120)

2-بعض عناصر المؤامرة الصهيونية

إن المجال لا يسمح بذكر كل عناصر المؤامرة كما جاءت في البروتوكولات، وحسبنا الإشارة إلى ما يأتي منها:

(أ) لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع، لمصلحة اليهود وحدهم، وكان ينقحها حكماؤهم طوراً فطوراً حسب الأحوال، مع وحدة الغاية.

(ب) تنضح هذه الخطة السرية بما أثر عن اليهود من الحقد على الأمم لا سيما المسيحيين، والضغن على الأديان لا سيما المسيحية، كما تنضح بالحرص على السيطرة العالمية.

(ج) يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار، والاستعاضة عنها بحكومة ملكية استبدادية يهودية، ويهيئون كل الوسائل لهدم الحكومات لاسيما الملكية. ومن هذه الوسائل إغراء الملوك باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك، متوسلين لذلك بنشر مبادئ الحرية والمساواة، ونحوها مع تفسيرها تفسيراً خاصاً يؤذي الجانبين، وبمحاولة إبقاء كل من قوة الحكومة وقوة الشعب متعاديتين، وإبقاء كل منها في توجس وخوف دائم من الأخرى، وإفساد الحكام وزعماء الشعوب، ومحاربة كل ذكاء يظهر بين الأميين (غير اليهود) مع الاستعانة على تحقيق ذلك كله بالنساء والمال والمناصب والمكايد.. وما إلى ذلك من وسائل الفتنة. ويكون مقر الحكومة الإسرائيلية في أورشليم أولاً، ثم تستقر إلى الأبد في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديماً.

(د) إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول، عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والفنية والرياضية والمحافل الماسونية، والأندية على اختلاف نشاطها، والجمعيات العلنية من كل لون، ونقل الدول من التسامح إلى التطرف السياسي والديني، فالإشتراكية، فالإباحية، فالفوضوية، فاستحالة تطبيق مبادئ المساواة.
هذا كله مع التمسك بإبقاء الأمة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثر بالتعاليم التي تضرها، ولكنها تضر غيرها.

(هـ) يرون أن طرق الحكم الحاضرة في العالم جميعاً فاسدة، والواجب لزيادة إفسادها في تدرج إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم لا قبل هذا الوقت ولا بعده. لأن حكم الناس صناعة مقدسة سامية سرية، لا يتقنها في رأيهم الا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود الذين اتقنوا التدرب التقليدي عليها، وكشفت لهم أسرارها التي استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ خلال قرون طويلة، وهي تمنح لهم سراً، وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب أو العباقرة غير المخلوقين لها بين الأميين (غير اليهود).

(و) يجب أن يُساس الناس كما تُساس قطعان البهائم الحقيرة، وكل الأميين حتى الزعماء الممتازين منهم إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم واستعبادهم بالتهديد أو المال أو النساء أو المناصب أو نحوها.

(ز) يجب أن توضع تحت أيدي اليهود ـ لأنهم المحتكرون للذهب ـ كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح وشركات السينما ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها.

وأن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشبان والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة، وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة، وإشاعة الرذيلة والإنحلال، حتى تستنزف قوى الأميين استنزافاً، فلا تجد مفراً من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.

(ح) وضع أُسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود، لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى، مع أحداث الأزمات الاقتصادية العالمية

على الدوام كي لا يستريح العالم أبداً، فيضطر إلى الاستعانة باليهود لكشف كروبه، ويرضى صاغراً مغتبطاً بالسلطة اليهودية العالمية.

(ط) الاستعانة بأمريكا والصين واليابان على تأديب أوروبا وإخضاعها.

أما بقية خطوط المؤامرة فتتكفل بتفصيلها البرتوكولات نفسها.

3-قرارات المؤتمر الصهيوني الأول وإختلاس البروتوكولات

عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ سنة 1897 حتى سنة 1951 وكان آخرها هو المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في 14 أغسطس من هذه السنة، ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها كما ذكرت جريدة الزمان (1951/7/28)، وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعاً دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية.

أما أول مؤتمراتهم فكان في مدينة بال بسويسرا سنة 1897 برياسة زعيمهم "هرتزل"، وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية،وقد قرروا في المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داوود، وكانت قراراتهم فيه سرية محوطة بأشد أنواع الكتمان والتحفظ إلا عن اصحابها بين الناس، أما غيرهم فمحجوبون عنها ولو كانوا من أكابر زعماء اليهود، فضلاً عن فضح أسرارها سراً، وإن كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خافياً.

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم في وكر من أوكارهم الماسونية السرية في فرنسا أن تختلس بعض هذه الوثائق ثم تفر بها، والوثائق المختلسة هي هذه البروتوكولات التي بين أيدينا.

وصلت هذه الوثائق إلى اليكس نيقولا كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية، فقدر خطواتها ونياتها الشريرة ضد العالم لا سيما بلاده روسيا، ثم رأى أن يضعها في أيدي أمينة أقدر من يده على الانتفاع بها ونشرها، فدفعها إلى صديقه العالم الروسي الجليل الأستاذ سرجي نيلوس الذي لا شك أنه درسها دراسة دقيقة كافية،

وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية يومئذ فادرك خطورتها أتم ادراك واستطاع من جراء هذه المقارنة أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيرة التي وقعت بعد ذلك بسنوات كما قدرها، والتي كان لها دوي هائل في جميع العالم، كما كان لها أثر في توجيه تاريخه وتطوراته، منها نبوءته بتحطيم القيصرية في روسيا ونشر الشيوعية فيها وحكمها حكماً استبدادياً غاشماً واتخاذها مركزاً لنشر المؤامرات والقلاقل في العالم، ومنها نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس إسرائيل.

ومنها نبوءته بعودة اليهود إلى فلسطين وقيام دولة إسرائيل فيها، ومنها نبؤءته بسقوط الملكيات في أوروبا وقد زالت الملكيات فعلاً في ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وايطاليا. ومنها أثارة حروب عالمية لأول مرة في التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب معاً ولا يظفر بمغنمها الا اليهود. وقد نشبت منها حربان، واليهود يهيئون الأحوال الآن لنشوب الثالثة، فنفوذ اليهود في أمريكا لا يعادله نفوذ أقلية، ثم أنهم أهل سلطان في روسيا، وهاتان الدولتان أعظم قوتين عالميتين، واليهود يجرونهما الي الحرب لتحطيمهما معاً، واذا تحطمتا ازداد طمع اليهود في حكم العالم كله حكماً مكشوفاً بدل حكمهم إياه حكماً مقنعاً، ومن نبوءته أيضاً نشر الفتن والقلاقل والأزمات الاقتصادية دولياً، وبنيان الاقتصاد على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود،وغير ذلك من النبوءات الكثيرة.

وأنا لا أتقول على الأستاذ نيلوس في كل ذلك لأضيف إليه فضلاً ليس له، لأنه كله مدون تفصيلاً في المقدمة والتعقيب اللذين كتبهما هو للبروتوكولات، وهما مترجمان في طبعتنا هذه، وجميع ذلك يدل على إحاطة الرجل خبراً بحوادث زمانه، وحسن دراسته للبرتوكولات، وبُعد نظره السياسي وفقهه بالاجتماع.

دليل الإدانة

(البروتوكول الخامس عشر)

(وفي خاتمة المطاف وعندما نصل على وجه التحديد إلى إقامة مملكتنا بمساعدة الثورات والاضطرابات والاغتيالات التي أعددنا لها في كل دول العالم وعندما يتم لشعوب العالم اكتشاف عدم جدوي كل أنماط الحكومات السابقة لحكومتنا (ولن يتم هذا في وقت قصير بل إنه ربما يستغرق قرناً كاملاً من الزمان) سنذبح دون رحمة أو هوادة كل من يقفون أمامنا أو يحاولون إيقاظ دول الجوييم (الدهماء) بالعلوم والآداب وكل من يمتشقون الحسام لمقاومة قيام مملكتنا وسيعاقب أعضاء أي جمعية جديدة من الجمعيات السرية بالموت والجمعيات السرية الموجودة في العالم الآن معروفة لنا تخدمنا وهي قد خدمتنا فإننا سنقوم بحلها وسنقوم بنفي و تشتيت أعضائها في كل أنحاء الدنيا بعيداً عن قارة أوروبا وبهذه الطريقة نفسها سنتعامل مع أعضاء الجمعيات الماسونية الموجودة والتي تمارس نشاطها لصالحنا بين شعوب الجوييم الذين يعرفون أكثر مما تسمح به سلامتنا ربما نعفو عن بعضهم لسبب أو لآخر ولكنهم سيكونون في خوف دائم من أن نطبق عليهم عقوبة النفي والتشرد.

ولا ينبغي بأي حال أن نأبه للضحايا التي تسقط من أجل تحقيق استقرار سلطتنا أنهم يقاسون من أجل الصالح العام في المستقبل.

فان الضمانة الرئيسية لاستقرار الحكم هو تأكيد فاعلية وهيمنة القوة وهو الأمر الذي لايتحقق إلا بإيجاد فاعلية تامة لقوة عظيمة غير مهتزة تبدو وكأنها قوة مُقدسة لا تنتهك حرماتها إذ أنها مدعومة بأسباب قوة خفية لايعلم مصدرها ولا مداها أحد كما لو كانت قوة الله).

وإلى هنا توقفنا في هذا البرتوكول من برتوكولات حكماء صهيون والذي يتضح منه المخطط المحكم للسيطرة على شعوب العالم بمختلف الوسائل والأساليب والطرق سواء ثورات أو إنقلابات أو اغتيالات أوطمس للهوية أو تغير معالم التاريخ أو تخريب العقول وإرهاب النفوس.

هؤلاء هم اليهود الصهاينة الذين يـدعون أنهـم مرفوضـون مـن شـعوب الأرض ويلفقـون تاريخ كاذب عن المحارق والظلم الذي تعرضو إليـه وكـل هـذه الأكاذيـب مـا هـي إلا سـتائر تتخفي خلف كواليسها أفاعي تتخلص من كل مـن يتصـدي لهـذا المخطـط وكـل مـن يحـاول النهوض بهذه الأمة لكي ييقظها وهؤلاء هم علماء الأمة ومُفكريِها وأُدبائها ومُبدعِيها.

جذور ومعنى مصطلح اغتيال

الاغتيال مصطلحاً

الاغتيال مصطلح يُستعمل لوصف عملية قتل منظمة ومتعمدة تستهدف شخصية مهمة ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري أو قيادي ويكون مرتكز عملية الاغتيال عادة أسباب عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية تستهدف شخصاً معيناً يعتبره منظموا عملية الاغتيال عائقاً في طريق انتشار أوسع لأفكارهم أو أهدافهم.. يتراوح حجم الجهة المنظمة لعملية الاغتيال من شخص واحد فقط إلى مؤسسات عملاقة وحكومات ولا يوجد إجماع على استعمال مصطلح الاغتيال فالذي يعتبره المتعاطفون مع الضحية عملية اغتيال قد يعتبره الجهة المنظمة لها عملاً بطولياً، ومما يزيد في محاولة وضع تعريف دقيق لعملية الاغتيال تعقيداً هو أن بعض عمليات الاغتيال قد يكون أسبابها ودوافعها اضطرابات نفسية للشخص القائم بمحاولة الاغتيال وليس سبباً عقائدياً أو سياسياً وأحسن مثال لهذا النوع هو اغتيال جون لينون[1] على يد مارك ديفيد تشابمان في 21 يناير 1981، ومحاولة اغتيال الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان على يد جون هنكلي جونيور في 30 مارس 1981 الذي صرح فيما بعد أنه قام بالعملية إعجاباً منه بالممثلة جودي فوستر ومحاولة منه لجذب انتباهها.

يستعمل مصطلح الاغتيال في بعض الأحيان في إطار أدبي لوصف حالة من الظلم والقهر وليس القتل الفعلي كاستعمال تعبير "اغتيال الفكر" أو "اغتيال قضية" أو "اغتيال وطن" أو "اغتيال البراءة" وغيرها من التعابير المجازية. الكلمة الإنجليزية لمصطلح الاغتيال (Assassination) مشتقة من جماعة الدعوة الجديدة أو ما ذاع صيتهم بالحشاشين (Hashshashin) الذين كانوا طائفة إسماعيلية نزارية نشيطة من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر وهناك الكثير من الجدل حول هذه المجموعة فإستناداً إلى بعض المصادر فإن الرحالة الإيطالي ماركو بولو (1254 - 1324) هو أول من أطلق تسمية الحشاشين على هذه المجموعة عند زيارته لمعقلهم المشهور بقلعة ألموت

(1) القديس جون لينون: أحد قساوسة المجدويين بإنجلترا.

(Alamut) التي تبعد 100 كلم عن طهران.. وذكر إن هذه الجماعة كانوا يقومون بعمليات انتحارية واغتيالات تحت تأثير تعاطيهم الحشيش بينما يرى البعض في هذه القصة تلفيقاً وسوء ترجمة لاسم زعيم القلعة حسن بن صباح الملقب بشيخ الجبل، بغض النظر عن هذه التناقضات التاريخية فإن هذه المجموعة قامت بعمليات اغتيال في غاية التنظيم والدقة ضد الصليبيين والعباسيين والسلاجقة.

الاغتيالات في التاريخ القديم

منحوتة لقابيل من مذبح تقديس الحمل وهو يقتل هابيل، في كاتدرائية القديس بافو.. يعتبر تابعو الديانات الإبراهمية أن هذه كانت أولى عمليات الاغتيال في التاريخ.

بالنسبة للتيار المقتنع بالحقيقة التاريخية للكتب الدينية المقدسة فإن الاغتيال عملية قديمة قدم خلق الإنسانية ويورد البعض مثال قتل قابيل لهابيل (أبناء آدم) كأول عملية اغتيال بالإضافة إلى 7 اغتيالات مذكورة في العهد القديم ومنها على سبيل المثال:

- اغتيال ملك مؤاب (منطقة قديمة شرق عمان) الذي كان ملكاً على العماليق والآمونيين وكان يضطهد بني إسرائيل وتم اغتياله على يد الزعيم الروحي اليهودي أيهود حيث قام بطعن الملك بخنجر ذو حدين متظاهراً إنه يقدم الهدايا والطاعة لملك مؤاب.
- اغتيال أبنير ابن عم شائوول أول ملوك بني إسرائيل على يد يؤاب ابن عم الملك داوود ثاني ملوك بني إسرائيل كإنتقام من يؤاب من أبنير لقتله أخاه.
- اغتيال آمنون الابن الأكبر للملك داوود على يد الابن الأصغر عبشلوم حيث كانوا أشقاء من والدتين مختلفتين وقام عبشلوم بالاغتيال انتقاماً من إغتصاب أخته تمر على يد أمنون.

بعيداً عن العهد القديم في الكتاب المقدس فإنه من المعروف والموثق تاريخياً أن مملكة اليهود في فلسطين والتي كانت تعرف بيهودا كانت تتمتع بنوع من الاستقلالية تحت حماية الإمبرطورية الفارسية ولكن هذه الحالة الشبه مستقلة إنتهت في عام 63 قبل الميلاد عندما اجتاحت الجيوش الرومانية فلسطين وأصبحت مملكة يهودا تحت

الحكم المباشر للرومان الذين قاموا بتنصيب القائد العسكري الروماني هيرودس ملكاً عليها عام 37 قبل الميلاد والذي قام بفرض ضرائب باهظة على اليهود وأدت هذه التغيرات السياسية إلى ظهور مجموعة الزيلوت (Zealot) الثوريين الرافضين للتبعية الرومانية والرافضين لدفع الضرائب ودعا الزيلوت إلى الثورة المسلحة وتحرير يهودا نهائياً من الحكم الروماني، ومن بين الزيلوت ظهر مجموعة تقوم بعمليات الاغتيال المنظمة وكانوا يعرفون باسم السيكاري (Sicari) أي حملة الخناجر الذين كانوا يطعنون الرومانيين بالخناجر.

هناك العديد من عمليات الاغتيال السياسية التي تمت في القرون التي سبقت مولد المسيح وخاصة أثناء حكم الأسر والممالك المتصارعة في الصين وهناك حالة موثقة تاريخياً في القرن الثالث قبل الميلاد عندما تمكنت أسرة تشين من ضم الممالك الصينية المجاورة لهم وهذا المد العسكري لهذه الأسرة أوقع خيفة في قلب أمير أسرة يان الذي قام بإرسال شخص اسمه جنك كي J•ng K• لاغتيال حاكم أسرة تشين الإمبراطور شي هوانغ Sh• Huáng ولكن عملية الاغتيال كانت فاشلة.

اغتيال فيليبوس الثاني المقدوني

ومن عمليات الاغتيال المشهورة في فترة قبل الميلاد هو عملية اغتيال فيليبوس الثاني المقدوني (382 - 336 قبل الميلاد) المثيرة للجدل على يد أحد أفراد طاقم حمايته وهناك جدل حول المسؤولية التاريخية عن الاغتيال فالبعض يعتقد أن الاغتيال كان من تدبير زوجته أوليمبياس التي كانت أميرة لمنطقة البلقان بينما يتهم البعض الآخر ابنه الإسكندر الأكبر، ويذهب البعض الآخر إلى إلقاء اللوم على الملك الفارسي داريوش الثالث.. كانت الاغتيالات الوسيلة الشائعة لتصفية الخصوم السياسيين أثناء تحول جمهورية روما إلى الإمبراطورية الرومانية ومنها على سبيل المثال تصفية يوليوس قيصر في سنة 44 قبل الميلاد الذي كان بداية سقوط الجمهورية وبداية إنشقاق طبقي بين المتعاطفين مع القيصر من الطبقة الكادحة والوسطى ضد الطبقة الأرستقراطية التي يعتبرها البعض منظم عملية الاغتيال.

الاغتيالات في العصور الفرعونية ومن أشهرها اغتيال الأمير الفرعونى توت عنخ آمون ومـن قبله اغتيال الملك إخناتون ويعتقد أن كهنة المعابد الفرعونية لهم يد في ذلك بسـبب توجهـه إلى تغيير الآلهة إلى الإله الواحد آتون.

عندما أصبح قسطنطين الأول (272 - 337) المعتنق للمسيحية إمبراطور روما بدون منازع في عام 323 أصبحت المسيحية ديانة مسموحة بها حسب الاتفاق الـذي تـم التوصـل إليـه في مرسوم ميلان الذي نص على حيادية الإمبراطورية الرومانية تجاه العقائد الدينية منهياً بـذلك عقوداً من الإضطهاد الديني.. وبعد وفاة قسطنطين الأول تقاسـم السـلطة اثنـان مـن أبنائـه، قسطنطين الثاني (317 - 361) ويوليـوس قونسـطان (320 - 350) وبعـد مقتـل الثـاني أصـبح قسطنطين الثاني حاكم مطلق وكان أكثر تشدد من والده حول الحريات الدينية فقام بإصـدار مراسيم بإغلاق كل المعابد الوثنية ومعاقبة كل من يقوم بطقس وثنـي، فقـام عامـة الشـعب باستغلال هذا المرسوم وبدأت عمليات نهب وسلب وتخريب واسعة النطاق للمعابد الوثنيـة وتلى هذا التخريب استهداف شبه منظم للزعامات الدينية الوثنيـة.. ومـن عمليـات الاغتيـال المثيرة للجدل إلى يومنـا هـذا هـو قيـام مجموعـة مـن المتطـرفين باغتيـال عالمـة الرياضـيات والفيلسـوفة والمعلمـة الغنوصـية هيباتيـا وكانـت عمليـة الاغتيـال بتوجيـه مـن بطريـرك الإسكندرية كيرلس الأول (376 - 444).

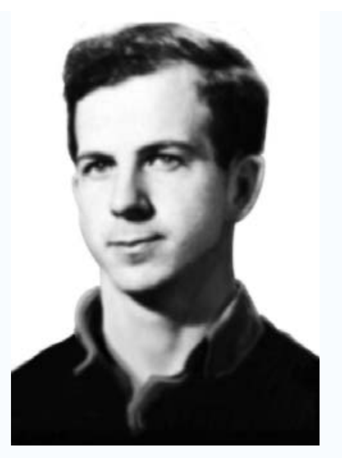
الاغتيالات في العصر الحديث



رسم لأحد الفنانين من عام 1865 لحادثة اغتيال أبراهام لينكون،
ويبدو القاتل جون ولكس بووث على أقصى يمين الصورة

في العصر الحديث إزداد دقة وحجم وتنظيم عمليات الاغتيال وتخطت أسباب الاغتيال حدود كونها نتيجة صراع داخلي بل اتخذت طابع إقليمي، ففي روسيا القيصرية تم اغتيال 5 من القياصرة في أقل من 200 سنة حيث تم اغتيال بطرس الثالث في 17 يوليو 1762 وايفان السادس في 5 يوليو 1764، وبولص الأول في 23 مارس 1801 وأسكندر الثاني في 13 مارس 1881 ونيقولاس الثاني في 17 يوليو 1918 بعد الثورة البلشفية. وفي الطرف الآخر من العالم يعتبر اغتيال أبراهام لينكون في 15 أبريل 1865 في مسرح فورد الأبرز في تاريخ الولايات المتحدة، حيث قام الممثل المسرحي جون ولكس بووث بإطلاق رصاصة على رأس لينكون أثناء مشاهدته لعرض مسرحي حيث كان بووث من المناصرين لإبقاء نظام العبودية الذي ألغاه لينكون في 1 يناير 1863.. وبالإضافة إلى لينكون تم اغتيال 3 رؤساء أمريكيين آخرين وأولهم كان الرئيس العشرون جيمس جارفيلد في 2 يوليو 1881 بعد إطلاق تشارلز غوتو رصاصتين عليه ولم يتم العثور أبداً على الرصاصة الثانية رغم محاولات ألكسندر غراهام بيل استعمال جهازه المتواضع لكشف المعادن لمعرفة مكان استقرار الطلقة في جسم كارفيلد وبقاء الطلقة الثانية بجسمه أودت بحياته بعد 80 يوماً من محاولة الاغتيال نتيجة لتسمم الدم

وتوفي كارفيلد في 19 سبتمبر 1881 وكان سبب الاغتيال هو رفض جارفيلد تعيين غوتو كقنصل للولايات المتحدة في باريس.



لي هارفي اوزوالد

كما تم اغتيال الرئيس الأمريكي الخامس والعشرون ويليام مكينلي في 6 سبتمبر 1901 على يد اللاسلطوي ليون زولغوس في نيويورك أثناء مشاهدته لعرض بعض الإختراعات الجديدة.. ومن مفارقات القدر ان أحد الأجهزة الذي كان يطلع عليها هو جهاز الأشعة السينية الذي لم يفكر أحد باستعماله لمعرفة موضع استقرار الطلقة ومات مكينلي متأثراً بجراحه بعد 8 أيام في 14 سبتمبر 1901، أما زولغوس فقد تم إعدامه بالكرسي الكهربائي وكانت آخر كلماته "لقد قتلته لأنه كان عدواً للبسطاء الكادحين ولا أشعر بالأسف لقتله".. أما الرئيس الأخير الذي تم اغتياله فهو جون كينيدي حيث تم إطلاق النار عليه في يوم الجمعة 22 نوفمبر 1963 في الساعة 13:30 أثناء زيارة لمدينة دالاس، وبعد 10 ساعات أي في الساعة 23:30 تم إتهام لي هارفي اوزوالد باغتيال كينيدي وبعد أقل من يومين من توجيه التهمة له أطلق جاك روبي النار عليه في مركز الشرطة ونشأت بعدها الكثير من نظريات المؤامرة حول اغتياله ومزاعم بتورط وكالة المخابرات المركزية والمافيا والمخابرات السوفيتية وفيدل كاسترو ونائب الرئيس ليندون جونسون ولكن لم يتم إلى الآن إثبات أي من هذه النظريات.

وفي أوروبا تسبب اغتيال الدوق النمساوي فرانتس فرديناند في 28 يونيو 1914 في سراييفو إعلان النمسا الحرب على صربيا ومن ثم اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكان منفذ العملية هو عضو في التنظيم القومي الصربي اليد السوداء ذو التطلعات القومية الهادفة إلى توحيد صربيا مع البوسنة والهرسك التي كانت تحت هيمنة النمسا آنذاك.. وأثناء الحرب العالمية الثانية قامت المخابرات البريطانية M16 بتدريب مجموعة من التشيكوسلوفاكيين لاغتيال القائد العسكري النازي رينهارد هايدريش وتمكنوا من نصب كمين محكم لموكبه في 27 مايو 1942 وإلقاء الرمانات على سيارته وتوفي بعد أسبوع في 4 يونيو 1942 في مستشفى بمدينة براغ حيث كان يشغل منصب وكيل الرعية وكان هذا المنصب في الواقع هو الحاكم المطلق على تشيكوسلوفاكيا الذي نصب فيه أدولف هتلر حكومة صورية من التشيكوسلوفاكيين المتعاونين مع ألمانيا النازية.

الحرب الباردة

بسبب الإختلافات الفكرية العميقة بين الأطراف المتصارعة في الحرب الباردة شهدت الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تطور نوعي وكمي في الاغتيالات السياسية.. ومن أبرز محاولات الاغتيال في هذه الفترة هي التي نجى منها فيدل كاسترو بأعجوبة عدة مرات وكانت كل هذه المحاولات مخططة لها من قبل وكالة المخابرات المركزية وبالتعاون مع معارضين كوبيين وكان إحدى الوسائل التي أُستعملت هي استخدام سيجار تم حقنه بسموم قاتلة، وهناك مزاعم أخرى في ضلوع الوكالة في محاولات لاغتيال القائد الثوري تشي جيفارا والرئيس التشيلي السابق سلفادور الليندي الذي تشير مصادر أخرى إنه مات منتحراً.. قام الرئيس الأمريكي جيرالد فورد في عام 1976 بإصدار قانون يمنع ضلوع الحكومة الأمريكية بكل قنواتها في عمليات الاغتيال.

في نفس الوقت كانت هيئة أمن الدولة السوفيتي أو ما كان يعرف بالحروف المختصرة كي جي بي نشطة جداً في اغتيال المعارضين الذين كانوا لاجئين في دول أخرى.. ومن الأمثلة التقليدية على ذلك هو اغتيال الروائي والمسرحي البلغاري غوركي

ماركوف (1929 - 1978) الذي لجأ إلى بريطانيا وعمل كصحفي ومراسل لهيئة الإذاعة البريطانية وقام بتوجيه إنتقادات شديدة لحكومة بُلغاريا الشيوعية وبعد محاولتين فاشلتين تم اغتيالهُ بنجاح في لندن في 7 سبتمبر 1978.

وعلى الرغم من إنتهاء الحرب الباردة وبالرغم من إصدار جيرالد فورد القرار رقم 12333 القاضي بمنع الاغتيالات إلا أن هناك مؤشرات على استمرار تجنيد وتدريب منفذي الاغتيالات في الولايات المتحدة وروسيا.. ففي مدينة كولومبيا الواقعة في ولاية جورجيا توجد مؤسسة العالم الغربي الأمنية (Western Hemisphere Institute for Security Cooperation) وهي مؤسسة تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية ومهمتها تدريب الهيئات الأمنية والعسكرية لدول أمريكا الجنوبية، ويتخرج حوالي 1000 طالب سنوياً من هذه المؤسسة وهناك الكثير من الجدل حول الأغراض الحقيقية لهذه المؤسسة ففي عام 1999 إعترض الكونجرس الأمريكي على استعمال المؤسسة كتاب منهجي عن طرق التعذيب في المنهج الدراسي للمعهد، وقيام هذه المؤسسة بتدريب جهاز الأمن في دول هي على اللائحة العالمية لإساءتها لحقوق الإنسان، وتُسمى هذه المؤسسة من قبل المعارضين بمدرسة الاغتيالات.. ونفس الاتهام موجه إلى روسيا على استمرارها على تكتيكات المخابرات السوفيتية السابقة فيما يخص الاغتيالات وخاصة في الشيشان.

الصراع العربي ــ الإسرائيلي

يغص تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي بعمليات اغتيال نفذتها إسرائيل ضد خصومها.. لعل من أشهرها عمليات الاغتيال التي أعقبت عملية ميونيخ.

وتعتبر عملية ميونخ التي قامت بها أفراد من منظمة أيلول الأسود بأنها من أهم الهجمات الإرهابية في العصر الحديث، وأنها دفعت بالقضية الفلسطينية تحت الأضواء العالمية لافتة الانتباه لعقود من الصراع في الشرق الأوسط. حيث قام أفراد من منظمة أيلول الأسود أثناء دورة الأولمبياد الصيفية المقامة في ميونخ بألمانيا عام 1972 بإحتجاز أفراد من الفريق الأولمبي الإسرائيلي كرهائن، مطالبين بإطلاق سراح 234 معتقل في السجون الإسرائيلية بالإضافة إلى إطلاق سراح الألمانيين أندرياس بادير وأولريك

مينهوف أعضاء حركة الجيش الأحمر الألمانية اليسارية الإرهابية، وقد قـام المختطفـون برمـي أحـد الرياضـيين مـن الشرفـة لإقنـاع السـلطات الإسرائيليـة والألمانيـة الرافضـة للمفاوضـات بجديتهم وقامت قوة من الشرطة الألمانية بمحاولة إنقاذ فاشـلة لكـن الأمـر انتهـى بمقتـل 11 رياضي إسرائيلي وقتل 5 من المختطفين الثمانية. وقد قامت إسرائيل بإستغلال العملية لتنفيـذ سلسلة من عمليات الاغتيال بحق العديد من القيادات الفلسطينية زاعمة وجود علاقـة لهـم بعملية ميونخ.

كما قامت إسرائيل بالعديد من عمليات الاغتيال بحق قيـادات فلسـطينية في لبنـان أثنـاء الحرب الأهلية اللبنانية وفي تونس والعديد من الدول الأوروبية.

وخلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية قامت إسرائيل باستخدام العديد من الوسائل القتالية وعلى رأسها القصف الجوي والمدفعي لتصفية العديـد مـن السياسـيين والنشـطاء والمقـاومين الفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية، وكان من أبرز ضحايا تلك الاغتيالات قادة الجبهـة الشعبية (أبو علي مصـطفى) وحركـة حـماس (أحمـد ياسـين وعبـد العزيـز الـرنتيسي وصـلاح شحادة وإبراهيم المقادمة) فضلاً عن وجـود شـكوك لـدى الكثـيرين حـول تـورط إسرائيـل في موت ياسر عرفات.

اغتيالات عسكرية

ترجع فكرة اغتيال قائد عسكري أو الاغتيـال لأسـباب عسـكرية بحتـة إلى عهـود سـحيقة حيث يوجد في كتاب الأمير لنيكولو مكيافيلي وكتاب فن الحرب لـ سون وو مـؤشرات واضـحة وصريحة حول أهمية دور قائد عسكري معين في الروح المعنوية لجنوده وكيف أن مقتل قائد واحد في بعض الأحيان كفيل بكسر شوكة جيش عملاق، ولكن الـبعض الآخـر يـرى أن اغتيـال القائد العسكري هو سلاح ذو حدين فقد يكون لمقتله رفع للروح القتاليـة لجنـوده المطـالبين بالإنتقام أو يكون في مقتله إحتمالية لتقليل فرص السلام عن طريق فتح المجال لقيادات أقـل مركزية ونفوذ محورية.

يورد البعض مقتل ملك السويد غوستاف الثاني أدولـف الـذي كـان قائـد الجـيش السويدي البروتستانتي في الخطـوط الأماميـة في معركـة قـرب ساكسـن-أنهالـت ضـد الإمبراطورية البيزنطية الكاثوليكية في نوفمبر 1632 وبالرغم من أنه لم يُغتال بل وقع

قتيلاً أثناء المعركة إلا أن قتله كان عامل مهم حسب المؤرخيين في انتصار الجيش السويدي في تلك المعركة ولكن التيار المقتنع بأهمية اغتيال أو مقتل القادة العسكريين يوردون بعض الأمثلة التاريخية الأخرى ومنها التأثير السلبي على معنويات الجيش الياباني بعد اغتيال القائد العام للقوات البحرية اليابانية أثناء الحرب العالمية الثانية إيسوروكو ياماموتو في عملية استهداف منظمة من قبل الاستخبارات العسكرية الأمريكية التي استطاعت إلتقاط الإشارات اللاسلكية اليابانية وعلمت بأن القائد المذكور سيقوم برحلة لتفقد القطعات البحرية اليابانية فقامت طائرة حربية أمريكية بإسقاط الطائرة التي كان يستقلها.

اغتيالات اقتصادية

عندما يتم الاغتيال عن طريق وسيط أو شخص أو مجموعة تم توظيفهم أو توكيل مهمة الاغتيال اليهم فإن الشخص الذي يقوم بعملية الاغتيال يكون هدفه الرئيسي هو إستلام المبلغ أو المزايا الاقتصادية المتعلقة بقيامهم بعملية الاغتيال. ومن أشهر الوسطاء في التاريخ هم المافيا. في عام 1994 طفى على السطح ولأول مرة مصطلح غريب ومثير للجدل إلا وهو بورصة الاغتيال على يد مهندس الحاسوب تيموثي ماي (Timothy C. May) الذي تحدث عن بورصة نظرية يضع فيه شخص ما توقعاته عن يوم اغتيال شخص معين ويراهن بمبلغ معين عن طريق الإنترنت ويشارك في هذا الرهان مجموعة من مستخدمي الإنترنت ويكون الفائز هو الذي توقع التاريخ الدقيق لاغتيال الشخص.

اغتيالات سياسية

الاغتيالات السياسية ظاهرة قديمة وشائعة جداً ولاتكاد أي فترة تاريخية أو بقعة جغرافية تخلو من هذه الظاهرة، وهناك حوادث اغتيال سياسية سلطت عليها الأضواء وهناك حوادث أخرى لم تلق اهتمام كبير من قبل الإعلام. ومن الأمثلة على الاغتيالات السياسية في الشرق الأوسط التي لم تحظى باهتمام كبير هي الاغتيالات التالية:

- اغتيال جار الله عمر (1942 - 2002) نائب السكرتير العام للحزب الاشتراكي اليمني في 28 ديسمبر 2002 ذو الأفكار الماركسية على يد شاب ذو أفكار وصفت بالإسلامية المتطرفة وإسمه علي أحمد جار الله الذي تم إعدامه في 14

سبتمبر 2003، وكانت عملية الاغتيال ضمن مخطط واسع لاغتيال التيار القومي العربي والناصري في اليمن.

- اغتيال الطفل اقبال مسيح (1982 - 1995) من باكستان في 16 أبريل 1995 والذي تم بيعه كعبد لإحدى معامل السجاد عندما كان عمره 4 سنوات بمبلغ 12 دولار وإستطاع الفرار من عبوديته عندما أصبح عمره 10 سنوات وأصبح ناشط ومتحدث في مجال عبودية الأطفال وبعد 5 سنوات من اغتياله منح جائزة دولة السويد لحقوق الأطفال.
- اغتيال الدبلوماسي المصري إيهاب الشريف (1954 - 2005) ببغداد في العراق في 3 يوليو 2005 على يد جماعة أبو مصعب الزرقاوي، وفي 14 يوليو 2005 تم إلقاء القبض على منفذ العملية خميس فرحان خلف عبد الفهداوي الملقب بأبو سبأ.

طرق ووسائل الاغتيالات

عملية الاغتيال عادة تتم بعد تخطيط وتحضير ويتراوح مدى تعقيد خطة الاغتيال من بسيطة إلى غاية في التعقيد نسبة إلى مدى صعوبة الوصول إلى الشخص المستهدف.

كانت اغتيالات العصر القديم بدائية في تخطيطها وتنفيذها وكان الاغتيال يتم على الأغلب بواسطة العصا أو الهراوة أو طعنة الخنجر ولكن حتى الهراوة القديمة قدم الإنسانية تم تطويرها في العصر الحديث بتحويلها الي هراوات قادرة على أحداث صعقات كهربائية والتي تسببت في مقتل 73 شخصا من عام 1999 الي 2004.. بالنسبة للطعن بالخنجر فقد تم اغتيال العديد من القادة المهمين في التاريخ باستعمال هذه الطريقة البسيطة ومنهم يوليوس قيصر ونيرون، وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب.. وكانت هذه الطرق البدائية فعالة بسبب عدم وجود حماية محكمة ومتطورة لهؤلاء القادة وكان من السهولة الوصول إليهم والإحتكاك بهم بصورة مباشرة، لكن مع التطور أصبح وصول المحكوم إلى الحاكم أكثر صعوبة مما أدى إلى تخطيط أكثر تعقيداً لعملية الاغتيال.

ومع إزدياد الحماية للأشخاص المهمين أصبح وسيلة إختراق ذلك الطوق أهم خطوة في الوصول إلى الهدف وأصبح استعمال السموم الوسيلة المفضلة في هذه المرحلة التاريخية ومن أشهر الذين تم اغتيالهم بهذه الطريقة:

- إمبراطور الصين Chin Hui-ti جين هوي تي (259 - 307) في 8 يناير 307.
- إستناداً إلى الشيعة، اغتيال موسى الكاظم باستعمال السم بتوجيه من هارون الرشيد.
- اغتيال ملك السويد أريك السادس عشر وهو في السجن بتوجيه من شقيقه جون الثالث الذي أزاله عن العرش ثم قام بسجنه وتسميمه.
- إيرون رومل الذي كان يلقب بثعلب الصحراء حيث خيره هتلر بين تناول السم والمثول للمحكمة بتهمة محاولة التآمر عليه.

من محاولات الاغتيال الحديثة باستعمال السم هو محاولة اغتيال خالد مشعل قائد الجناح السياسي لحركة حماس من قبل الموساد الإسرائيلي، ولكن المخابرات الأردنية إكتشفت محاولة الاغتيال وقامت بإلقاء القبض على اثنين من عناصر الموساد المتورطين، وطالب الملك الحسين بن طلال من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو المصل المضاد للمادة السامة التي حقن بها خالد مشعل.

ومع اختراع الأسلحة النارية أصبح الطوق الأمني البشري غير كافياً بمنع اغتيال الشخصيات المهمة وأصبح بمقدور منفذ العملية الاستهداف من بعيد والفرار بعد تنفيذه للعملية. ومن محاولات الاغتيال القديمة والموثقة عن طريق استعمال المواد المتفجرة هي المحاولة الفاشلة من قبل المتعاطفين مع الكاثوليك لاغتيال الملك جيمس الأول وعائلته ومعظم الأرستقراطيين البروتستانت دفعة واحدة عن طريق تفجير البرلمان البريطاني في 5 نوفمبر 1605 ولايزال يوم 5 نوفمبر يوماً يحتفل به الكثيرين في بريطانيا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا وكندا.

تطور الأمر تدريجياً إلى استعمال بنادق القنص والسيارات المفخخة ومن أشهر من تم اغتيالهم بواسطة القناص هو جون كينيدي، أما السيارات المفخخة فقد تم استعمالها بكثافة في أيرلندا الشمالية من قبل الجيش الجمهوري الايرلندي وفي الشرق الأوسط

تم استعمال السيارات المفخخة على نطاق واسع لأول مرة من قبل حزب اللـه أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، كما تم استعمال السيارات المفخخة من قبل نمور التاميل في سريلانكا وبعض فصائل المقاومة العراقية بعد غزو العراق عام 2003.

الفصل الثامن

الـمــوســـــــاد
فكرة ... تتحول إلى واقع

يبدأ تاريخ الموساد عام 1897 في بال بسويسرا، سعياً لتحويل الأقلية اليهودية التي كانت قائمة في فلسطين إلى أغلبية، وذلك عن طريق تهجير يهود أوروبا بطرق شرعية أو غير شرعية ليصبح هناك "شعب يهودي في فلسطين وتحويل هذا الشعب اليهودي إلى مالك للأرض التي لم يكن يملك منها أكثر من اثنين في المائة عام 1917 أي حتى صدور وعد بلفور".

ففي عام 1901 أنشأ المؤتمر الصهيوني الخامس صندوقاً خاصاً يحمل اسم (صندوق إسرائيل الأزلي) لشراء الأراضي من مُلاكها العرب وتحويلها إلى أراض مملوكة للشعب اليهودي (ملكية أزلية) غير قابلة للانتزاع تحت أي ظرف في المستقبل، وبالفعل تمكن الصندوق من الإستحواذ على الأراضي الفلسطينية بوسائل الترهيب والمذابح حتى استطاع في عام 1947-عام صدور التقسيم- أن يضع يده على ما يعادل 6% من مجموع مساحة الأرض الفلسطينية، وقد اصدرت إسرائيل قانوناً في 15 أكتوبر (تشرين الأول) 1948 يُبيح لوزير زراعتها أن يضع يده على الأراضي الزراعية العربية (المهجورة) أي التي تحول أصحابها إلى لاجئين وتوزيعها على من يختاره من المزارعين اليهود، وفي 12 ديسمبر (كانون الأول) من عام 1948 صدر قانون آخر يُبيح وضع اليد على الأملاك العربية (المهجورة) في المدن، وبذلك انتقل 40 ألفاً آخرين للإقامة في بيوت الفلسطينيين في يافا. وفي نهاية عام 1949 كانت جميع بيوت الفلسطينيين الشاغرة قد أصبح سُكانها نزلاء جدداً من اليهود بالإضافة إلى الاستيلاء على البيوت والمخازن والمستودعات ووسائل النقل والمصانع والورش والفنادق والمطاعم والمقاهي ودور السينما.

وفي الكتاب الأبيض أنه في الوقت الذي تدفق فيه على فلسطين 350 ألف مهاجر يهودي إضافي عام 1949 ارتفع عدد النازحين من الفلسطينيين الي 900 الف منهم 485 ألفا نزحوا إلى الأردن و128 ألفا نزحوا إلى لبنان و83 ألفا إلى سورية فضلاً عن 200 ألف نزحوا من مدنهم وقُراهم الأصلية إلى قطاع غزة، وفي المقابل تضاعفت هجرة اليهود إلى فلسطين بعد أن اصدرت إسرائيل قانون العودة في يوليو (تموز) 1950.

إن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية تبنت أهدافا وأغراضاً تفوق قدرة دولة صغيرة مثل إسرائيل، وكانت هذه العناصر بمثابة عيون وآذان لها سواء في الخارج أو الداخل،

إلى جانب ذلك فقد أصبحت أجهزة الاستخبارات ذراع السلطة السري الذي يستطيع أن يُنفذ أية مهمة تهدف إلى مصلحة الشعب اليهودي وأمنه وسياسة الحكومة، وأصبح جهاز البوليس السري، أداة لإثارة الانقلابات ولأعمال العنف وللتدخل السري في شؤون الدول لاسيما العربية.

ففي عام 1920 أنشأت الوكالة اليهودية فروعاً لها في القدس ولندن ونيويورك وجنيف وباريس وبرلين والقاهرة، وتولى المكتب السياسي فيها الكولونيل (كيس) الذي قام ببناء منظومة الجاسوسية اليهودية العالمية. واستغل حماس اليهود لإنشاء الوطن القومي فجند منهم أعداداً كبيرة في فلسطين وغيرها وراحت فروع شبكاته تتستر وراء هيئات ومسميات مختلفة، أشهرها نوادي (الكابي) وهي نواد رياضية بعيدة عن الشُبهة، وكان الاسم الرسمي لهذه المنظومة هو (الهاجانا).

وضمت ثلاثة اقسام

- قسم وحدات (الهاجانا) العسكرية للقتال،الذي تحول فيما بعد إلى (جيش الدفاع).
- قسم وحدات (البالماخ) لاعمال التخريب والكوماندوز.
- قسم وحدات شاي أي خدمات المخابرات.

وتولى بن جوريون منصب رئيس الوكالة اليهودية، وقد قام بتوزيع أعمال المخابرات والتجسس على عدة اقسام:

- القسم العربي برئاسة مؤشر شاريه وكان يختص بجمع المعلومات عن العرب.
- القسم السياسي برئاسة روبين شيلوح.
- القسم العسكري برئاسة ايسير بعيري.

جهاز الموساد أنشئ عام 1937 عقب الإنتهاء من المؤتمر المشترك لقيادة حركة العمال الإشتراكيين وقيادة الهاجانا واطلق عليه حينئذ (موساد ليلياه بيث)، أي منظمة الهجرة الثانية، وتم تدشين أول مركز فعلي لقيادة الموساد في جنيف ثم انتقل إلى اسطنبول، وبعد قيام الدولة العبرية قرر بن جوريون رئيس الوزراء إعادة تنظيم أجهزة

الأمن، وقد حصل الموساد على استقلاله الذاتي ليقف على قمة أجهزة المخابرات والخطف والاغتيالات والفضائح.

ويتناول الجزء الأول بعض عمليات الخطف التي قام بها الموساد في حق العرب وآخرين، ومنها إختطاف أشخاص وسفن وطائرات، إضافة إلى سرقات بأساليب النصب والتحايل ومن أشهر قضايا الإختطاف التي يذكرها الكتاب قضية خطف المناضل المغربي المهدي بن بركة وقتله في باريس والتي ظهر تورط أكثر من 25 شخصاً فيها بينهم بعض ضباط المخابرات الفرنسية ومسؤولون مغربيون، وأُدين فيها المغربيان العقيد أحمد الدليمي والجنرال محمد أوفقير الذي ذهب سراً إلى إسرائيل لإبداء رغبته للموساد في تصفية زعيم المعارضة (بن بركة) الذي يقيم بسويسرا لإزاحة الملك من الحرج الدولي الذي يواجههُ بسبب تصريحات بن بركة، وهو ما رحبت به الموساد على الفور.

وعملية اختطاف عبد اللـه أوجلان زعيم الحزب الكردستاني من كينيا والتي تمت بالتعاون مع الأتراك.. وفي حين انكرت إسرائيل علاقتها بحادث الإختطاف، اعترف وزير العدل اليوناني (ايفان نجيلوس يانوبولوس) بخرق جهاز الموساد للمخابرات اليونانية.

ومن عمليات الاختطاف الأخرى خطف الطائرة الميج 21 العراقية والميج 23 السورية والميج 29 البولندية وزورق الصواريخ من فرنسا وسرقة تصميمات الطائرة ميراج 3 في فرنسا وسرقة الصاروخ اكسوسيت من تشيلي.

ويتناول الجزء الثاني بعض عمليات الاغتيالات التي قام بها جهاز الموساد ضد الأشخاص، مشيراً إلى أنه إذا كانت المذابح عند زعماء إسرائيل أهم وسائل تفريغ فلسطين من سكانها قبل 1948، فإن الاغتيال السياسي للشخصيات الفلسطينية وسيلة لا تقل أهمية.

وتجدر الإشارة إلى أن المخابرات الإسرائيلية استخدمت كل أساليب الاغتيال للتخلص من الرموز والثوار العرب، وكان لكل هدف مطلوب تصفيته أسلوب معين، بداية من المسدسات مروراً بالقنابل التي تتفجر آليا عند تشغيل السيارة والقنابل الموقوتة

وإنتهاء بالتفجير عن بعد بالريموت كونترول والطائرات بدون طيار (كما حدث في عملية اغتيال أمين عام حزب الله السيد عباس الموسوي عام 1992)، وقنابل الطرود والرسائل البريدية والخطف ثم القتل (كما في حالة داني سعيل) والقتل في ظروف غامضة (كما حدث لعالم الذرة المصري يحيى المشد وللطيار العراقي محمد زغلوب).

وقام الموساد بعمليات اغتيال أُستخدم فيها مسدس البرتا في العديد من عملياته أشهرها حادث اغتيال الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي الفلسطيني المقيم بأمريكا في 27 مايو(أيار) 1986 عندما طرق بابه بعض الأشخاص وقتلوه وزوجته. واستخدم السلاح نفسه في اغتيال وائل زعيتر ممثل منظمة التحرير في إيطاليا في 17 فبراير (شباط) 1972 بروما وأيضا سعيد الحمامي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن في 4 فبراير 1978، وكذلك عز الدين القسام ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بمكتبه في باريس في اغسطس (آب) 1978.

وبطريقة القنبلة الموقوتة، اغتال الموساد المخرج الجزائري محمد بوضياء رجل منظمة ايلول الأسود في باريس، وأيضا الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، وماجد أبو شرار الذي لبى دعوة لإلقاء كلمة في المؤتمر العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني في روما، في أكتوبر 1981 وعند عودته إلى الفندق كان رجال الموساد قد انتهوا من زرع القنبلة أسفل سريره، وبمجرد أن ألقى جسده المرهق على السرير حدث وميض هائل أعقبه انفجار سريع.

أما اشهر من اغتالهم الموساد بطريقة التفجير عن بعد، فهم علي حسن سلامة وعبد العزيز الرنتيسي والشيخ أحمد ياسين.

تاريخ سياسة الاغتيالات للموساد

شكلت سياسة الاغتيالات "الاسرائيلية" التي طالت كافة أعداء الدولة العبرية معلماً بارزاً من معالم الارهاب "الإسرائيلي" وبصورة تجاوزت معها السياسة المذكورة الخطوط الحمراء، بل يمكن القول أن إسرائيل تجاوزت كافة الأصول والأعراف والقواعد القانونية الدولية و الإنسانية ولم يشكل زمن الإنتفاضة الراهنة زمناً استثنائياً على مستوى الممارسة الارهابية "الاسرائيلية" بحق العرب عامة أو الفلسطينيين بوجه خاص، فسياسة الاغتيالات التي اتخذها الإسرائيليون لملاحقة الحركات الجهادية والنضالية صاغت نمطاً إسرائيلياً تقليدياً تجاوز الأعراف الدولية والإنسانية كافة، وبصورة قد لا تُحيد عن جادة الصواب، إذا ما قيل إن "اسرائيل" كانت سبّاقة في اللجوء إلى هذا النوع من العمليات السرية والعلنية حيث تمركزت أهدافها على قاعدة مزدوجة الرأس:

1- التأكيد على تفوقها الاستخباري.
2- إرهاب الجانب العربي.

وإذ تجاوزت الممارسات "الإسرائيلية" على هذا المستوى الجانب الفلسطيني، لتطول الجوانب العربية، بل والدولية أيضاً، فإن سياسة الإرهاب والتصفيات تلك تشعبت بين القتل الجائر واستعمال الطرود المتفجرة والسيارات المفخخة، وكذلك الطائرات والمواد السامة والهواتف النقالة.

و بالتالي فإن الاغتيالات تُعتبر أسلوباً تقليدياً في السياسة الإسرائيلية. في بعض الأحيان تتبنى إسرائيل العملية علناً، كما حدث عندما اغتالت قائد حزب الله السابق، عباس موسوي، في سنة 1992، أو تنفي بشكل قاطع، كما فعلت عندما اغتالت القائد الفلسطيني محمود الهمشري في باريس سنة 1972، أو تنفي بطرق مواربة لا تعطي فيها نفياً قاطعاً وحازماً، مثلما فعلت بعد اغتيال القائد الفلسطيني الثاني بعد ياسر عرفات، خليل الوزير (أبو جهاد) سنة 1989.

وفي أروقة الحكم العليا تُعرف عمليات الاغتيال باسم رمزي هو «إزاحة ديجيتالية». فعندما يتلقى رئيس الحكومة أو وزير الدفاع أو رئيس أركان الجيش أو رؤساء أجهزة

المخـابرات الأساسـية («الشـاباك» وهـي المخـابرات العامـة، و«الموسـاد»، وهـي المخـابرات الخارجية، و«أمان»، وهي المخـابرات العسـكرية)، بلاغـاً بعنـوان «إزاحـة ديجيتاليـة»، فـإنهم يفهمون أن الحديث يجري عن عملية اغتيال كبيرة يجب أن تتم بـأقصى السرعـة، ربمـا خـلال ثلاث دقائق أو تسع دقائق، وأن على كل منهم أن يترك كـل أشـغاله، ويسـتمع إلى التفاصـيل ويعطي القرار. والمنظم لهذه الاتصالات، هو أكبر حامل لأسرار الدولة العبرية، وهـو عـادة مـا يكون السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، وصاحب القرار الأخير يكون عادة رئـيس الـوزراء، لكنه يأخذ في الاعتبار توصية وزيـر الـدفاع. وتقـررت ونفـذت مئـات عمليـات الاغتيـال عـبر التاريخ الإسرائيلي، وليس فقط قبل قيام إسرائيل، عندما كانـت قواتهـا العسـكرية عبـارة عـن تنظيمات عسكرية، تعمل بطريقة العصابات، بل تواصلت هذه العمليات أيضاً بعدما صـارت إسرائيل دولة ذات سيادة معترف بها كعضو منظم في الأمم المتحدة. ولكـن لـيس كـل رؤسـاء الحكومات الإسرائيلية أيدوا هذه الاغتيالات. بل أن ليفي اشـكول (رئـيس الحكومـة في الفـترة 63 ـ 1969)، رفض بإصرار الخطط التي قدمها له مئير عميت، رئيس «الموساد»، لاغتيال رئيس حركة فتح، ياسر عرفات في الستينات، وأبرز هذه الخطط اغتيـال عرفـات في سـورية بطريقـة شبيهة جداً بطريقة اغتيال عماد مغنية، بواسطة تفجـير سـيارة مفخخـة بـالقرب منـه. بيـنما رئيسة الحكومة التي خلفته، غولدا مئير، وافقت على بعض العمليات ورفضت بعضـها. ومـن أهم العمليات التي وافقت عليها، عملية اغتيال ياسر عرفـات، في مطلـع سـنة 1974، عنـدما قام بزيارة النبطية في الجنوب اللبناني، لكن العملية فشلت، بسبب تـراكم الغيـوم في السـماء ومحدودية الرؤيا. وعـادت الطـائرات مـن دون أن تلقـي طـن المتفجـرات. في البدايـة كانـت عمليات الاغتيال ذات أثر بالغ، وأُعتبرت حدثاً كبيراً وخطيراً تهتز له المنطقة، مثل اغتيـال أبـو جهاد. ولكن في السنوات الأخيرة كثرت عمليات الاغتيال اللإسرائيلية ضد مسئولين فلسطينيين، وأصبحت شبه يومية. وبات الحدث كبيرا بمقدار مسؤولية من يتم اغتياله.

وفي سياق تتبع سياسة التصفيات والاغتيالات "الإسرائيليـة" قـد يكـون مـن الأهميـة الرجوع إلى عقد الإربعينيات إلى المرحلة السابقة على إقامة "إسرائيل" آنذاك، تم إنشاء

ما يسمى "مقاتلو الحرية" (ليتحي)، وكانت أبرز عملياتهم اغتيال الوسيط الدولي السويدي الجنسية، فولكا برندوت.

وفي الأربعينيات أيضاً، لجأ "الإسرائيليون" إلى أسلوب الطرود المفخخة، التي كانوا يرسلونها إلى شخصيات عربية وفلسطينية بغرض تصفيتها أو اعاقتها جسدياً، ولكن أسلوب الطرود المفخخة استخدمه "الإسرائيليون" أيضاً لاغتيال بعض الضباط والجنود الإنجليز في مصر، وقد قُتل العشرات من الإنجليز بهذا الأسلوب، وفي الواقع شهدت سنوات الأربعينيات اعتقال العديد من اليهود الذين نفذوا مثل هذه العمليات ومنهم إلياهو حكيم، وإلياهو بيت شوي، اللذين أُعدما شنقاً في العاصمة المصرية، بعدما ثبت تورطهما في مقتل اللورد موين.

واغتيال الدكتورة سميرة موسى المصرية فى حادث سيارة مفتعل فى سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة 1951 واشتهرت الدكتورة بأنها صاحبة اطروحة لدراسة استخدام المواد المشعة في جامعة أوكردج.

وفي عام 1956، أقدم الموساد "الاسرائيلي" على اغتيال الضابط المصري مصطفى حافظ من خلال طرد مفخخ انفجر بين يديه في مدينة غزة.. واستناداً إلى رواية العدو "الإسرائيلي" فإن مصطفى حافظ كان مسؤولاً عن عمليات التجسس داخل "اسرائيل"، وأعلن جهاز "أمان" مسؤوليته عن ذلك. وفى هذا العام أيضا تم أيضاً اغتيال الضابط المصرى صلاح مصطفى الذى كان يعمل ملحقاً عسكرياً بالسفارة المصرية بالأردن عنما انفجر فيه طرد بريدى وهو يمارس مهام عمله بعمان وفي العام 1963 وعندما كان اسحاق شامير رئيس الذراع العسكرية لما يسمى "مقاتلو الحرية" أرسل طروداً مفخخة إلى شخصيات ألمانية اعتبرتها "إسرائيل" قد ساعدت مصر في برنامجها الصاروخي، وقُتل العديد من الألمان في العمليات المذكورة.

و ننتقل إلى السبعينيات من القرن الماضى والتى تعد إحدى أهم المحطات في سياسة الاغتيالات والتصفيات "الإسرائيلية"، ففي مايو (أيار) 1972، أقدمت إسرائيل على اغتيال الكاتب غسان كنفاني، رئيس تحرير مجلة «الهدف» الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بدعوى الرد على قيام الجبهة بخطف طائرة سابينا إلى مطار

اللد. ولم تعترف إسرائيل رسمياً بهذه الجريمة حتى يومنا هذا، مع أن العديد من الكتب الإسرائيلية تحدثت عنها صراحة.

كما ذهبت الأجهزة الاستخباراتية "الإسرائيلية" إلى مطاردة الفلسطينيين في العواصم الأوروبية كافة، ولم تتوقف عمليات الاغتيال إلا بعد انكشاف أمر إحداها في العاصمة النروجية "أوسلو" عندما قُتل عامل جزائري في مطعم وكان المقصود من العملية المسؤول الفلسطيني الكبير أبو حسن سلامة مسئول جهاز الـ17.

وقد اعتقلت السلطات النرويجية آنذاك، عميل الموساد ارييل الذي كان أحد أفراد الفريق المنفذ للهجوم، وبعد ذلك اعتقلت السلطات النروجية خمسة آخرين من بينهم "ابراهام جمار" وهو من كبار قسم العمليات الخارجية في الموساد.

ووفقاً للمعلومات التي سربتها السلطات النرويجية بعد اعتقال دان ارييل، فإن الـ"موساد" كان مسؤولاً عن عشرات عمليات التفجير والاغتيالات التي حدثت في أوروبا في تلك الفترة، بعض هذه العمليات أعلن الـ"موساد" عنها صراحة والبعض الآخر بقى في ظل الكتمان، كما كشفت التحقيقات النروجية أن الشخص الذي وقف على رأس طاقم الاغتيالات في أوروبا، هو مايك هراري، الذي كان يعمل تحت الأمر المباشر لرئيس الـ"موساد" تسفي زمير، وكان يشرف لحظة الهجوم على المطعم النرويجي، للتأكد من مقتل أبو حسن سلامة، ومن بين عملاء الـ"موساد" الذين اعترفوا بالضلوع في عمليات الاغتيال باروخ كوهين الذي قُتل في مدريد في العام 1973 و"تدوك اونير" الذي تعرض لإطلاق نار في العاصمة البلجيكية بروكسل في العام نفسه.

وفي مقابلة نادرة جاء على لسان رئيس جهاز "آمان" السابق اللواء اهارون ياريف أن كبار القادة السياسيين في تل أبيب ابتعدوا عن الإعتراف عن العديد من العمليات التي كان الـ"موساد" ينفذها في أوروبا أو في قارات اخرى في العالم، وفي هذه المقابلة التي أجرتها معه هيئة الإذاعة البريطانية في العام 1993 أكد ياريف، أنه كان يتلقى أوامره مباشرة في سنوات السبعينات الأولى من رئيسة الوزراء آنذاك جولدا مائير، التي أعطت أوامرها الجائرة بملاحقة واغتيال قادة فصائل المقاومة الفلسطينية أينما وُجدوا،

وحسب ياريف، فإن الشخصيات الفلسطينية المستهدفة كانت منتقاة بدقة وأُبيح لـ"الموساد" استعمال الأساليب التي يراها مناسبة.

و في عام 1972 اغتال الـ"موساد" القائد الفلسطيني غسان كنفاني أحد أهم القياديين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وفي عام 1973 نفذت قوة كوماندوز "اسرائيلية" عملية اغتيال ثلاثة قادة فلسطينيين هم: أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر. و قد جاء على لسان العقيد الإحتياطي في الوحدات الخاصة في الجيش الإسرائيلي موكي عملية التصفية بالقول: إن أيهود باراك رئيس الوزراء السابق كان قائد العملية وبنتر نفسه قاد مجموعة من أربعة أشخاص، هؤلاء اقتحموا شقة أبو يوسف النجار الذي كان نائباً لياسر عرفات واطلقوا النار عليه وقُتلت زوجته معه، المجموعة الأخرى من فرقة الكومندوز قتلت كمال عدوان ضابط العمليات في م.ت.ف والمجموعة الثالثة قتلت كمال ناصر المتحدث آنذاك باسم منظمة التحرير الفلسطينية، واستناداً إلى أقوال بنتر فإن رئيس الأركان السابق ديفيد اليعازر، ورئيس الاستخبارات العسكرية ايلي زعيرا كانا أشرفا على وضع خطة التصفية للقياديين الفلسطينيين الثلاثة وكانت آخر الكلمات التي قالها هؤلاء لمنفذي العملية: "اقتلوا الأشرار".

وفي عام 1973 وتحديداً في يوليو، اغتال الـ"موساد" المسئول الفلسطيني في حركة فتح محمد بوديا من خلال تفجير سيارته التي كان أهمّ قيادتها. و في ديسمبر من عام 1975 اغتال الـ"موساد" محمود الهمشري مؤسس قوة الـ17 الفلسطينية. العملية جرت في باريس من خلال عبوة متفجرة وضعت في هاتف بيته. وفي فبراير من عام 1979 استطاع الـ"موساد" اغتيال أبو حسن سلامة، قائد قوة الـ"17" في بيروت، وعملية الاغتيال تمت بتفجير عبوة متفجرة بالقرب من سيارته عبر جهاز لاسلكي.

واستمراراً في سياسة القتل والتصفية اغتالت وحدة كوماندوز المسئول الفلسطيني أبو جهاد في أبريل من عام 1988 وذلك في العاصمة التونسية، وقد أطلق المهاجمون 70 رصاصة على أبو جهاد للتأكد من مصرعه. وفي أغسطس 1989 أقدمت "إسرائيل" على خطف الشيخ عبد الكريم عبيد من بلدته جبشيت في جنوب لبنان.

وفي مارس من عام 1990 اغتال الـ"موساد" العالم الكندي جارلد بول، في شقته في بروكسل بحجة التعاون مع العراق في تطوير المدفع العملاق العراقي. وفي فبراير من عام 1992 اغتالت طائرات الأباتشي "الاسرائيلية" الأمين العام لحزب الله السيد عباس الموسوي مع زوجته وابنهما. وفي أبريل 1994 خطفت مجموعة كوماندوز إسرائيلية المسئول في "المقاومة المؤمنة" الحاج مصطفى الديراني، من بلدته قصرنبا في البقاع اللبناني.

وفي أكتوبر من عام 1995 اغتال الـ"موساد" "الإسرائيلي" أمين عام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الدكتور فتحي الشقاقي في مالطا لدى عودته من زيارة لليبيا، وقد نفذت عملية الاغتيال عبر عميل "إسرائيلي" كان يستقل دراجة نارية، وأطلق عميل الـ"موساد" النار على رأس الشقاقي فيما كان عميل آخر يقود الدراجة ذاتها.

وفي يناير من عام 1996 اغتالت "اسرائيل" القائد الفلسطيني في حركة "حماس" يحيى عياش في منطقة غزة وتم وضع مادة متفجرة في هاتفه النقّال، وأكدت وكالات أنباء أجنبية آنذاك أن جهاز الـ"شاباك" يتحمل مسؤولية العملية تلك. وفي سبتمبر 1998، حاول الـ"موساد" اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس" خالد مشعل، اعتماداً على مادة سامة أُدخلت في جسمه، إلا أن هذه العملية فشلت وتم اعتقال المُنفذين في الاردن.

و فى بداية العقد الحالي أقدمت إسرائيل على اغتيال العديد من رموز المقاومة الفلسطينية والتى تزايدت مع استمرار الإنتفاضة حيث تعددت الاغتيالات والتصفيات الجسدية و التى كان أبرزها:

- إبراهيم بني عودة.. قائد في كتائب عز الدين القسام في الضفة الغربية، اغتيل بتفجير سيارته بتاريخ 2000/11/23.
- ثابت ثابت: أمين سر حركة فتح في طولكرم، اغتيل بتاريخ 2000/12/31.
- جمال منصور : عضو القيادة السياسية لحركة حماس بالضفة الغربية، وأحد مبعدي مرج الزهور في العام 1992، سجن لسنوات عديدة في السجون الصهيونية

ومعتقلات السلطة الفلسطينية. اغتيل بتاريخ 2001/7/31 عندما استهدفته الطائرات الصهيونية عندما كان في أحد المراكز الصحفية.

- جمال سليم: عضو القيادة السياسية لحركة حماس في الضفة الغربية، ومن المؤسسين لرابطة علماء فلسطين وأمين سرها، وترأس لجنة التنسيق الفصائي. اغتيل بتاريخ 2001/7/31 وكان برفقة الشيخ جمال منصور.

- أبو علي مصطفى: الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان من المشاركين البارزين في حركة القوميين العرب في الخمسينيات والستينيات، اغتيل في مكتبه برام الله بصاروخين من طائرات الأباتشي يوم 2001/8/27.

- محمود أبو هنود: قائد بارز في كتائب عز الدين القسام في الضفة الغربية، تعرّض لمحاولة اغتيال أولى في 2000/8/26 في قرية (عصيرة) قرب نابلس واستطاع خلالها قتل ثلاثة جنود صهاينة. اغتيل بتاريخ 2001/11/23 بواسطة الطائرات الصهيونية.

- يوسف السوركجي: قائد كتائب عز الدين القسام في الضفة الغربية، كان إماماً وخطيباً في العديد من مساجد نابلس، استشهد بتاريخ 2002/1/22 حين أقدمت وحدة صهيونية خاصة على اقتحام إحدى الشقق في نابلس واغتالته مع عدد من إخوانه.

- صلاح شحادة: القائد العام لكتائب عز الدين القسام في قطاع غزة، اعتقلته سلطات الإحتلال لأول مرة في العام 1984 بتهمة نشاطه المعادي للإحتلال، ثم أفرجت عنه في العام 1986، قبل أن تعاود اعتقاله في العام 1989 والذي استمر إلى العام 2000. وفي 2002/7/22 كان القائد صلاح شحادة على موعد مع الشهادة حين أطلقت طائرة صهيونية من نوع (أف 16) قنبلة تزن طناً أدت إلى استشهاده إضافة إلى 15 فلسطينياً آخرين.

- حمد ضيف: قائد كتائب عز الدين القسام، ينجو من محاولة لاغتياله بتاريخ 2002/9/26 وذلك بقصف سيارة كان يستقلّها في غزة. وأدت المحاولة إلى إصابة القائد ضيف.

- نضال فرحات: مهندس صواريخ القسام، اغتيل بتاريخ 2003/2/16 بتفجير طائرة مفخخة.
- إبراهيم المقادمة: أحد أبرز قادة ومفكري حركة حماس، له العديد من الدراسات والكتب، لقبته الصحف الصهيونية بنووي حماس، اعتقل عدة مرات في السجون الصهيونية ومعتقلات السلطة، وفي 2003/3/8 أطلقت طائرتان صهيونيتان من نوع (أباتشي) خمسة صورايخ باتجاه سيارة المقادمة مما أدى إلى استشهاده مع ثلاثة من مرافقيه.
- إسماعيل هنية: عضو القيادة السياسية لحماس، حاول العدو الصهيوني اغتياله في 2003/9/6 عندما كان برفقة الشيخ أحمد ياسين، وذلك بقصف جوي نجيا منه بأعجوبه.
- محمود الزهار: قيادي بارز في حركة حماس، جرت محاولة لاغتياله في 2003/9/10 بقصف جوي على منزله أدى إلى إصابة الدكتور محمود الزهار واستشهاد ابنه خالد.
- الإمام أحمد ياسين: مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وأحد أبرز وجوه الصحوة الإسلامية، أسس المجمع الإسلامي في السبعينيات، واعتقل عدة مرات بسبب نشاطه الإسلامي والجهادي، اغتيل بتاريخ 2004/3/22 بواسطة الطائرات الصهيونية.
- عبد العزيز الرنتيسي: داعية ومجاهد معروف، وأحد مؤسسي حركة حماس، لُقب بصقر فلسطين، وكان الناطق الرسمي باسم مبعدي مرج الزهور، تسلّم قيادة حماس في غزة بعد استشهاد الشيخ ياسين. اغتيل في 2004/4/17 بقصف جوي صهيوني.
- ولم يكن هو آخر الشهداء، بل استمر نزيف الدماء الطاهرة على الأراضى العربية ليبقى شاهداً على صمود جيل عربي يأبى الخضوع و الاستسلام الا أن تتحرر كل الأراضى العربية من المغتصب الغادر و لو كان ذلك يتطلب عشرات السنين و آلاف من الشهداء.

قادة الإرهاب

وفي مقابلة نادرة جاء على لسان رئيس جهاز "آمان" السابق اللواء (اهارون يـاريف): "إن كبار القادة السياسيين في تل أبيب ابتعدوا عن الإعتراف عن العديد من العمليـات التـي كـان الموساد ينفذها في أوروبا أو في قارات أخرى في العـالم"، وفي هـذه المقابلـة التـي أجرتهـا معـه هيئة الإذاعة البريطانية في العام 1993 أكد (ياريف) أنه كان يتلقى أوامره مباشرة في سـنوات السبعينات الأولى مـن رئيسـة الـوزراء آنـذاك (غولـدا مـائير)، التـي أعطـت أوامرهـا الجـائرة بملاحقة واغتيال قـادة فصـائل المقاومـة الفلسـطينية أيـنما وُجـدوا، وحسـب (يـاريف)؛ فـإن الشخصيات الفلسطينية المستهدفة كانت منتقـاة بدقـة وأُبـيح للموسـاد اسـتعمال الأسـاليب التي يراها مناسبة.

في العام 1972 اغتال الموساد القائد الفلسـطيني (غسـان كنفـاني) أحـد أهـم القيـاديين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسـطين، وفي العـام 1973 نفـذت قـوة كومانـدوز إسرائيليـة عمليـة اغتيال ثلاثة من القادة فلسطينيين، هم: أبو يوسف النجار، وكمال عدوان، وكـمال نـاصر. وفي كـانون الأول مـن العـام 1975 اغتـال الموسـاد (محمـود الهـمشري) مؤسـس قـوة الــ17 الفلسطينية، وقد جرت العملية في باريس باستخدام عبوة متفجرة وضعت في هاتف بيته.

وفي عام 1973 وتحديداً في تموز، اغتال الموسادُ المسؤولَ الفلسطيني في حركة فتح (محمـد بوديا) من خلال تفجير سيارته التي كان همّ بقيادتها.

وفي شباط من العام 1979 استطاع الموساد اغتيال (أبي حسن سلامة) قائد قوة الـ"17" في بيروت، وعملية الاغتيال تمت بتفجير عبوة متفجرة بالقرب من سيارته عبر جهاز لاسلكي.

بشاعة صهيونية

واستمراراً في سياسة القتل والتصفية اغتالت وحدة كومانـدوز المسـؤول الفلسـطيني (أبـو جهاد) في نيسان من العام 1988 ، وذلـك في العاصـمة التونسـية، وقـد أطلـق المهـاجمون 70 رصاصة على أبي جهاد للتأكد من مصرعه.

وفي آب 1989 أقـدمت إسرائيـل عـلى خطـف الشـيخ (عبـد الكـريم عبيـد) مـن بلدتـه "جبشيت" في جنوب لبنان.

وفي آذار من العام 1990 اغتال الموساد العالم الكندي (جارلـد بـول) في شـقته في بروكسـل بحجة التعاون مع العراق في تطوير المدفع العراقي العملاق.

وفي شباط من العام 1992 اغتالت طائرات الأباتشي الإسرائيلية الأمين العـام لحـزب اللــه السيد (عباس الموسوي) مع زوجته وابنهما.

وفي نيسان 1994 خطفت مجموعـة كومانـدوز صـهيونية المسـؤولَ في "المقاومـة المؤمنـة" الحاج (مصطفى الديراني) من بلدته قصرنبا في البقاع اللبناني.

وفي تشرين الأول من العام 1995 اغتال الموساد الإسرائيلي أمين عام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الدكتور (فتحي الشقاقي) في مالطا لدى عودته من زيارة لليبيا، وقد نفذت عملية الاغتيال عبر عميل إسرائيلي كان يستقل دراجة نارية، وأطلق عميـل الموسـاد النـار عـلى رأس الشقاقي، فيما كان عميل آخر يقود الدراجة ذاتها.

وفي كانون الثاني من العام 1996 اغتالت إسرائيـل القائـد الفلسـطيني في حركـة "حـماس" (يحيى عياش) في منطقة غزة، وتم وضع مادة متفجرة في هاتفه النقّال، وأكدت وكالات أنبـاء أجنبية آنذاك أن جهاز الـ"شاباك" يتحمـل مسـؤولية العمليـة تلـك. وفي أيلـول 1998، حـاول الموساد اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركـة "حـماس" (خالـد مشـعل)، اعـتماداً عـلى مـادة سامة أدخلت في جسمه، إلا أن هذه العملية فشلت، وتـم اعتقـال المنفـذين في الأردن. ومـع انطلاق انتفاضة الأقصى اعترفت إسرائيل رسمياً بانتهاج هذه السياسة إثر العملية التي نفذتها قوات الاحتلال الإسرائيلي عندما أطلقت طائرة مروحية ثلاثـة صـواريخ تجـاه سـيارة الشـهيد (حسين عبيات)، بتاريخ 9 نوفمبر 2000، مما أدى لمقتله.

البرتوكول السادس عشر

رغبة في تدمير أي نوع من المشروعات الجمعية غير مشروعنا ـ سنبيد العمل الجمعي في مرحلته التمهيدية أي أننا سنغير الجامعات، ونعيد إنشائها حسب خططنا الخاصة.

وسيكون رؤساء Heads الجامعات وأساتذتها مُعدين إعداداً خاصاً وسيلته برنامج عمل سري مُتقن سيُهذبون ويشكلون بحسبه، ولن يستطيعوا الإنحراف عنه بغير عقاب. وسيرشحون بعناية بالغة، ويكون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة Gouvernment وسنحذف من فهرسنا Syllabus كل تعاليم القانون المدني مثله في ذلك مثل أي موضوع سياسي آخر. ولن يختار لتعلم هذه العلوم إلا رجال قليل من بين المدرسين، لمواهبهم الممتازة. ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتياناً خضر الشباب ذوي أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة، كأنما هذه الاصلاحات مهازل comedies أو مآسٍ Tragedies، ولن يسمح للجامعات أيضاً ان تخرج فتياناً ذوي اهتمام من أنفسهم بالمسائل السياسية التي لا يستطيع ولو آبائهم أن يفهموها.

إن المعرفة الخاطئة للسياسية بين أكداس الناس هي منبع الأفكار الطوباوية Utopian ideas وهي التي تجعلهم رعايا فاسدين. وهذا ما تستطيعون أن تروه بأنفسكم في النظام التربوي للأميين (غير اليهود). وعلينا أن نقدم كل هذه المبادئ في نظامهم التربوي، كي نتمكن من تحطيم بنيانهم الاجتماعي بنجاح كما قد فعلنا. وحين نستحوذ على السلطة سنبعد من برامج التربية كل المواد التي يمكن أن تمسخ upset عقول الشباب وسنصنع منهم أطفالاً طيعين يحبون حاكمهم، ويتبينون في شخصه الدعامة الرئيسية للسلام والمصلحة العامة.

وسنتقدم بدراسة مشكلات المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات Classics وبدراسة التاريخ القديم الذي يشتمل على مثل Examples سيئة أكثر من اشتماله على مثل حسنة وسنطمس في ذاكرة الإنسان العصور الماضية التي قد تكون شؤماً علينا، ولا نترك إلا الحقائق التي ستظهر أخطاء الحكومات في ألوان قاتمة فاضحة. وتكون في مقدمة برنامجنا التربوي الموضوعات التي تعني بمشكلات الحياة العملية، والتنظيم الاجتماعي. وتصرفات كل إنسان مع غيره، وكذلك الخطب التي تشن الغارة

على النماذج الأنانية السيئة التي تعدي وتسبب الشر، وكل ما يشبهها من المسائل الأخرى ذات الطابع الفطري. هذه البرامج ستكون مرتبة بخاصة للطبقات والطوائف المختلة، وسيبقى تعليمها منفصلاً بعضها عن بعض بدقة.

وإنه لأعظم خطورة أن نحرص على هذا النظام ذاته. وسيفرض على كل طبقة أو فئة أن تتعلم منفصلة حسب مركزها وعملها الخاصين. إن العبقرية العارضة chance قد عرفت دائماً وستعرف دائماً كيف تنفذ إلى طبقة أعلى، ولكن من أجل هذا العرض الإستثنائي تماماً لا يلي أن نخلط بين الطوائف المختلفة، ولا أن نسمح لمثل هؤلاء الرجال بالنفاذ إلى المراتب العليا، لا لسبب إلا إنهم يستطيعون أن يحتلوا مراكز من ولدوا ليملأوها وأنتم تعرفون بأنفسكم كيف كان هذا الأمر شؤماً على الأمميين إذ رضخوا للفكرة ذات الحماقة المطلقة القاضية بعدم التفرقة بين الطبقات الاجتماعية.

ولكي ينال ملكنا مكانة وطيدة في قلوب رعاياه، يتحتم أثناء حكمه أن تتعلم الأمة، سواء في المدارس والأماكن العامة أهمية نشاطه وفائدة مشروعاته.

إنا سنمحو كل أنواع التعليم الخاص. وفي أيام العطلات سيكون للطلاب وآبائهم الحق في حضور اجتماعات في كلياتهم كما لو كانت هذه الكليات أندية.

وسيلقي الأساتذة في هذه الاجتماعات أحاديث تبدوا كأنها خطب حرة في مسائل معاملات الناس بعضهم بعضاً، وفي القوانين وفي أخطاء الفهم التي هي على العموم نتيجة تصور زائف خاطئ لمركز الناس الاجتماعي. وأخيراً سيعطون دروساً في النظريات الفلسفية الجديدة التي لم تنشر بعد على عالم، هذه النظريات ستجعلها عقائد للإيمان، متخذين منها مستنداً Stepping - Stone على صدق إيماننا وديانتنا.

وحينما انتهي من رحلتكم خلال برنامجنا كله ـ وبذلك سنكون قد فرغنا من مناقشة كل خططا في الحاضر والمستقبل ـ عندئذ سأتلوا عليكم خطة تلك النظريات الفلسفية الجديدة. ونحن نعرف من تجارب قرون كثيرة أن الرجال يعيشون ويهتدون بأفكار، وأن الشعب أنما يلقن هذه الأفكار عن طريق التربية التي تمد الرجال في

كل العصور بالنتيجة ذاتها، ولكن بوسائل مختلفة ضرورية. وأننا بالتربية النظامية سنراقب ما قد بقي من ذلك الإستقلال الفكري الذي نستغله استغلالاً تاماً لغايتنا الخاصة منذ زمان مضى. ولقد وضعنا من قبل نظام إخضاع عقول الناس بما يسمى نظام التربية البرهانية Demonstrative education (التعليم بالنظر) الذي فرض فيه أن يجعل الأميين غير قادرين على التفكير بإستقلال وبذلك سينتظرون كالحيوانات الطيعة برهاناً على كل فكرة قبل أن يتمسكوا بها. وأن واحداً من أحسن وكلائنا في فرنسا وهو بوروي Bouroy: واضع النظام الجديد للتربية البرهانية.

في الرابع والعشرين من يناير عام 1980 قرأت تصريحا لمسئول في الخارجية البريطانية يقول فيه أن سُلطات بلاده تُراجع الإجراءات المتعلقة بدراسة الطلبة الأجانب للمواد الحساسة في الجامعات البريطانية .. والمقصود بـــ"المواد الحساسة" الهندسة النووية وتكنولوجيا الصواريخ والدفع النفاث والتقنيات الكيميائية والجرثومية الذي يمكن أن تستفيد منها "الدول الخطيرة" .. وهذا التصريح (الذي ورد في صحيفة الشرق الأوسط / صــ11) يأتي كجزء من الحصار العلمي والتقني الموجة ضد إيران ودول عربية مهمة في المنطقة. وهو لا يختلف في هدفه النهائي عن القانون الشهير الذي أقرهُ مجلس النواب الأمريكي عام 2002 بخصوص حظر أو تشديد الرقابة على بعض التخصصات التي يدرسها طلاب سبع دول أجنبية (أربع منها عربية)! ويعد هذا القانون تأصيلاً للمهام المناطة بـــ(لجنة المتابعة الأكاديمية) التي تم إنشائها بعد تفجيرات نيويورك لمنع طلاب بعض الدول من دراسة التخصصات الحساسة مثل تكنولوجيا الصواريخ والفيزياء الذرية وأنظمة التوجية وأشعة الليزر والسبائك المتقدمة ... وأذكر حينها أن أحد الطلاب العرب أخبرني بأنه أصبح من المعتاد ان يطلب من بعض الطلاب الأجانب مغادرة القاعة ــ أو المختبر ــ حين يتعلق الأمر بالتقنيات العسكرية الرائدة! وغني عن القول أن الحكومات الغربية تحاول (من خلال هذا الحصار الأكاديمي) الحد من تسرب العلوم والتقنيات المتقدمة إلى الدول المارقة ــ حسب مفهومها. وهي بهذا القانون " تقنن" عادة قديمة بدأت مع قيام الثورة الكوبية حين منعت أمريكا الطلاب الكوبيين من دراسة التخصصات العسكرية الحساسة.. كما تكررت نفس المعاملة

مع الطلبة الليبيين حين سرت في الثمانينات "حمى القذافي" وسعيه لإمتلاك قنبلة نووية. ثم توسعت القائمة بعد ذلك لتشمل طلبة إيران وكوريا الشمالية ولبنان وسوريا....!! وكانت واشنطن قد تطوعت (بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في أوائل التسعينات) بدفع رواتب علماء الذرة الروس خوفاً من هجرتهم إلى الدول العربية؛ كما حرصت على شراء التقنيات الروسية المنسية أو المجمدة خوفاً من تسربها إلى دول المنطقة (.. وكأن أموراً كهذه تشغل بالنا !)... المعضلة الأخلاقية ــ التي تقع فيها بعض الدول المتقدمة ــ هي حين يتفوق أحد الطلاب "المشبوهين" رغم كل عوامل الحصار الأكاديمي .. فحين تتأكد من تفوق أحد هؤلاء تأمل أولاً أن يتكفل مجتمعها المترف بإقناعه للبقاء .. ثم تتدخل بطريقة غير مباشرة لدعوته للعمل في إحدى المؤسسات الحكومية أو الشركات المتعاقدة مع وزارة الدفاع.. أما الخطوة الثالثة فقد تتضمن اتخاذ "إجراءات استثنائية قاسية" لمنع عودته إلى بلاده نهائيا ... فحسب نظرية المؤامرة يتم سجن أو اغتيال كل من يرفض البقاء بحيث يبدو الأمر كحادث عرضي. وحتى اليوم ما تزال مصر تتذكر بأسى إغتيال عالمة الذرة سميرة موسي التي نالت درجة الدكتوراة في الفيزياء الذرية وأُغتيلت بسبب إصرارها على العودة لمصر وقيدت القضية ضد مجهول... ونفس المأساة تكررت مع عالم عربي آخر يدعى سمير نجيب كان متفوقاً في علوم الذرة وعمل في أمريكا لفترة طويلة قبل أن يقرر العودة فجأة فأُغتيل قبل سفره بيوم واحد .. وهناك أيضاً عالم الفيزياء سعيد بدير الذي رفض البقاء في المانيا وأمريكا فألقى من شرفة منزله (من قبل رجل مجهول) بعد وصوله للأسكندرية بيومين فقط.. وسواء صدقنا فرضية قتل النوابغ أم لا، المؤكد حاليا ظهور توجه رسمي في بريطانيا وأمريكا لمنع تصدير العلوم الحساسة لدول تراها "إرهابية" أو غير جديرة بالثقة! وهنا نتذكر ما حدث ويحدث لطلبة العرب (ولست أعتقد أن آخرهم طالب الدكتوراه السعودي) "حميدان التركي " الذي مازال قابع في سجون أمريكا لتميزه وكيف لُفق له اتهامات واهية ليحكم علية بالسجن مدى الحياة مالم يعترف بتلك الاتهامات ليكتف بـ 25سنة.

مكسيم جوركي: (لكل عظيم ميتة تليق به)

قال مكسيم جوركي: «لكل عظيم ميتة تليق به»... كانت معظم الأسماء التي نطرحها هي أسماء عظماء كل في موقعه.. كل شخص منهم مات بطريقة درامية.. وكان للموساد الإسرائيلي اليد الطولى في قتلهم.

الفصل التاسع

أجنحة الموت تتحرك

* دماء العلماء العرب وغيرهم على ستائر الموساد.
* أسماء 14 عالماً، ونبذه عن كل عالم، وكيف أُغتيل.

أسماء 14 عالماً ونبذه عن كل عالم وكيف أُغتيل

1- الدكتور مصطفى مشرفة
2- الدكتورة سميرة موسى
3- الدكتور يحي المشد
4- الدكتور حسن كامل صباح
5- الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني
6- الدكتور جمال حمدان
7- الدكتورة سلوى حبيب
8- الرسام ناجي العلي
9- الدكتور رمال حسن رمال
10- الدكتورة عبير أحمد عياش
11- الدكتور سمير نجيب
12- الدكتور عبده شكر
13- العالم الدكتور نبيل القليني
14- العالم الدكتور نبيل أحمد فليفل
15- العالم سعيد السيد بدير
16- الشهيد مصطفى حافظ
17- أشرف مروان
18- المشير أحمد بدوي سيد أحمد

واخرين ومازال النزيف

الأول

إينشتاين العرب

د/علي مصطفى مشرفه



المولد والبداية

- ولد الدكتور علي مصطفى مشرفة في دمياط في 22 صفر 1316هـ الموافق 11 يوليه 1898م، غرس فيه والده منذ نعومة أظفاره الدين والخلق الكريم، وحبب إليه العلم والاطلاع في شتى المجالات المختلفة.
- حفظ القرآن الكريم فى طفولته، كما كان يحفظ الصحيح من الأحاديث النبوية.. كان محافظًا على صلاته مقيمًا لشعائر دينُه كما علمه والده، وقد ظلت هذه المرجعية الدينية ملازمة له طوال حياته.. يوصي إخوته وجميع من حوله بالمحافظة على الصلاة وشعائر الدين كلما سنحت له الفرصة.. وقد بدا ذلك جليًّا في خطاباته التي كان يبعثها الي إخوته وأصدقائه أثناء سفره للخارج.. والتي طالما ختمها بمقولة: أعمل وإخوانك للإسلام .. لله. وقد عاش ملازمًا له في جيبه مصحف صغير رافقه في السفر والحضر..
- ظهرت علامات النبوغ والتفوق والصبر والتحمل والتصميم على محياه مبكراً جداً.. فقد توفى والده قبل امتحان الابتدائية بشهر ومع ذلك دخل الامتحان وحصل على المركز الأول على مستوى القطر المصرى..

- انتقل مشرفة وإخواته إلى حى عابدين بالقاهرة، في سنة دراسية، وبعـدها التحـق مشرفـة بالمدرسة العباسية الثانوية فى الإسـكندرية وكـان مثـال للتفـوق فـتم تحويلـه إلى القـاهرة بمدرسة السعيدية الثانوية .. نال الإعجاب من الجميع حتى مدرس اللغة العربيـة لم يكـن يناديه إلا (بالسيد) تقديراً واعجاباً
- توفيت والدتة قبل أن يؤدي امتحان البكالوريا بشهرين..
- وحين تم إعلان نتيجة البكالوريا سنة 1914م كان (علي مصطفى مشرفة) الثاني على طلبـة القطر المصري الذين اجتازوا امتحانها بنجاح.
- في عام 1914 التحق الدكتور علي مشرفة بمدرسـة المعلمـين العليـا، التـي اختارهـا حسـب رغبته رغم مجموعه العالي في البكالوريا.

واستمرت المسيرة

- وفي عام 1917 اختير لبعثة علمية لأول مرة إلى إنجلترا بعد تخرجه .. فقرر "عـلي" السـفر بعدما اطمأن على إخوته بزواج شقيقته وبالتحاق أشقائه بالمدارس الداخلية..
- التحق "علي" بكلية نوتنجهام Nottingham ثم بكلية "الملك" بلندن؛ حيـث حصـل منهـا على بكالوريوس العلوم مع مرتبة الشرف في عـام 1923م. ثـم حصـل عـلى شـهادة Ph.D (دكتوراة الفلسفة) من جامعة لندن في أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعـة. وقـد رجـع إلى مصر بأمر من الوزارة، وعـين مدرسًـا بمدرسـة المعلمـين العليـا.. إلا أنـه وفي أول فرصـة سنحت له، سافر ثانية إلى إنجلترا، وحصل على درجة دكتـوراة العلـوم D.Sc فكـان بـذلك أول مصري يحصل عليها.
- في عام 1925م رجـع إلى مصر، وعُـين أسـتاذًا للرياضـة التطبيقيـة بكليـة العلـوم بجامعـة القاهرة، ثم مُنح درجة "أستاذ" في عام 1926 رغم إعتراض قانون الجامعة على منح اللقب لمن هو أدنى من الثلاثين.
- أُعتمد الدكتور "علي" عميدًا للكلية في عام 1936 وأُنتخب للعمادة أربع مـرات متتاليـات، كما انتخب في ديسمبر 1945 وكيلاً للجامعة.

بداية المشوار:

- بدأت أبحاث الدكتور "علي مشرفة" تأخذ مكانها في الدوريات العلمية وعمره لم يتجاوز الخامسة و العشرين.

- في الجامعة الملكية بلندن King's College، نشر له أول خمسة أبحاث حول النظرية الكمية التي نال من أجلها درجتي Ph.D (دكتوراه الفلسفة) و Dsc. (دكتوراة العلوم).

- كذلك.. كان الدكتور مشرفة أول من قام ببحوث علمية حول إيجاد مقياس للفراغ؛ حيث كانت هندسة الفراغ المبنية على نظرية "أينشين" تتعرض فقط لحركة الجسيم المتحرك في مجال الجاذبية.

- ولقد أضاف نظريات جديدة في تفسير الإشعاع الصادر من الشمس؛ إلا أن نظرية الدكتور مشرفة في "الإشعاع والسرعة" عدت من أهم نظرياته وسببًا في شهرته وعالميته؛ حيث أثبت الدكتور مشرفة أن المادة إشعاع في أصلها، ويمكن اعتبارهما صورتين لشيء واحد يتحول إحداهما للآخر.. ولقد مهدت هذه النظرية العالم ليحول المواد الذرية إلى إشعاعات.

- كان الدكتور "علي" أحد القلائل الذين عرفوا سر تفتت الذرة وأحد العلماء الذين حاربوا استخدامها في الحرب.. بل كان أول من أضاف فكرة جديدة وهي أن الأيدروجين يمكن أن تصنع منه مثل هذه القنبلة.. إلا أنه لم يكن يتمنى أن تصنع القنبلة الأيدروجينية، وهو ما حدث بعد وفاته بسنوات في الولايات المتحدة وروسيا..

- تقدر أبحاث الدكتور "علي مشرفة" المتميزة في نظريات الكم، الذرة والإشعاع، الميكانيكا والديناميكا بنحو خمسة عشر بحثاً.. وقد بلغت مسودات أبحاثه العلمية قبل وفاته إلى حوالي مائتين.. ولعل الدكتور كان ينوي جمعها ليحصل بها على جائزة نوبل في العلوم الرياضية.

عبقريته:

- وعلى الرغم من انشغاله بأبحاثه العلمية إلا أنه كان حافظاً للشعر.. ملمًّا بقواعد اللغة العربية.. وكان عضوًا بالمَجَمعَ المصري للثقافة العلمية باللغة العربية؛ حيث ترجم مباحث كثيرة إلى اللغة العربية.
- كان يحرص على حضور المناقشات والمؤتمرات والمناظرات، وله مناظرة شهيرة مع د/ طه حسين حول: أيهما أنفع للمجتمع "الآداب أم العلوم".
- نُشر للدكتور مشرفة ما يقرب من ثلاثين مقالاً منها: سياحة في فضاء العالمين -العلم والصوفية - اللغة العربية كأداة علمية - اصطدام حضارتين- مقام الإنسان في الكون..
- ولم ينس أن العالم لابد وأن يتفاعل مع مجتمعه ولا يكون منعزلاً عنهم ولا ينظر إليهم من برج عاجى .. فقد شارك الدكتور "علي" في مشاريع مصرية عديدة تشجيعًا للصناعات الوطنية .. كما شارك في إنشاء جماعة الطفولة المشردة.. كان أول من لقن من حوله دروسًا في آداب الحديث وإدارة الجلسات.
- وكان الدكتور مشرفة ينظر إلى الأُستاذية على أنها لا تقتصر على العلم فقط، وإنما توجب الاتصال بالحياة.. وأن الأستاذ يجب أن يكون ذا أثر فعال في توجيه الرأي العام في الأحداث الكبرى التي تمر بالبلاد، وأن يحافظ على حرية الرأي عند المواطنين..

مشرفة موسيقيًّا:

- كان الدكتور مشرفة عازفًا بارعًا على الكمان والبيانو مغرمًا بموسيقى جلبرت وسلفن، ألف الجمعية المصرية لهواة الموسيقى في سنة 1945؛ وكان من أغراضها العمل على تذليل الصعوبات التي تحول دون استخدام النغمات العربية في التأليف الحديث.

- كوّن لجنة لترجمة "الأوبرتات الأجنبية" إلى اللغة العربية.. وكتب كتابًا في الموسيقى المصرية توصل فيه إلى أن جميع النغمات الأخرى في السلم الموسيقي غير السيكا والعراق يمكن إلغاؤها أو الاستغناء عنها.

أفكار وانتماء:

- أول من أكد للحكومة عن وجود (اليورانيوم) فى صحرائنا المصرية ولكن ليس هذا هو كل ما كان يعنى د. مشرفة، وإنما كان يعد الصحراء المصدر الثانى بعد النيل لثرواتنا القومية فكان يتساءل:
- متى نعنى بهذه الثروة المعدنية المبعثرة فى صحارينا؟
- أم سنبقى على حالنا؟
- فيصدق قول الشاعر:

كالعيش فى البيداء يقتلها الظمأ ... والماء فوق ظهورها محمول

- كان لمشرفة فى النيل أمل عظيم وكان يدعو إلى إنشاء معهد علمى تجريبى لدراسة طبيعات النيل على أن يزود هذا المعهد بالمعامل اللازمة لإجراء التجارب العلمية والعملية.
- كان يدعو إلى استغلال مساقط النيل في استخراج الطاقة الكهربية وكان يستحث الحكومة على السير قدماً في مشروع كهربة خزان أسوان.
- نادى بتكوين المجمع المصرى للثقافة العلمية ليكون على غرار "الجمعية البريطانية لتقدم العلوم " وكان د. مشرفة واحداً من مؤسسي هذا المجمع وشارك بمحاضراته في مؤتمره الأول فى مارس 1930م.
- أول من أسس الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية في السابع من فبراير 1966م وأُختير عضواً فى المجمع العلمي المصري وقام بتأسيس الأكاديمية المصرية للعلوم.
- أُختير الدكتور مشرفة عضواً في "المجمع العلمي المصري" من السادس من فبراير 1933 وكان اختيارهُ عضواً في شُعبة الفيزياء والرياضة.

- ظل الدكتور مشرفة طيلة حياته بعيداً عـن الأحـزاب رغـم العـروض والرجـاءات المتكـررة والصداقات المتينة مع زعماء تلك الاحزاب وكان يقول:

"إنني لن أبقى في أي حزب أكثر من يوم واحد وذلك لأني لن اسـكت عـن خطـأ وسـيكون مصيرى الطرد من أول يوم" وكان الزعماء يعجبون لهذه المصداقية.

- شارك في تأسيس اتحاد الجامعة وعمل على إرساء تقاليده وتنشيطه وظـل عضـواً بـارزاً فى هذا الاتحاد الي أن أُختير وكيلاً للاتحاد ثم تولى الرئاسة فجعل د. مشرفة من الاتحاد برلماناً يضـم الصـفوة مـن الأسـاتذة والطـلاب وضرب لهـم المثـل فى طريقـة عـرض المشروعـات ومناقشتها فكان يعطى مؤيدي الرأي الفرصة للإدلاء بآرائهم ثم يعطى المعارضة حقها ثـم يستخلص الأصوات للصالح العام.

- كان يُنظم المناظرات فى رحاب الجامعة ويشارك فى هذه المنـاظرات ونـاظر الـدكتور/ طـه حسين - أحمد أمين – والأستاذ/ محمد توفيق دياب – والاستاذ/ عباس العقاد.

- تمتعت كلية العلوم في عصره بشهرة عالمية واسعة؛ حيث عنى عناية تامة بالبحث العلمي وإمكاناته، فوفر كل الفرص المتاحة للباحثين الشباب لإتمام بحوثهم.. ووصـل بـه الاهـتمام إلى مراسلة أعضاء البعثات الخارجية..

- سمح لأول مرة بدخول الطلبة العرب الكلية؛ حيث كان يرى أن:

"القيود القومية والفواصل الجنسية ما هي إلا حبال الشيطان يبث بها العداوة والبغضـاء بين القلوب المتآلفة"..

- أنشأ قسمًا للغة الإنجليزيـة والترجمـة بالكليـة.. كـما حـول الدراسـة في الرياضـة البحتيـة باللغة العربية.. صنف قاموسًا لمفردات الكلمات العلمية من الإنجليزية إلى العربية.

- أرسى قواعد جامعية راقية.. حافظ فيها على اسـتقلالها وأعطـى للـدارس حصـانته وألغـى الاستثناءات بكل صورها، وكان يقول: "إن مبدأ تكافؤ الفرص هـو المقيـاس الـدقيق الـذي يرتضيه ضميري"..

العلم للحياة

- **"خير للكلية أن تُخَّرِج عالمًا واحدًا كاملاً.. من أن تُخَّرج كثيرين أنصاف علماء"..**
- هكذا كان يؤمن الدكتور مشرفة، وكان كفاحه المتواصل من أجل خلق روح علمية خيرة..
- يقول في سلسلة محاضراته الإذاعية (أحاديث العلماء)..

"هذه العقلية العلمية تعوزنا اليوم في معالجة كثير من أمورنا، وإنما تكمن الصعوبة في اكتسابها والدرج عليها.. فالعقلية العلمية تتميز بشيئين أساسيين: الخبرة المباشرة، والتفكير المنطقي الصحيح"..

- ولقد نادى بأفكاره هذه في كثير من مقالاته ومحاضراته في الإذاعة مثل: كيف يحل العالم مشكلة الفقر؟ – العلم والأخلاق – العلم والمال – العلم والاقتصاد - العلم والاجتماع .. وغيرها.
- كان ينادي دائمًا أن على العلماء تبسيط كل جديد للمواطن العادي حتى يكون على إحاطة كاملة بما يحدث من تطور علمي.. يوجه كلامه إلى العلماء قائلاً:

"ومن الأمور التي تؤخذ على العلماء أنهم لا يحسنون صناعة الكلام؛ ذلك أنهم يتوخون عادة الدقة في التعبير ويفضلون أن يبتعدوا عن طرائق البديع والبيان، إلا أن العلوم إذا فُهمت على حقيقتها ليست في حاجة الي ثوب من زخرف القول ليُكسبها رونقًا، فالعلوم لها سحرها، وقصة العلم قصة رائعة تأخذ بمجامع القلوب؛ لأنها قصة واقعية حوادثها ليست من نسج الخيال"..

- فبسط الدكتور مشرفة كتبًا عديدة منها: النظرية النسبية - الذرة والقنابل - نحن والعلم – العلم والحياة.
- واهتم خاصة بمجال الذرة والإشعاع وكان يقول: "إن الحكومة التي تهمل دراسة الذرة إنما تهمل الدفاع عن وطنها".
- ثقافتنا في نظر الدكتور مشرفة هي الثقافة الأصلية التي لا بد أن نقف عندها طويلاً. ويرى أنه لا يزدهر حاضر أمة تهمل دراسة ماضيها، وأنه لا بد من الوقوف

عند نوابغ الإسلام والعرب، ونكون أدرى الناس بها.. فساهم بذلك في إحياء الكتب القديمة وإظهارها للقارئ العربي مثل: كتاب الخوارزمي في الجبر والفارابي في الطب والحسن ابن الهيثم في الرياضة.. وغيرها.

- وآمن الدكتور مشرفة بأن "العلم في خدمة الإنسان دائمًا وأن خير وسيلة لإتقاء العدو أن تكون قادرًا على رده بمثله.. فالمقدرة العلمية والفنية قد صارتا كل شيء.. ولو أن الألمان توصلوا إلى صنع القنبلة الذرية قبل الحلفاء لتغيرت نتيجة الحرب.. وهو تنوير علمي للأمة يعتمد عليه المواطن المدني والحربي معًا".

قتله باتفاق بين القصر والصهيونية

- توفى الدكتور "علي مصطفى مشرفة" عن عمر يناهز 52 عامًا.. يوم الإثنين السابع والعشرين من ربيع الأول الموافق 15 يناير 1950..

- وباتت ظروف وفاة د. مشرفة المفاجئة غامضة للغاية وكانت كل الظروف المحيطة به تشير إلى أنه مات مقتولاً إما على يد مندوب عن الملك فاروق أو على يد الصهيونية العالمية ولكل منهما سببه قد يكون للنظام الملكي المصري في ذلك الوقت دور في قتله خاصة إذا علمنا أن د. مشرفة قام بتشكيل جماعة تحت اسم «شباب مصر» كانت تضم عدداً كبيراً من المثقفين والعلماء والطلاب وكانت تهدف لإقصاء نظام فاروق الملكي وإعلان مصر جمهورية عربية مستقلة، وذاع أمر هذه الجماعة السرية ووصلت اخبارها إلى القصر الملكي، مما يعطي للقصر مبرراً للتخلص من د.مصطفى، أما الصهيونية العالمية فيكفي أن نقول أن نظرتهم للطالبة النابغة د. سميرة موسى لن تختلف عن نظرتهم لأستاذها الأكثر نبوغاً د. مصطفى مشرفة ولعبت الصهيونية لعبتها القذرة وهي التصفية الجسدية وكانت نظرة واحدة تعني التخلص منهما ومن امثالهما.

- وبعد سنوات من موته نشر أحد رجال الوكالة اليهودية الذي كان يعمل في قسم الاغتيالات مذكراته بعد أن شعر باقتراب نهايته هو الآخر ويدعي ذلك الرجل البرت دتشيني أو (الأحمق) كما يطلقون عليه بأنه اتفق ودفع أحد أقارب الدكتور

مصطفي لدس السم له واعطاه سم من نوع خاص ليتم اغتياله وذلك بعلم القصر أيضاً.

ما قيل عنه:

- يـذكر أن اينشـتاين الـذي كـان يجلـس في محـاضرات مشرفـة ويتـابع أبحاثـه.. قـد نعـاه عندموته قائلاً:

(لا أصدق أن مشرفة قد مات إنه لا يزال حياً من خلال أبحاثه).

- لقد قال الأستاذ الدكتور/ أديـب عبدالـلــه: لقـد كـان لظهـور مواهـب مشرفـة في المجـال العلمي أثر فى كفاحنا القومي ضد النفوذ الأجنبي فقد عجل ظهور مواهبه بتحرير الإرادة المصرية في مجال العلوم من السيطرة الأجنبيـة وكـان الساسـة في كـل بلـد يتعلمـون مـن مشرفة كيف يتم تحقيق الانتصار الضخم في كل مجال من مجالات الحياة.
- وقدمت الإذاعة في أمريكا د/ مشرفة على أنه واحد مـن سـبعة علـماء في العـالم يعرفـون أسرار الذرة.
- وقد أُطلق اسم د/ مشرفة على شارع في القاهرة وهو الشارع الذى كانت فيه الفـيلا التـى سكنها مشرفة حتى وفاته، وأُطلق اسمه على شارع في الإسكندرية وعلى شـارع في دميـاط كما أُطلق اسمه على المدرج الأول فى كلية العلوم وعلى معمل قسم الرياضة بالكلية وعلى مدرسة إعدادية بمدينة دمياط.

***

الثاني

شهيدة العلم



الدكتورة سميرة موسي

(3 مارس 1917 - 5 أغسطس 1952 م)

المولد

ولدت في قرية سنبو الكبرى - مركز زفتى بمحافظة الغربية وهي أول عالمة ذرة مصرية عربية ولقُبت باسم ميس كوري الشرق .. وهي أول مُعيدة في كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول، جامعة القاهرة حالياً.

طفولتها

تعلمت سميرة منذ الصغر القراءة والكتابة، وحفظت أجزاء من القرآن الكريم وكانت مولعة بقراءة الصحف وكانت تتمتع بذاكرة قوية تؤهلها لحفظ الشيء بمجرد قراءتهُ.

انتقل والدها مع ابنته إلى القاهرة من أجل تعليمها واشترى ببعض أمواله فندقاً بالحسين حتى يستثمر أمواله في الحياة القاهرية.

التحقت سميرة بمدرسة "قصر الشوق" الإبتدائية ثم بـ "مدرسة بنات الأشراف" الثانوية الخاصة والتي قامت على تأسيسها وإدارتها "نبوية موسى" الناشطة النسائية السياسية المعروفة.

تفوقها الدراسي في المدرسة

حصدت سميرة الجوائز الأولى في جميع مراحل تعليمها، فقد كانت الأولى على شهادة التوجيهية عام 1935م، ولم يكن فوز الفتيات بهذا المركز مألوفاً في ذلك الوقت حيث لم يكن يسمح لهن بدخول امتحانات التوجيهية إلا من المنازل حتى تغير هذا القرار عام 1925 بإنشاء مدرسة الأميرة فايزة، أول مدرسة ثانوية للبنات في مصر.

ولقد كان لتفوقها المستمر أثر كبير على مدرستها حيث كانت الحكومة تقدم معونة مالية للمدرسة التي يخرج منها الأول، دفع ذلك ناظرة المدرسة نبوية موسى الي شراء معمل خاص حينما سمعت يومًا أن سميرة تنوي الانتقال الي مدرسة حكومية يتوفر بها معمل.

ويذكر عن نبوغها أنها قامت بإعادة صياغة كتاب الجبر الحكومي في السنة الأولى الثانوية، وطبعته على نفقة أبيها الخاصة، ووزعته بالمجان على زميلاتها عام 1933م.

حياتها الجامعية

اختارت سميرة موسى كلية العلوم، رغم أن مجموعها كان يؤهلها لدخول كلية الهندسة .. حينما كانت أُمنية أي فتاة في ذلك الوقت هي الإلتحاق بكلية الآداب وهناك لفتت نظر أستاذها الدكتور علي مشرفة، أول مصري يتولى عِمادة كلية العلوم.

وقد تأثرت به تأثراً مباشرًا، ليس فقط من الناحية العلمية بل أيضاً بالجوانب الاجتماعية في شخصيته.

تخرجها

حصلت سميرة موسى على بكالوريوس العلوم وكانت الأولى على دفعتها وعُينت كأول مُعيدة بكلية العلوم وذلك بفضل جُهود د. علي مشرفة الذي دافع عن تعيينها بشدة وتجاهل احتجاجات الأساتذة الأجانب (الإنجليز).

اهتماماتها النووية

حصلت على شهادة الماجستير في موضوع التواصل الحراري للغازات.

سافرت في بعثة إلى بريطانيا درست فيها الإشعاع النووي، وحصلت على الدكتوراة في الأشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة.

معادلة هامة توصلت اليها

أنجزت الرسالة في سنتين وقضت السنة الثالثة في أبحاث متصلة وصلت من خلالها إلى معادلة هامة (لم تلق قبولاً في العالم الغربي آنذاك) تُمكن من تفتيت المعادن الرخيصة مثل النحاس ومن ثم صناعة القنبلة الذرية من مواد قد تكون في متناول الجميع، ولكن لم تُدون الكتب العلمية العربية الأبحاث التي توصلت إليها د. سميرة موسى.

اهتماماتها السياسية

وكانت تأمل أن يكون لمصر والوطن العربي مكان وسط هذا التقدم العلمي الكبير، حيث كانت تؤمن بأن زيادة ملكية السلاح النووي يُسهم في تحقيق السلام، فإن أي دولة تتبنى فكرة السلام لابد وأن تتحدث من موقف قوة فقد عاصرت ويلات الحرب وتجارب القنبلة الذرية التي دكت هيروشيما وناجازاكي في عام 1945م، ولفت انتباهها الاهتمام المبكر من إسرائيل بإمتلاك أسلحة الدمار الشامل وسعيها للإنفراد بالتسلح النووي في المنطقة.

قامت بتأسيس هيئة الطاقة الذرية بعد ثلاثة أشهر فقط من إعلان الدولة الإسرائيلية عام 1948م.

حرصت على إيفاد البعثات للتخصص في علوم الذرة فكانت دعواتها المتكررة إلى أهمية التسلح النووي، ومجاراة هذا المد العلمي المتنامي.

نظمت مؤتمر الذرة من أجل السلام الذي استضافته كلية العلوم وشارك فيه عدد كبير من علماء العالم.

وقد توصلت في إطار بحثها إلى معادلة لم تكن تلقى قبولاً عند العالم الغربي.

اهتماماتها الذرية في المجال الطبي

كانت تأمل أن تسخر الذرة لخير الإنسان وتقتحم مجال العلاج الطبي حيث كانت تقول: «أمنيتي أن يكون علاج السرطان بالذرة مثل الأسبرين». كما كانت عضواً في كثير من اللجان العلمية المتخصصة على رأسها "لجنة الطاقة والوقاية من القنبلة الذرية" التي شكلتها وزارة الصحة المصرية.

هواياتها الشخصية

كانت د. سميرة مولعة بالقراءة .. وحرصت على تكوين مكتبة كبيرة متنوعة تم التبرع بها إلى المركز القومي للبحوث حيث الأدب والتاريخ وخاصة كتب السير الذاتية للشخصيات القيادية المتميزة.

أجادت استخدام النوتة والموسيقى وفن العزف على العود، كما نمت موهبتها الأخرى في فن التصوير بتخصيص جزء من بيتها للتحميض والطبع وكانت تحب التريكو والحياكة وتقوم بتصميم وحياكة ملابسها بنفسها.

نشاطاتها الاجتماعية

شاركت د. سميرة في جميع الأنشطة الحيوية حينما كانت طالبة بكلية العلوم انضمت إلى ثورة الطلاب في نوفمبر عام1932م والتي قامت احتجاجاً على تصريحات اللورد البريطاني "صمويل".

وشاركت في مشروع القرش لإقامة مصنع محلي للطرابيش وكان د. علي مشرفة من المشرفين على هذا المشروع.

شاركت في جمعية الطلبة للثقافة العامة والتي هدفت إلى محو الأمية في الريف المصري.

جماعة النهضة الاجتماعية والتي هدفت إلى تجميع التبرعات لمساعدة الأُسر الفقيرة.

كما انضمت أيضًا إلى جماعة إنقاذ الطفولة المشردة، وإنقاذ الأسر الفقيرة.

مؤلفاتها

تأثرت د. سميرة بإسهامات المسلمين الأوائل كما تأثرت بأستاذها أيضا د. علي مشرفة ولها مقالة عن الخوارزمي ودوره في إنشاء علوم الجبر، ولها عدة مقالات أخرى من بينها مقالة مبسطة عن الطاقة الذرية أثرها وطرق الوقاية منها شرحت فيها ماهية الذرة من حيث تاريخها وبنائها، وتحدثت عن الإنشطار النووي وآثاره المدمرة وخواص الأشعة وتأثيرها البيولوجي.

سفرها للخارج

سافرت سميرة موسى إلى بريطانيا ثم إلى أمريكا لتدرس في جامعة "أوكردج" بولاية تنيسي الأمريكية ولم تنبهر ببريقها أو تنخدع بمغرياتها ففي خطاب إلى والدها قالت: "ليست هناك في أمريكا عادات وتقاليد كتلك التي نعرفها في مصر، يبدءون كل شيء ارتجالياً.. فالأمريكان خليط من مختلف الشعوب، كثيرون منهم جاءوا إلى هنا لا يحملون شيئاً على الإطلاق فكانت تصرفاتهم في الغالب كتصرف زائر غريب يسافر إلى بلد يعتقد أنه ليس هناك من سوف ينتقده لأنه غريب.

بداية النهاية

استجابت الدكتورة إلى دعوة للسفر إلى أمريكا في عام 1951م، أُتيحت لها فرصة إجراء بحوث في معامل جامعة سان لويس بولاية ميسوري الأمريكية، تلقت عروضاً لكي تبقى في أمريكا لكنها رفضت وقبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية في ضواحي كاليفورنيا في 15 أغسطس عام 1952، وفي طريق كاليفورنيا الوعر المرتفع ظهرت سيارة نقل فجأة؛ لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقي بها في وادي عميق، قفز سائق السيارة واختفى إلى الأبد.

أوضحت التحريات أن السائق كان يحمل اسمًا مستعاراً وأن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصطحابها كانت تقول لوالدها في رسائلها: «لو كان في مصر معمل مثل المعامل الموجودة هنا كنت أستطيع أن أعمل حاجات كثيرة». ولقد علق محمد الزيات مستشار مصر الثقافي في واشنطن وقتها أن كلمة (حاجات كثيرة) كانت تعني بها أن

في قدرتها اختراع جهاز لتفتيت المعادن الرخيصة إلى ذرات عن طريق التوصيل الحراري للغازات ومن ثم تصنيع قنبلة ذرية رخيصة التكاليف.

وفي أخر رسالة لها كانت تقول: «لقد استطعت أن أزور المعامل الذرية في أمريكا وعندما أعود إلى مصر سأقدم لبلادي خدمات جليلة في هذا الميدان وسأستطيع أن أخدم قضية السلام»، حيث كانت تنوي إنشاء معمل خاص لها في منطقة الهرم بمحافظة الجيزة.

ولازالت الصحف تتناول قصتها وملفها الذي لم يغلق، وأن كانت الدلائل تشير - طبقا للمراقبين - أن الموساد، المخابرات الإسرائيلية هي التي اغتالتها، جزاء لمحاولتها نقل العلم النووي إلى مصر والعالم العربي في تلك الفترة المبكرة.

الدكتورة سميرة موسى مع راقية إبراهيم

الفنانة راقية ابراهيم.. الممثلة المصرية الجنسية .. اليهودية الديانة كانت في لندن في الفترة التي كانت تدرس فيها الدكتوره سميرة موسي واقتربت منها حتي انها أهدت صورتها للدكتورة سميرة موسي وكتبت الإهداء باللغة الانجليزية.

بعد ذلك زارت راقية إبراهيم إسرائيل وأشادت بالدكتورة سميرة موسي هناك وبعد ذلك تم تعين راقية إبراهيم عضو للإعلام في وفد إسرائيلي بالأمم المتحدة في نفس توقيت تواجد الدكتوره سميرة موسى في أمريكا حتى لحظة مصرعها وهنا يشير كثيرون بعلامات استفهام حول علاقة راقية إبراهيم بالموساد والحادث.

وغُربت الشمس

قامت جريدة المصري السياسي يوم الثلاثاء 19 أغسطس1952 وفي الصفحة الأخيرة نشرت نبأ الوفاة في حجم صغير وكأنه لايهم أحداً يقول الخبر الذي نشر بعنوان (مصرع آنسة مصرية بأمريكا بعد أن أتمت دراستها الجامعية)..

وقال المتحدث باسم السفارة المصرية في واشنطن (إن اليوم الآنسة سميرة موسي الطالبة المصرية التي تتلقى العلم في الولايات المتحدة قتلت في حادث سيارة بعد أن تمت

دراستها في جامعة أوكردج بولاية تنسي الأمريكية. والمفهوم أنها كانت تقـود سـيارتها الخاصـة عند وقوع الحادث) إلى هنا انتهى الخبر.

وهناك رواية تقول: (أن السـائق هـو زميلهـا هنـدى الجنسـية فوجئـت بـه يركـب معهـا السيارة عند خروجها من المسكن بحجة أن إدارة المفاعل أرسلته لإصـطحابها للمفاعـل وقيـل أنه سائقها الذي شوهد في إحدى البارات قبل الحادث مع أحد رجال المافيـا اليهـود وأن هـذا السائق هندياً وليس باكستاني وأن اسمه الذي تعامل بـه طـوال هـذه الفـترة إسـما مسـتعاراً وأختفي بعد إرتكاب الحادث وبعد شهور من الحادث وجدت الشرطة الأمريكية رجل المافيـا اليهودي مقتول في إحدى الشقق في نفس الولاية وبهذا طُمست معـالم القضـية وقيـدت ضـد مجهول مثل باقي قضايا العلماء والأدباء العرب.

وبهذا أُسدل الستار على اغتيال عالمة عربية من أعظم علماء الذرة.

ومكتشفة التواصل الحراري من خلال الغازات.. أُغتيلت سميرة موسى.

***

الثالث

الرجل الذي أخاف إسرئيل



الدكتور يحيى المشد

مولده ونشاته

ولد في بنها عام 1932م، وتعلم في مدارس طنطا وحصل على بكالوريوس الهندسة، قسم الكهرباء بجامعة الإسكندرية، وكان ترتيبه الثالث على دفعتهُ مما أتاح له الفرصة للحصول على بعثة دراسية في عام 1956م لنيل درجة الدكتوراة من جامعة كامبريدج ببريطانيا، ونتيجة للعدوان الثلاثي تم تغيير مسار البعثة التي التحق بها إلى موسكو أثناء العدوان الثلاثي على مصر حولها إلى موسكو، تزوج وسافر وقضى هناك ست سنوات عاد بعدها عام 1963م، وسافر إلى النرويج عامي 63 و1964م لعمل بعض الدراسات، ثم إنضم بعد ذلك للعمل كأستاذ مساعد ثم كأستاذ بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية .. وأشرف الدكتور المشد في فترة تدريسُه بالكلية على أكثر من 30 رسالة دكتوراة، ونُشر بإسمه خمسون بحثاً علميًّا، تركزت معظمها على تصميم المفاعلات النووية ومجال التحكم في المعاملات النووية.

الدكتور يحيى المشد متخصصاً في هندسة المفاعلات النووية، التحق بهيئة الطاقة الذرية المصرية، التي كان أنشأها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، الذي أمر أيضاً قبل ذلك بعام بإنشاء قسم للهندسة النووية في جامعة الإسكندرية، انتقل إليه المشد، حتى صار رئيسه عام 1968م .. بعد سنوات قليلة من جلوسه وراء هذه النافذة حمل الرجل عصاه ومضى تاركاً تلاميذه لمصيرهم.

بداية رحلة المصير

بعد حرب يونيه 1967م، توقف البرنامج النـووي المصري تماماً، ووجـد كثـير مـن العلـماء والخبراء المصريين في هذا المجال أنفسهم مجمدين عن العمل الجـاد، أو مواصـلة الأبحـاث في مجالهم، وبعد حرب 1973م، وبسبب الظروف الاقتصادية لسنوات الإستعداد للحرب أُعطيت الأولوية لإعادة بناء المصـانع، ومشروعـات البنيـة الأساسـية، وتخفيـف المعانـاة عـن جماهـير الشعب المصري التي تحملت سنوات مرحلة الصمود وإعادة بناء القوات المسـلحة مـن أجـل الحرب، وبالتالي لم يحظ البرنامج النووي المصري في ذلك الوقت بالاهتمام الجاد والكافي الـذي يعيد بعث الحياة من جديد في مشروعاته المجمدة.

بعد حرب أكتوبر 1973م، وإنفجار أسعار النفط، ووصول (فاليري جيسـكار دي سـتان) إلى سدة الحكم في فرنسا في عام 1974م .. فقد كان البترول عنصر من العناصر التي أخذت في اعتبار متخذي القرار الفـرنسي، (جيسـكار دي سـتان) هـو أول مـن بـاع السـلاح للعـالم العربي.. باع طائرات الميراج لمصر قبل الفترة التي نتحدث عنها بحوالي خمـس سـنوات عـام 1975م .. إنما كان هناك نقطة محظورة وهي المجال النووي، وفي عام 1975م كان - صـدام حسين- في زيارة لفرنسا، وكانت على جدول أعماله جولة بصحبة رئيس الـوزراء الفـرنسي - آنذاك- (جاك شيراك) لتفقد مركز الطاقة النووية الفرنسي في منطقـة (كـتراج) بـالقرب مـن (مارسيليا) في جنوب فرنسا، تقول مصادر غربيـة إن الـزعيمين احـتفلا لـدى نهايـة الزيـارة بتوقيع صفقة لم تُبلغ بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ليس لدينا دليل على ذلك .. بعـد ذلك بعام.. عام 1976م كان (جاك شيراك) يرد الزيارة، في تلك الآونة كانـت دول أوروبيـة قد استحدثت أسلوب الطرد المركزي لاستخلاص اليورانيوم 235 بنسبة تخصـيب تصـل إلى 93%، ما يغني عن الحاجة إلى إنشاء مفاعل ضخم لإنتاج البولتنيـوم 239. والـرئيس (دي ستان) أراد ألا يخسر العقود التي وقُعت مع العراق، لأنها كانت عقوداً دسمة للصـناعات التسليحية الفرنسـية، وفي الوقـت ذاتـه حـاول أن لا يـتهم بأنـه يسـاعد عـلى الإنتشـار النووي، ماذا فعل يومها؟ طلب من المفوضية النووية إنتاج وقود اسمه "وقود كراميـل"

يعني بدل أنه مخصب بنسبة 97.. 94% من اليورانيوم المخصب أن يكون مخصباً فقط بنسبة 7%، يعني أن يُشغل مفاعل أوزيراك التي باعته فرنسا، ولكن هذا الوقود يكون عاجزاً عن إنتاج القنبلة النووية. في حينها أصر العراق أنه هناك عقد بين العراق وبين المؤسسات الفرنسية يفترض أن يتسلم مفاعل بنفس المواصفات العلمية التكنولوجية، لأن لا يستطيع (الكراميل) أن ينتج طاقة نووية بنفس المواصفات، هذا إذا.. فعلاً صح تكهنات العلماء، واستطاعوا الوصول في حينه إلى إنتاج الكراميل وتحوير قلب المفاعل إلى آخره من التفاصيل التقنية.

ودَّع يحيى المشد وراءه حلماً غالياً في مصر، لم يجده تماماً في جامعة التكنولوجيا في العراق. في هذه المختبرات التي جمَّعها آلة بآلة كان يجد مع تلاميذه قليلاً من العزاء. لكن مصر في تلك الأثناء كانت تتجه في طريق آخر، فقد وقع السادات اتفاقية السلام مع إسرائيل، وتزعم العراق جبهة الصمود والتصدي، فضرب المشد جذوراً أعمق في العراق.

يقول الدكتور منذر التكريتي (رئيس القسم الذي عمل به المشد سابقاً): والله في واحد نيسان 1975م، تم تأسيس الجامعة التكنولوجية، وكان ليَّ الشرف أن أكون عضو في أول مجلس جامعة، وكذلك أن عُهد لي تأسيس وإدارة قسم هندسة السيطرة والنظم ما يسمى باللغة الإنجليزية(Control and system engineering Department) وكانت المهمة كبيرة وملحة، ولم يكن الوقت في صالحنا في ذلك الوقت، ولذلك قررنا الإستعانة بأشقائنا العرب، وبالذات من مصر العروبة، وتم التعاقد مع عدد من الأساتذة المرموقين المصريين وكان من ضمن هذه النخبة الخيرة المرحوم الدكتور يحيى المشد.

المشد الذي لا يعرفه أحد

كان المشد شديد التواضع برغم اعتزازه بنفسه ومهنته ورسالته التي يعلم جيداً أنها مقدسة وأن أوطانه في حاجة إليها.

تزوج المشد من ابنة عمه السيدة زنوبة الخشخاني .. وأنجب منها أيمن المشد.

كان يعيش حياة مستقرة .. يهوى الموسيقي برغم عدم وجود وقت فراغ لديه نتيجة لأبحاثة وقرآتهُ.

كان أيضاً شديد الحب للوطن ومؤمن تمام الإيمان بالقومية العربية.

عقد عمل

جاء عقد العمل للدكتور يحيى المشد العالم المصري، والذي يعد من القلائل البارزين في مجال المشروعات النووية وقتها، ووافق المشد على العرض العراقي لتوافر الإمكانيات والأجهزة العلمية والإنفاق السخي على مشروعات البرنامج النووي العراقي. وبين عامي 78 و 82 كانت طموح العراق في المجال النووي قد بلغ ذروته وكان تربص أطراف أخرى بهذا الطموح قد بلغ أيضاً ذروته، بدأ مسلسل درامي من الأحداث، استخدم فيه المسموح وغير المسموح، دموي في معظم الأحيان كان أحد ضحاياه عالم مصري له قلب ريفي وضمير عربي ووجه عادي، وعقل غير عادي.

يعلق الدكتور فاضل محمد علي (رئيس الاتحاد العربي للفيزياء الحيوية): في عام 1979م، وقَّع الدكتور المشد عقد مع هيئة الطاقة الذرية، كان في الجامعة التكنولوجية وبيعمل فيها، وهذا لا يمنع التعاون العلمي في مجال أبحاث علمية تسير بين الجامعة، كما يحصل في مصر وفي أي مكان في العالم..

بعد التحاق يحيى المشد بمنظمة الطاقة الذرية العراقية هبط في مطار (إير) قرب مدينة (تولون) في جنوب فرنسا فريق من ثلاث أشخاص قَدِموا في رحلة داخلية من باريس، عندما وصلوا إلى (تولون) توجهوا إلى محطة القطار حيث أستأجروا سيارة من طراز (رينو 12) قادوها إلى فيلا قريبة، داخلها كان أربعة آخرون في انتظار هؤلاء .. تقول مصادر فرنسية إنهم من عملاء جهاز الإستخبارات الصهيوني "الموساد"، باتوا ليلتهم يرسمون خطة تخريبية.

في اليوم التالي الخامس من أبريل (نيسان) عام 1979م، توجه المخربون في طريقهم إلى مرفأ صغير، غربي تولون يدعى (لاسين سومير) كانت هذه جولة استطلاعية أرادوا من وراءها تحديد موقع جريمتهم، في هذا الموقع، في مخزن بعينه يشبه هذه المخازن

كانت تقبع درة التعاون العراقي الفرنسي تمهيداً لشحنها عن طريق مارسيليا إلى بغداد بعد أيام معدودة.

وضع زوار الليل لمساتهم الأخيرة على خطتهم قبل أن يعودوا تحت جنح الظلام، فيما يراد لنا أن نفهم أن خطتهم الأولى كانت سرقة قلبي المفاعلين العراقيين "إيزيس" و"أوزوريس" كما سماهم الفرنسيون أو كما سماهم العراقيون "تموز 1"، و"تموز 2" في يُسر تسللوا إلى الداخل، وفي يُسر ميزوا الشحنة العراقية من بين شحنات أخرى مماثلة، وفي يُسر تسرب الوقت فلجأوا إلى خطتهم البديلة، فجروا قلبي المفاعلين ولاذوا بالفرار.

أُشيرت أصابع الإتهام حول الموساد.. وبنفس الوقت تم الإشادة في حينها ببراعة العملية، كيف وصلوا هؤلاء الجناة إلى هذا المكان على الرغم من وجود حراسة، على الرغم أن العملية تتم برعاية السلطات الفرنسية .. الأجهزة الأمنية المختصة لحماية هذاالجهاز أو هذا القلب لكي ينقل من المصنع إلى البحر، لكي ينقل إلى مكان اللي هو مكان معلوم في العراق.

الغريب أيضاً والمثير للشكوك أن الفرنسيين صمّموا على أن يأتي المشد بنفسه ليتسلم شحنة اليورانيوم، رغم أن هذا عمل يقوم به أي مهندس عادي كما ذكر لهم في العراق بناء على رواية زوجته، إلا أنهم في العراق وثقوا فيه بعدما استطاع كشف أن شحنة اليورانيوم التي أرسلت من فرنسا غير مطابقة للمواصفات، وبالتالي أكدوا له أن سفره له أهمية كبرى.

ترأس الدكتور المشد فيما بعد البرنامج النووي الفرنسي – العراقي المشترك، وكان أول وأهم إنجازاته هو تسهيل مهمة العراق في الحصول على اليورانيوم المخصب من فرنسا .. في مايو 1980م، تم استدعاؤه لفرنسا، وكان يقوم كل فترة بإرسال كشف باليورانيوم الذي يحتاجه من الناحيةالكمية والكيفية، وكان يطلق على هذا اليورانيوم (الكعك الأصفر) .. وهكذا كامندوب البرنامج في العراق يتسلم هذا اليورانيوم ويبلغه بما تسلمه. وفي إحدى المرات اتصل مندوب البرنامج بالدكتور المشد وأخبره بأنه تسلم صنفاً مختلفاً عما هو موجود في الكشف. وقام الدكتور المشد بالاتصال بالمسؤولين الفرنسيين في البرنامج النووي وأخبرهم بذلك الخطأ، فردوا عليه

بعد ثلاثة أيام وقالوا له: "لقد جهزنا الكمية والصنف الذي تطلبه" وأكدوا عليه بالحضور لفحص ذلك ووضع الشمع الأحمر على الشحنات بعد التأكد من صلاحيتها.. كانت تلك الرسالة إشارة لشيء لم يتم تفسيره بشكل جيد.

النهاية

ولكنها كانت استدراجاً للدكتور يحيى المشد ليتم قتله في ظروف أسهل وفي دولة لا يعرفه فيها أحد .. مفوضاً من منظمةالطاقة الذرية العراقية مع ثلاثة آخرين من زملائه العراقيين .. وصل الرجل إلى باريس في السابع من يونيو/حزيران عام 1980م، فنزل في غرفة بالطابق الأخير من فندق الميرديان في باريس، يكتب في مذكراته بخط يده ملاحظات على اجتماعاته بنظرائه الفرنسيين، تبرز من بينها كلمة (كراميل) ومشاريع لتدريب العقول العراقية في المؤسسات الفرنسية، ويبرز أيضاً من بينها جانب الإنسان في يحيى المشد، كيف يوزع ميزانية السفر الزهيدة؟ وكيف يجد لأفراد عائلته ملابس تناسب مقاساتهم؟ كان يفكر في الذرة وفي الملابس الداخلية لابنه أيمن في آنٍ معاً، لكنه مات قبل أن يُكمل إنجاز أيٍّ منهما في الثالث عشر من يونيو/حزيران .. لفظ أنفاسه الأخيرة، ولم تكتشف جثته إلا بعدها بأكثر من يوم، لكن الشرطة الفرنسية كتمت الخبر عن العالم لأربعة أيام أُخر. وفي باريس 13 حزيران 1980م، يروى عادل حمودة "مؤلف" الموساد واغتيال المشد: (الحقيقة طبعاً لم اسمع عن يحيى المشد ولا كنت أعرف اسمه، أنا في تلك الفترة كنت في فندق متواضع جداً في الحي اللاتيني، أُشاهد التليفزيون، فلفت نظري أن كاميرات التليفزيون تتكلم عن قتل عالم مصري، بدؤوا بترجمة الكلام إنه دكتور في العلوم النووية وإنه كان يعمل لصالح العراق، ولكن لفت نظري طبعاً أن ضابط البوليس الذي خرج.. خرج ومعاه منشفة.. منشفة للحمام كبيرة عليها rouge موجودة وغمز بعينه وقال إننا امام جريمة عاطفية. ركزوا على الدكتور المشد، وكانوا يعرفون متى يخرج من الفندق ومتى يعود إليه في المساء، قيل يومها أن هناك ثلاث عناصر كانت تؤمن الرصد.. الرصد والمراقبة.. وتنقل إلى غرفة العمليات، قيل أنها استظلت بمظلة دبلوماسية، لكي لا تثير الانتباه إليها. وعندما دخل الفندق للصعود لغرفته، فإن سيدة

مجهولة تتبعت خطواته، ودخلت معه المصعد، وحاولت إغراءه بكافة المحاولات، لكي تقضي سهرة معه في حجرته، لكنه كان رجل متدين وبعيد عن هذا الاتجاه، ورفض أن يطاوعها في أغراضها، وتركها واتجه إلى غرفته. في ذلك الوقت استطاعت الأيادي الخفية أن تصل إلى الهدف .. وهو العالم العربي يحيى المشد وتهشم جمجمته بضربة من الخلف.. وقد ذُكر في تقرير الطبيب الشرعي بتهشم الجمجمة بضربة من الخلف بآله حادة لماذا!!.. لكي يتم الإيحاء بأن القاتل ليس محترفاً، ولا ينتمي إلى أي تنظيم أو جهاز سري، وإنما هي قصة علاقة الدكتور بإمرأة قيل أنها تسللت إلى غرفته.. وارتبطت بعلاقة غرامية معه، وفي آخر المطاف يعني الوصال تحول إلى قطيعة وأرادت الانتقام منه.. أرادوا الإيحاء بأنها جريمة عادية وليست بوسائل قتلة محترفين، وحاولوا إظهار القضية، أنها بسبب ليلة حمراء لكي يحطوا من قيمة العلماء العرب ويشوهون صورتهم، لكي يظهروهم أنهم ليسوا سوى رجال يبغون المتعة فقط.

و تدافع عنه وبشدة زوجته "زنوبة علي الخشاني" حيث قالت: "يحيى كان رجلاً محترماً بكل معنى الكلمة، وأخلاقه لا يختلف عليها اثنان، ويحيى قبل أن يكون زوجي فهو ابن عمتي، تربينا سويًّا منذ الصغر؛ ولذلك أنا أعلم جيدًا أخلاقه، ولم يكن له في هذه "السكك" حتى إنه لم يكن يسهر خارج المنزل، إنما كان من عمله لمنزله والعكس"...

وقيل أيضاً: إن هناك شخصاً ما استطاع الدخول إلى حجرته بالفندق وانتظره حتى يأتي، ثم قتله عن طريق ضربه على رأسه، وإذا كان بعض الصحفيين اليهود قد دافعوا عن الموساد قائلين: إن جهاز الموساد لا يستخدم مثل هذه الأساليب في القتل؛ فالرد دائماً يأتي: ولماذا لا يكون هذا الأسلوب اتُّبع لكي تبتعد الشبهات عن الموساد؟! ودليل ذلك أن المفاعل العراقي تم تفجيره بعد شهرين من مقتل المشد، والغريب أيضا والمثير للشكوك أن الفرنسيين صمّموا على أن يأتي المشد بنفسه ليتسلم شحنة اليورانيوم، رغم أن هذا عمل يقوم به أي مهندس عادي كما ذكر لهم في العراق بناء على رواية زوجته، إلا أنهم في العراق وثقوا فيه بعدما استطاع كشف أن شحنة اليورانيوم التي

أرسلت من فرنسا غير مطابقة للمواصفات، وبالتالي أكدوا له أن سفره له أهمية كبرى.

كشف الحقيقة

ثبت عدم صحة هذا الكلام؛ حيث أن "ماري كلود ماجال" أو "ماري إكسبريس" كشهرتها - الشاهدة الوحيدة - وهي إمرأة ليل فرنسية كانت تريد أن تقضي معه سهرة ممتعة، أكدت في شهادتها أنه رفض تمامًا مجردالتحدث معها، وأنها ظلت تقف أمام غرفته لعله يغيّر رأيه؛ حتى سمعت ضجة بالحجرة .. ولم يكتفوا بهذا الحد ففي ضاحية (سان ميشيل) بعدها بأقل من شهر كانت أهم شاهدة في القضية تُغادر أحد بارات باريس الرخصية وقد بدى لمن يراها هكذا في الشارع وكأنها مخمورة، منظر مألوف في هذه الضاحية بعد منتصف الليل، لكن غير المألوف أنها وقد كانت تعبر الشارع دهستها سيارة مجهولة لم يعثر عليها حتى اليوم، ومرة أخرى قُيدت القضية ضدمجهول. لكن الذي لا شك فيه أن يحيى المشد مات بفعل فاعل، وأن قاتله يعرف نفسه.. لا مصر التي هو ابنها أرادت أن تعكر آنئذ أفراح السلام الزائف، ولا العراق الذى منحه أنفاسه الأخيرة أراد أن يلفت إليه مزيداً من الأضواء، ولا فرنسا الذي مات على أرضها أرادت أمام الصهاينة والأمريكيين، بل وهي في غنى عنها، ضاع دمه هدراً. بعد عامٍ على اغتيال المشد تنطلق مقاتلات صهيونية فوق سموات عربية قبل أن تصل إلى بلدٍ عربي اسمه العراق فتدمر المفاعل النووي، وتحديداً في الثامن من حزيران عام 1981م، وخلال الحرب العراقية-الإيرانية أو الصدامية-الخمينية إذا شئت تسميتها. في تقريرها النهائي أشارت الشرطة الفرنسية بأصابع الإتهام في اغتيال المشد إلى ما وصفته بمنظمة يهودية لها علاقة بالسلطات الفرنسية، إعترفت بعد ذلك إسرائيل بأنها هي التي ضربت يحيى المشد على رأسه بآلة حادة بواسطة رجال من الموساد.. وجاء هذا الإعتراف في كتاب ضابط المخابرات الإسرائيلية المنشق فيكتور ستورفيسكي في كتابهُ الذي أثار ضجة منذ صدوره في صيف 1990م، والذي صدر بعنوان (طريق الخداع) فنحن نتصور أن مثل هذه القضايا تُسبب صداعاً.. وفي رؤوسنا ما يكفي من الصداع لكن أقوى دليل يأتي في سياق كتاب صدر عام 2000م، يضم إعتراف

المسؤول عن شعبة القتل في الموساد الذى قال: أنه قد ذهب إلى يحيى المشد في غرفته وطرق الباب عليه بعد قصة العاهرة (ماري ماجال)، وقال له: نحن أصدقاء.. إحنا ولاد عم، التعبير الشائع بين العرب والإسرائيليين أو العرب واليهود، وقال له عندي أصدقاء، ومستعدون لدفع أي مبلغ تطلبه، فكان رده حاد جداً ورد شرقي، قال له حسب كلام المؤلف: إمشي يا كلب أنت واللي باعتينك، فخرج مسؤول القتل في الموساد -حسب كلام هذا الكتاب- وأخد طيارة (العال) اللي هي رايحة إلى تل أبيب وبعد أكثر من نصف ساعة كانت عملية القتل بتتم بشكل أو بآخر. "عمير أورين" (صحيفة "ها آرتيس"): في أواخر حُقبة السبعينات وأوائل حُقبة الثمانينات فيما كان البرنامج النووي العراقي في طريق التقدم، أقسمت إسرائيل علناً أن تضع حداً له، ووفقاً لتقارير موثوق بها حاولت إسرائيل النيل من الأشخاص الضالعين في البرنامج كالعلماء والمهندسين والوسطاء. وفي بلد كالعراق تحطمت آلته ونضب ماؤه وجف ضرعه، يبقى له سواعد أهله وما تبقى من عقول علمائه، ويبقى دم يحيى المشد معتصراً في فجوة علمية مخيفة تتسع كل يوم باتساع المجهول القادم، هكذا يتحول الرجل إلى رمز يلخص كثيراً من ملامح الواقع العربي، ويستريح على صفحة بيضاء بين دفتي كتاب أسود، وهكذا يطيب لأعداء الأمة أن يلقى بنصف علمائها إلى مذابل الإهمال ويُلقى بالنصف الآخر إلى شباك الإرهاب العلمي.

وتمت العملية

في الثالث عشر من يونيو/حزيران عام 1980م، وفى حجرة رقم 941 بفندق الميريديان بباريس عُثر على الدكتور يحيى المشد جثة هامدة مهشمة الرأس وقيدت القضيه ضد مجهول رغم أن كل العالم كان على علم بأن الموساد الإسرائيلي هو من قام بهده العملية.

السياسة والصداقة

الغريب أنه بعد رجوع أسرة المشد من العراق؛ قاموا بعمل جنازة للراحل، ولم يحضر الجنازة أي من المسئولين أو زملاؤه بكلية الهندسة إلا قلة معدودة.. حيث أن العلاقات المصرية العراقية وقتها لم تكن على ما يرام بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد،

وأصبحت أسرة المشد الآتية من العراق لا تعرف ماذا تفعل بعد رحيل المشد، لولا المعاش الذي كانت تصرفه دولة العراق والذي صُرف بناء على أوامر من صدام حسين مدى الحياة (رغم أنه توقف بعد حرب الخليج).. ومعاش ضئيل من الشئون الاجتماعية التي لم تُراعي وضع الأسرة أو وضع العالم الكبير.

كما أن الإعلام المصري لم يُسلط الضوء بما يكفي على قصة اغتيال المشد رغم أهميتها، ولعل توقيت هذه القصة وسط أحداث سياسية شاحنة جعلها أقل أهمية مقارنة بهذه الأحداث!! رحم الله المشد وكل علمائنا.

***

الرابع

أديسون الشرق" الذي أضاء في بلاد الغرب

حسن كامل الصباح



المولد والنشأة

ولد الصبّاح في 16 أغسطس عام 1894 في بلدة النبطية بجنوب لبنان، ونشأ في بيت علم وفكر، فتوجهت اهتماماته نحو الإطلاع والثقافة والتعرف على ما في الطبيعة من قوى، وشجعه على ذلك خاله الشيخ أحمد رضا الذي كان شغوفاً بالبحث والتعرف على الحقائق الطبيعية والاجتماعية والروحية.

وقد ظهرت علامات الذكاء والنبوغ على "حسن كامل الصباح" وهو في السابعة من عمره عندما ألحقه والده بالمدرسة الإبتدائية فنال إعجاب معلميه، ثم التحق بالمدرسة السلطانية في بيروت سنة 1908 فظهر نبوغه في الرياضيات والطبيعيات، وفى نهاية السنة الأولى له أدرك الصباح عدم صلاحية الكتب الدراسية المقررة عليه مع طموحاته العلمية؛ فبدأ في دراسة اللغة الفرنسية للإطلاع على العلوم التي لم يكن يجدها في الكتب العربية آنذاك.

ثم التحق الصبّاح بالجامعة الأمريكية في بيروت، وأتقن اللغة الإنجليزية في مدة قصيرة، واستطاع حل مسائل رياضية وفيزيائية معقدة ببراعة وهو في السنة الجامعية الأولى، وشهد له أساتذتهُ بقدراتهُ، وتردد إسمه بين طلاب الجامعات اللبنانية، ووصفه الدكتور فؤاد صروف - أحد أساتذته - في مجلة المقتطف بأنه شيطان من شياطين الرياضيات.

مدرس للرياضيات:

وإلتحق الصباح بقسم الهندسة في الجامعة الأمريكية، وأبدى اهتمامًا خاصًا نحو الهندسة الكهربائية ونتيجة لما ظهر عليه من نبوغ في استيعاب نظرياتها وتطبيقاتها تبرع له أحد الأساتذة الأمريكيين البارزين بتسديد أقساط المصروفات الجامعية تقديراً منه لهذا التفوق حين عرف أن ظروف أسرة الصباح المادية لا تسمح له بمواصلة الدراسة الجامعية.

وعندما بلغ سن تأدية الخدمة العسكرية اضطر "حسن كامل الصباح" إلى التوقف عن الدراسة عام 1916 والتحق بسرية التلغراف اللاسلكي وفى عام 1918 توجه إلى العاصمة السورية دمشق؛ حيث عمل مدرساً للرياضيات بالإضافة إلى متابعته دراسة الهندسة الكهربائية والميكانيكا والرياضيات، كما وجه اهتمامًا للاطلاع على نظريات العلماء في مجال الذرة والنسبية، وكان من القلائل الذين استوعبوا هذه النظرية الشديدة التعقيد، وكتب حولها المقالات فشرح موضوع الزمان النسبي والمكان النسبي والأبعاد الزمانية والمكانية والكتلة والطاقة وقال عنه العالم إستون فيما بعد: كان الوحيد الذي تجرأ على مناقشة أراء أينشتاين الرياضية وانتقادها والتحدث عن النسبية كأينشتاين نفسه.

وفى 1921 غادر دمشق وعاد إلى الجامعة الأمريكية مرة أخرى؛ لتدريس الرياضيات، وكان حريصاً على شراء المؤلفات الألمانية الحديثة في هذا المجال، ولكن في الوقت نفسه كان الصباح تواقاً إلى التخصص في مجال الهندسة الكهربائية.

إلى أمريكا

وفى عام 1927 توجه "حسن كامل الصباح" إلى أمريكا، والتحق بمدرسة الهندسة الكبرى المسماة مؤسسة ماسانشوستش الفنية، لكنه لم يتواءم مع التعليم الميكانيكي في هذه المؤسسة، كما عجز عن دفع رسومها فتركها بعد عام، وانتقل إلى جامعة الينوي ولمع نبوغ الصباح قبل نهاية العام الدراسي الأول في هذه الجامعة، فقدم أستاذ الفلسفة الطبيعية بها اقتراحًا للعميد بمنح الصباح شهادة معلم علوم

(M.A) إلا أن العميد لم يوافق على الاقتراح؛ حيث كان يجب على الطالب أن يقضي عامين على الأقل في الجامعة قبل منحه أي شهادة.

وفكر الصباح في بدء حياته العملية؛ فالتحق بشركة الكهرباء العامة في ولاية نيويورك، وكانت تعتبر أعظم شركات الكهرباء في العالم، وفيها ظهرت عبقريتهُ وتفوقه على المئات من المهندسين العاملين بالشركة، ولم تمضِ سنة واحدة على عمله بها حتى بدأت سلسلة اختراعاته التي نالت إعجاب رؤسائه؛ فخصصوا له مختبراً ومكتبًا وعينوا عددًا من المهندسين الذين يعملون تحت إدارته.

ووضع الصباح نظريات وأصولاً جديدة لهندسة الكهرباء؛ فشهد له العلماء بالعبقرية ومن بينهم العالم الفرنسي الشهير موريس لوبلان، وبعث إليه الرئيس الأمريكي آنذاك بخطاب يؤكد فيه إعجابه بنبوغه واختراعاته، وأرسلت إليه شركات الكهرباء الكبرى شهادات تعترف بصحة اختراعاته، ومنها شركة وستنجهاوس في شيكاغو وثلاث شركات ألمانية أخرى.

وفى عام 1932 منحه مُجمع مؤسسة الكهرباء الأمريكي لقب "فتى مؤسسة مهندسي الكهرباء الأمريكية"، وهو لقب علمي لا يُعطى إلا لمن اخترع وابتكر في الكهرباء، ولم ينل هذا اللقب إلا عشرة مهندسين في الشركة.

فتى العلم الكهربائي

وفي مطلع عام 1933 تمت ترقيته في الشركة، ومنح لقب "فتى العلم الكهربائي" وذلك بعد انتخابه من جمعية المهندسين الكهربائيين الأمريكيين في نيويورك. واستطاع الصباح اكتشاف طرائق الإنشطار والدمج النووي المستخدمة في صنع القنابل الهيدروجينية والنووية والنيترونية.

وقد شملت علوم الصباح نواحي معرفية عديدة في مجالات الرياضيات البحتة والإحصائيات والمنطق والفيزياء وهندسة الطيران والكهرباء والإلكترونيات والتلفزة، وتحدث عن مادة "الهيدرولية" وما ينتج عنها من مصادر للطاقة، واستشهد بشلالات نبع الصفا في جنوب لبنان ونهر الليطاني، كما كانت له آراؤه في المجالات السياسة

والاقتصادية والاجتماعية والحرية والإستعمار والمرأة والوطنية والقومية العربية، وكان ذواقًا للأدب ويجيد أربع لغات هي: التركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.

اختراعات الصباح

ويصل عدد ما إخترعه حسن كامل الصباح من أجهزة وآلات في مجالات الهندسة الكهربائية والتلفزة وهندسة الطيران والطاقة إلى أكثر من 76 إختراعاً سُجلت في 13 دولة منها: الولايات المتحدة الأمريكية، وبلجيكا، وكندا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وأستراليا، والهند، واليابان، وأسبانيا، واتحاد دول أفريقيا الجنوبية. وبدأ إختراعاته عام 1927 بجهاز ضبط الضغط الذي يعين مقدار القوة الكهربائية اللازمة لتشغيل مختلف الآلات ومقدار الضغط الكهربائي الواقع عليها.

وفي عام 1928 إخترع جهازًا للتلفزة يستخدم تأثير انعكاس الإلكترونيات من فيلم مشع رقيق في أنبوب الأشعة المهبطية الكاثودية، وهو جهاز إلكتروني يمكن من سماع الصوت في الراديو والتليفزيون ورؤية صاحبه في آن واحد.

كما إخترع جهازًا لنقل الصورة عام 1930، ويستخدم اليوم في التصوير الكهروضوئي، وهو الأساس الذي ترتكز عليه السينما الحديثة، وخاصة السينما سكوب بالإضافة إلى التليفزيون.

وفي العام نفسه إخترع جهازًا لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية مستمرة، وهو عبارة عن بطارية ثانوية يتولد بها حمل كهربائي بمجرد تعرضها لأشعة الشمس، وإذا وُضع عدد منها يغطي مساحة ميل مربع في الصحراء؛ فإن القوة الكهربائية التي يمكن استصدارها من الشمس عندئذ تكون 200 مليون كيلو وات، وقد عرض الصباح إختراعه هذا على الملك فيصل الأول ملك العراق ليتبناه، ولكنه مات ثم عرضه على الملك عبد العزيز بن سعود لاستخدامه في صحراء الربع الخالي، ولكن الصباح مات بعد فترة وجيزة.

وكان قد شرع قبيل وفاته في تصميم محرك طائرة إضافي يسمح بالطيران في الطبقات العليا من الجو، وهو شبيه بتوربينات الطائرة النفاثة.

الموت المفاجئ

وقد حدثت الوفاة المفاجئة مساء يوم الأحد 31 مارس 1935 وكان حسن كامل الصباح عائدًا إلى منزله فسقطت سيارته في منخفض عميق ونقل إلى المستشفى، ولكنه فارق الحياة وعجز الأطباء عن تحديد سبب الوفاة خاصة وأن الصباح وجد على مقعد السيارة دون أن يصاب بأية جروح مما يرجح وجود شبهة جنائية خاصة وأنه كان يعاني من حقد زملائه الأمريكيين في الشركة، وذكر ذلك في خطاباته لوالديه.

وحمل جثمان العالم اللبناني والمخترع البارع حسن كامل الصباح في باخرة من نيويورك إلى لبنان، وشيع في جنازة مهيبة إلى مثواه الأخير في مسقط رأسه ببلدة النبطية بجنوب لبنان، ورثاه رئيس شركة جنرال إلكتريك قائلا: إنه أعظم المفكرين الرياضيين في البلاد الأمريكية، وأن وفاته تعد خسارة كبيرة للعلم والإختراعات.

المفاجأة وكشف النقاب

وكشفت التحقيقات أيضاً إنه تم تخديره بواسطة زميل له أمريكي يهودي ووضعه في سيارته لكن لم يتم القبض على هذا الرجل الذي اختفي عن الوجود ولم يكن سوي رجلاً من رجال فرقة الاغتيالات بالموساد الإسرئيلي وهذا ماجاء في كتاب جون دوور (فرقة الموت) واغلقت القضية ضد مجهول...

***

الخامس

الدكتورة السعودية سامية عبد الرحيم ميمني



تعريف:

- هي الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني.
- من مواليد مكة المكرمة.
- كانت فتاة متفوقة دراسياً في جميع المراحل وكان طموحها بلاحدود.
- كما كانت رحمها اللـه متدينة وهادئة الطباع برغم حيويتها.
- لم تشغلها أحلام الصبايا بل كل الذى كان يشغلها هو العلم والتفوق.
- درست وتخرجت من مدرسة الطب في جامعة الملك فيصل.
- قررت وأصرت أن تكون أول جراحه مخ وأعصاب سعودية.

البداية

عندما توفي والدها في حادث مريع تعرض خلاله إلى كسر في الجمجمة من هنا كان إصرارها أن تكون أول جراحة سعودية تتخصص في (جراحة المخ والأعصاب).. هذا المجال ونظراً لعدم وجود هذا التخصص من الدراسات في البلاد العربية فقد تغربت وتقدمت وقتها لمجلس الدراسات العليا في الولايات المتحدة الأمريكية واجتازت اختبارات الإمتياز لتنضم لجامعة من أعرق جامعات الطب في أمريكا وهي جامعة شارلز درو للطب والعلوم في مستشفى مارثن لوثر كنج بعد أن تأهلت وأنهت دراستها في هذا التخصص الصعب.

رحلتها العلمية

عملت جاهدة على ترتيب معايير الإصابات الدماغية وطرق علاجها وقد استفاد العالم كله من أبحاثها الطبية واختراعاتها التي جعلت الطب في تطور مستمر وكان من اختراعاتها جهاز الإسترخاء العصبي وهو عبارة عن وحدات من أجهزة الكمبيوتر المحاكي تستطيع من خلالها تحريك وشفاء الأعصاب المصابة بالشلل بإذن الله تعالي. كذلك اخترعت الشهيدة جهاز الجونج وهو جهاز فريد من نوعه يساعد على التحكم بالخلايا العصبية ما بين فتحها وإغلاقها، وهذا الجهاز يعتبر الوحيد في العالم إضافة للإختراع الذي يساعد على اكتشاف حالات السرطان المبكرة. كما أنها حصلت على براءة الاختراع من المجلس الطبي الأمريكي P.C.T ومن هنا بدأت لحظات عمر الدكتورة السعودية سامية ميمني بالعد التنازلي.

العد التنازلي للحياة

عُرض عليها مبلغ من المال والجنسية الأمريكية مقابل التنازل عن بعض اختراعاتها، ولم يكن المبلغ بسيطاً بل كان العرض خمسة ملايين دولار أمريكي إضافة للجنسية الأمريكية، لكن الدكتورة البارعة لم تقبل بهذا العرض بل قالت: فائدة اختراعي ستعم العالم كله وليس بلادي فقط. واستمرت الدكتورة سامية في دراستها وإنجاز أبحاثها ولم يصبها اليأس.

انجازتها

هذه الطبيبة كان لها الأثر الكبير في قلب موازين عمليات جراحات المخ والأعصاب.. جعلت من الجراحات المتخصصة الصعبة.. جراحات بسيطة سهلة وبالتخدير.

عملت جاهدة على ترتيب معايير الإصابات الدماغيه وطرق علاجها.. فاستفاد العالم من أبحاثها الطبية التي أثرت فيها الساحة.

قامت هذه الطبيبة رحمها الله .. بالكثير من الاختراعات التي جعلت من الطب والفتاة المسلمة إنسانه قوية بكل ما تحمل الكلمة.. كان جهاز الإسترخاء العصبي وهو

عبارة عن وحدات من أجهزة الكمبيوتر المحاكي تستطيع من خلالها تحريك وشفاء - بعد إذن الـلـه تعالي الأعصاب المصابة بالشلل .. كذلك اخترعت جهاز الجونج ، وهـو جهـاز فريـد مـن نوعه يساعد في التحكم في الخلايا العصبية مـا بـين فتحهـا وإغلاقهـا والـذي يعتـبر الوحيـد في العالم ..

الاغتيال

CNN تعلن عن الحادث

نشرت محطة الـ CNN صوراً لجثة الدكتورة الشهيدة وقد تعرف عليها أهلها عـن طريـق الصدفة لمشاهدتهم هذه القناة التي بثت الواقعة وصور الدكتورة سامية ميمني، حيث قتلت خنقاً في شقتها ووجدت جثتها في أحدى المـدن الأمريكيـة داخـل ثلاجـة عاطلـة عـن العمـل. ويشاء الـلـه أن يتم القبض على الجاني من خلال فاتورة هاتف منزلها وعن طريـق البصـمات التي وجدت في مكان الجريمة إلا انه لا يزال ينكر ارتكابه للجريمة البشعة في حق هذه الفتـاة العربيـة والمسـلمة وصـاحبة الإختراعـات الطبيـة المتميـزة. كـما أن الجـاني سرق أثـاث شـقة الشهيدة وأبحاثها الطبية وبراءة الإختراع إضافة لكل مـا تملكـه مـن مـال ومصـوغات وأزهـق روحها وألقى بها في ثلاجة قديمة في أحد شوارع المدينة. والسؤال هنا يفرض نفسه لماذا قُتلت الدكتورة سامية؟ وأين إختفت أبحاثها وإختراعاتها وبراءة الإختراع؟ وما الهـدف المنشـود مـن وراء هذه الحادثة البشعة؟

شاهد وصديق

في ذلـك اليـوم عـام 1997م، قابلـت الطبيبـة رحمهـا الـلــه في بـالوبيتش بالإتحـاد السوفيتي، وقد كانت هي المرة الأولى التي أقابلها على الرغم أني سمعت عنها الكثـير.. قابلتها بحجابها الإسلامي الملتزم وبكلامها المحتشم.. وكنـا وقتهـا بصـدد إنشـاء معمـل إزالـه الأورام باسـتخدام جهازهـا رحمهـا الـلــه قالـت الطبيبـة.. لمـاذا لا تعمـل في السعودية.. قلت لها.. أنني استجمع خبرات العمل .. ولا بد لي في يـوم أن أرجـع بـإذن الـلـه .. وقالت .. أنها سـوف تسـافر لمكـة لأداء العمـرة .. وسـوف تـدعوا لي أن الـلــه يوفقني .. كانت كلماتها بسيطة جداً .. معبرة .. جداً .. تأخذك في مجال الأبحاث وكأنها

عملاقة في علمها رقم صغر سنها .. بلهجتها الحجازية المتسارعة قالت .. أن الأمريكان عرضوا عليها مبلغ من المال والجنسية .. فما رأيكم؟ وقد كنا وقتها مجموعة من الشباب السعودي منا من هو مقيم ويعمل .. ومنا من هو لازال يدرس وينتظر تخرجه ليعود لأرض الوطن.

حارت النظرات فقد كان المبلغ خمسة ملايين دولار .. يحلم بها أي باحث طبي لينشأ معمله الخاص .. في أي مكان .. وليس هذا فقط .. بل أعطيت الدكتوة رحمها اللـه عرضاً بالجنسية ما إذا وافقت على العرض من الجانب الأمريكي.

كانت الدكتورة دائماً.. اسمعها تقول .. يا رب سهل لي أمري يا رب سهل لي أمري.. وكنت أقول مازحاً .. راح يكون سهل إنشاء اللـه بس أنت شدي حيلك .. ترد .. وتقول .. أكثر من كدا راح ينقطع.

لم تنظر الطبيبة لكلماتنا .. بأن عليها مغادرة الأراضي الأمريكية فوراً .. بل استمرت في دارستها .. وتعلمها .. وأبحاثها في تطوير الجهاز .. استمرت وهي تطلب من اللـه أن ينصرها وأن يحفظها.

بعدها .. سافرت أنا ومجموعه العمل .. إلى تكساس حيث مقر عملي الأساسي .. وبعدها بسبعة أشهر وأنا أشاهد الأخبار .. سمعت أن الدكتورة سامية الميمني قد قُتلت خنقاً في شقتها وجدت جثتها رحمها اللـه في أحد لمدن القريبة من بلوبتيش في سيارة تُستخدم لأغراض التبريد والتي لم تعد تُستعمل من قبل الشركة مالكة السيارة اهتزت الدنيا في أول ثلاثة أيام في أمريكا .. واهتز مجلس الطلبة السعوديين .. واهتزت السفارة السعودية .. واهتزت أنفسنا من الداخل بكينا بكاء مر على تلك العالمة السعودية التي أرادت أن تجعل من الفتاة السعودية فتاة يحتذي بها في الإلتزام بالشرع .. وبالتعلم حتى وصلت لأعلى مراتب العلم في تخصص يعد من أصعب تخصصات الطب حتى الآن.

وبعد أسبوع من الحادثة .. تم الإعلان عن القبض على رجل يعمل حارساً للعمارة التي كانت تسكن بها الطبيبة رحمها اللـه .. وزُج به في السجن المؤبد .. وتم غلق ملف القضية .. بعد أن حكم عليه بسبب وجود بصماته على الشريط اللاصق الذي

استخدمه لسرقة أثاث القتيلة ومعها أبحاثها وبراءة الإختراع وكل ما تملك من مال ومصاغ.

وأقفلت القضية رغم أن القاتل لم يعترف بأنه هو الجاني .. وعلى الرغم من الحكم المخفف الذي حكم علية .. فهو لا زال ينكر بأنه هو الفاعل.

والسؤال: إذا كان حارس العقار هو القاتل .. وتم ضبط جميع قطع الأثاث مُخزنة في أحد الشقق القريبة من العمارة .. ولكن أين ذهبت أوراق الأبحاث .. وكذلك أوراق الإختراع؟

وتم نقل جثمان الطبيبة لمكة المكرمه.

***

السادس

شخصية مصر

الشهيد الدكتور جمال حمدان



المولد

"جمال محمود صالح حمدان" أحد أعلام الجغرافيا في القرن العشرين، ولد في قرية "نـاي" بمحافظة القليوبية بمصر في 12 شعبان 1346هـ ،4 فبراير سنة 1928م، ونشأ في أسرة كريمة طيبة تنحدر من قبيلة "بني حمدان" العربية التي نزحت إلى مصر في أثناء الفتح الإسلامي.

كان والده أزهريا مدرّسًا للغة العربية في مدرسة شبرا التي التحق بها ولده جمال، وحصل منها على الشهادة الإبتدائية عام 1358هـ ـ 1939م، وقد اهتم الأب بتحفيظ أبنائه السبعة القرآن الكريم، وتجويده وتلاوته على يديه؛ مما كان له أثر بالغ على شخصية جمال حمدان، وعلى إمتلاكه نواصي اللغة العربية؛ مما غلّب على كتاباته الأسلوب الأدبي المبدع.

وبعد الإبتدائية التحق جمال حمدان بالمدرسة "التوفيقية الثانوية"، وحصل على شهادة الثقافة عام 1362هـ ـ 1943م، ثم حصل على التوجيهية الثانوية عام 1363هـ ـ 1944م، وكان ترتيبه السادس على القطر المصري، ثم التحق بكلية الآداب قسم

الجغرافيا، وكان طالبا متفوقاً ومتميزاً خلال مرحلة الدراسة في الجامعة، حيث كان مُنكباً على البحث والدراسة، متفرغاً للعلم والتحصيل.

وفي عام 1367هـ ـ 1948م، تخرج من كليته، وتم تعيينه معيداً بها، ثم أوفدته الجامعة في بعثة إلى بريطانيا سنة 1368هـ ـ 1949م، حصل خلالها على الدكتوراه في فلسفة الجغرافيا من جامعة "ريدنج" عام 1372 هـ ـ 1953م، وكان موضوع رسالته: "سكان وسط الدلتا قديماً وحديثاً"، ولم تُترجم رسالته تلك حتى وفاته.

بداية

وبعد عودته من بعثته انضم إلى هيئة التدريس بقسم الجغرافيا في كلية الآداب جامعة القاهرة، ثم رُقّي أستاذاً مساعداً، وأصدر في فترة تواجده بالجامعة كتبه الثلاثة الأولى وهي: "جغرافيا المدن"، و"المظاهر الجغرافية لمجموعة مدينة الخرطوم" (المدينة المثلثة)، و"دراسات عن العالم العربي" وقد حصل بهذه الكتب على جائزة الدولة التشجيعية سنة 1379هـ ـ 1959م، ولفتت إليه أنظار الحركة الثقافية عامة.

وفي عام 1383هـ ـ 1963م تقدّم باستقالته من الجامعة؛ احتجاجاً على تخطيه في الترقية إلى وظيفة أستاذ، وتفرغ للبحث والتأليف حتى وفاته، وكانت فترة التفرغ هذه هي البوتقة التي أفرزت التفاعلات العلمية والفكرية والنفسية لجمال حمدان.

علاقته بالجغرافيا

ويعد جمال حمدان ذا أسلوب متميز داخل حركة الثقافة العربية المعاصرة في الفكر الإستراتيجي، يقوم على منهج شامل معلوماتي وتجريبي وتاريخي من ناحية، وعلى مدى مكتشفات علوم: الجغرافيا والتاريخ والسكان والاقتصاد والسياسة والبيئة والتخطيط والاجتماع السكاني والثقافي بشكل خاص من ناحية أخرى.

ولا يرى جمال حمدان في علم الجغرافيا ذلك العلم الوضعي الذي يقف على حدود الموقع والتضاريس، وإنما هو علم يمزج بين تلك العلوم المختلفة؛ فالجغرافيا هي "تلك التي إذا عرفتها عرفت كل شيء عن نمط الحياة في هذا المكان أو ذاك.. جغرافية

الحياة التي إن بدأت من أعلى آفاق الفكر الجغرافي في التاريخ والسياسة فإنها لا تستنكف عن أن تنفذ أو تنزل إلى أدق دقائق حياة الناس العادية في الإقليم".

وإذا كانت الجغرافيا - كما يقول في تقديمه لكتاب "شخصية مصر" في الاتجاه السائد بين المدارس المعاصرة- هي علم "التباين الأرضي"، أي التعرف على الإختلافات الرئيسية بين أجزاء الأرض على مختلف المستويات؛ فمن الطبيعي أن تكون قمة الجغرافيا هي التعرف على "شخصيات الأقاليم"، والشخصية الإقليمية شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الإقليم، إنها تتساءل أساساً عما يعطي منطقة تفرّدها وتميزها بين سائر المناطق، كما تريد أن تنفذ إلى روح المكان لتستشف عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة.. ولئن بدا أن هذا يجعل للجغرافيا نهجاً فلسفياً متنافراً يتأرجح بين علم وفن وفلسفة؛ فيمكن أن نضيف للتوضيح: علم بمادتها، وفن بمعالجتها، وفلسفة بنظراتها.. والواقع أن هذا المنهج المثلث يعني ببساطة أنه ينقلنا بالجغرافيا من مرحلة المعرفة إلى مرحلة التفكير، من جغرافية الحقائق المرصوصة إلى جغرافية الأفكار الرفيعة.

وكانت رؤية جمال حمدان للعلاقة بين الإنسان والطبيعة في المكان والزمان متوازنة، فلا ينحاز إلى طرف على حساب الآخر، ويظهر ذلك واضحاً في كتابه المشار اليه آنفا، والذي تبرز فيه نظرته الجغرافية المتوازنة للعلاقة بين الإنسان المصري والطبيعة بصفة عامة والنيل بصفة خاصة، وكيف أفضت هذه العلاقة إلى صياغة الحضارة المصرية على الوجهين: المادي والروحي.

آثاره وإنجازاته

لقد كان لعبقرية جمال حمدان ونظرته العميقة الثاقبة فضل السبق لكثير من التحليلات والآراء التي استُغربت وقت إفصاحه عنها، وأكدتها الأيام بعد ذلك؛ فقد أدرك بنظره الثاقب كيف أن تفكك الكتلة الشرقية واقع لا محالة، وكان ذلك عام 1388هـ ـ 1968م، فإذا الذي تنبأ به يتحقق بعد إحدى وعشرين سنة، عام 1409هـ ـ 1989م، حيث حدث الزلزال الذي هز أركان أوروبا الشرقية، وانتهى الأمر بإنهيار

أحجار الكتلة الشرقية، وتباعد دولها الأوروبية عن الاتحاد السوفيتي، ثم تفكك وإنهيار الإتحاد السوفيتي نفسه عام 1411هـ ـ 1991م (إستراتيجية الاستعمار والتحرر).

وفي شهر فبراير 1387هـ ـ 1967م، أصدر جمال حمدان كتابه "اليهود أنثروبولوجيًا" والذي أثبت فيه أن اليهود المعاصرين الذين يدعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ليسوا هم أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد، وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية "الخزر التترية" التي قامت بين "بحر قزوين" و"البحر الأسود"، واعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي.. وهذا ما أكده بعد ذلك "آرثر بونيسلر" مؤلف كتاب "القبيلة الثالثة عشرة" الذي صدر عام 1396هـ ـ 1976م.

وقد ترك جمال حمدان 29 كتاباً و79 بحثاً ومقالة، يأتي في مقدمتها كتاب "شخصية مصر.. دراسة في عبقرية المكان"، وكان قد أصدر الصياغة الأولى له سنة 1387هـ 1967م في نحو 300 صفحة من القطع الصغير، ثم تفرغ لإنجاز صياغته النهائية لمدة عشر سنوات، حتى صدر مكتملاً في أربعة مجلدات خلال السنوات بين 1401هـ ـ1981م: 1404هـ ـ 1984م.

وعلى الرغم من إسهامات جمال حمدان الجغرافية، وتمكنه من أدواته؛ فإنه لم يهتم بالتنظير وتجسيد فكره وفلسفته التي يرتكز عليها.

الجوائز

وقد حظي جمال حمدان بالتكريم داخل مصر وخارجها؛ حيث مُنح جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة 1406هـ ـ 1986م، ومنحته الكويت جائزة التقدم العلمي سنة 1413هـ ـ 1992م، فضلا عن حصوله عام 1379هـ ـ 1959م على جائزة الدول التشجيعية في العلوم الاجتماعية، وكذلك حصل على وسام العلوم من الطبقة الأولى عن كتابه "شخصية مصر" عام 1411هـ ـ 1988م.

عُرضت عليه كثير من المناصب التي يلهث وراءها كثير من الزعامات، وكان يقابل هذه العروض بالاعتذار، مُؤْثِرًا تفرغه في صومعة البحث العلمي، فعلى سبيل المثال تم ترشيحه عام 1403هـ ـ 1983م، لتمثيل مصر في إحدى اللجان الهامة بالأمم المتحدة، ولكنه اعتذر عن ذلك، رغم المحاولات المتكررة لإثنائه عن الاعتذار. كما

اعتذر بأدب ورقة عن عضوية مجمع اللغة العربية، وكذلك عن رئاسة جامعة الكويت... وغير ذلك الكثير.

الوفاة

وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت في 17 إبريل من عام 1413هـ ـ 1993م، انتقل إلى جوار ربه، إثر فاجعة أودت بحياته نتيجة تسرب الغاز من أنبوب البوتاجاز أثناء قيامه بإعداد كوب من الشاي لنفسه.

جمال حمدان قُتِل بيد الموساد

فجّر رئيس المخابرات السابق، أمين هويدي، مفاجأة من العيار الثقيل، حول الكيفية التي مات بها عالم الجغرافيا المصري الكبير جمال حمدان، وأكد هويدي أن لديه ما يثبت أن الموساد الإسرائيلي هو الذي قتل حمدان.

لماذا اغتيل جمال حمدان

اغتيل جمال حمدان من أجل كتابه اليهود انثربولوجي الذي كان بصدد الإنتهاء منه عن حقيقة اليهود المتواجدين حالياً في إسرائيل وأوروبا ويكشف فيه أنهم ينتمون لقبائل الخرز التتارية التي كانت موجودة في القرن الثامن عشر واعتنقت اليهودية.

وعندما علمت الموساد بهذا البحث والذي سيتم ترجمته للعديد من اللغات قرروا اغتياله.

وتم اغتياله في منزله وقاموا بطمس معالم الجريمة حتي تكون مجرد حادث عادي وقاموا بالبحث عن مسودات هذا البحث لكن اللـه لم يمهلهم وخرج البحث بعد وفاته للنور عن طريق نسخة قد ارسلها إلى اخته.

***

السابع
دكتورة سلوي حبيب



الدكتورة سلوى حبيب الأستاذة بمعهد الدراسات الإفريقية كانت من أكثر المناهضين للمشروع الصهيوني،وصبت اهتمامها في كشف مخططات القادة الإسرائيليين نحو القارة الإفريقية وربما كان كتابها الأخير (التغلغل الصهيوني في أفريقيا) والذي كان بصدد النشر، مبرراً كافياً للتخلص منها، حيث عثر على جثتها وهي مذبوحة في شقتها وفشلت جهود رجال المباحث في الوصول لحقيقة مرتكبي الحادث، خاصة أن سلوى حبيب كانت نموذجاً أقرب لنموذج الدكتور جمال حمدان فيما يتعلق بالعزلة وقلة عدد المترددين عليها وحاول الكثيرون التنحي بقضية قتلها جانباً وإدخالها في إطار الجرائم الأخلاقية، وهو ما نفاه البوليس المصري، ليظل لغز وفاتها محيراً، خاصة أنها بعيدة عن أي خصومات شخصية وأيضاً لم يكن قتلها، بهدف السرقة ولكن إذا رجعنا لأرشيفها العلمي سنجد ما لا يقل عن ثلاثين دراسة في التدخل الصهيوني في دول أفريقيا على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبشهادة الجميع كانت هذه النقطة من الدراسة ملعبها لا يباريها أحد فيه .. الأمر الذي يجعلنا ويجعل الجميع يشير بإصبع الاتهام إلى "إسرائيل" ودورها في قتلها.. وخصوصاً عندما اثبتت تحريات الشرطة وجود اثنين من رجال الموساد قبل الحادث بيوم ودخولهم البلاد باسماء مستعاره.

***

الثامن

حنظله والصهاينة

ناجى العلى



احذروا "ناجي" فالكون عنده أصغر من فلسطين، وفلسطين عنده هي المخيم، إنه لا يأخذ المخيم إلى العالم، ولكنه يأسر العالم في مخيم فلسطين.. ناجي لا يقول ذلك، ناجي يقطر، ويدمر، ويفجر لا ينتقم بقدر ما يشك، ودائمًا يتصبب أعداء، وليس فلسطينيو "ناجي" بالوراثة وحدها، كل الفقراء في عالم ناجي فلسطينيون، والمظلومون والمسحوقون والمحاصرون والمستقبل والثورة.. كلهم فلسطينيون.. هكذا خرجت كلمات الشاعر محمود درويش تأتي توصيفاً وملخصا لهذا الرجل.. ناجي..

المولد:

وُلد "ناجي سليم حسين العلي" في قرية الشجرة بفلسطين عام 1936 وخرج منها عام 1948م، بعد الاجتياح الإسرائيلي.. ومن هذا الحين لم يعرف الاستقرار أبداً، فبعد أن مكث مع أسرته في مخيم "عين الحلوة" بلبنان، وتعلم في مدرسة "اتحاد الكنائس المسيحية" حتى الإبتدائية، اتجه كعامل بسيط إلى بساتين الحمضيات والزيتون، لكنه وجده عملاً مملاً، وآثر أن يرحل إلى طرابلس ليتعلم مهنة يكتسب منها قوت يومه؛ فالتحق بمدرسة مهنية هناك وتعلم الميكانيكا، ومنها سافر للسعودية ليعمل ميكانيكيًّا لمدة عامين، ولكن هاجس الفن كان يصطرع داخله فعاد إلى لبنان

ليلتحق بأكاديمية لبنانية للرسم، لكنه لم يمكث بها أكثر من شهر بسبب ملاحقة الشرطة له بعد التحاقه بحركة القوميين العرب.

بدأ ولعه بالرسم منذ كان صبيًا صغيرًا.. فقد عشق حصص الرسم في طفولته وشجعه معلمه "أبو ماهر اليماني" على الرسم، وما زالت كلماته عالقة في ذهن ناجي: "... ارسم.. لكن دائمًا عن الوطن"، وظل كذلك بالفعل ونقل رسمه من ورق الكراسات إلى جدران المخيمات ثم جدران السجون والزنزانات فيما بعد.. وأول ظهور لأعمال ناجي كرسام كاريكاتير معترف به كان على يد الصحفي "غسان كنفاني" حينما حضر إلى مخيم عين الحلوة، وشاهد لوحات ناجي فأخذها ونشرها في جريدة الحرية، وكانت أولى لوحاته عبارة عن خيمة تعلو قمتها يد مصممة على التحرير، وفي مجلة "الحرية" العدد (88) تاريخ الإثنين 25 أيلول 1961 وتحت عنوان "ينتظر أن نأتي!" قدم غسان كنفاني ناجي العلي للإعلام.

ويقول ناجي العلي عن هذه الفترة

"المرحوم غسان كنفاني هو الذي اكتشفني وقدمني للإعلام، ففي إحدى زياراته الدورية لمخيم عين الحلوة وقع على ثلاثة رسوم لي وضعها تحت إبطه ومضى، وبعد فترة فوجئت بها منشورة في مجلة الحرية حيث كان يعمل في تلك الفترة؟

لم تصدق عيناي ما رأتا ولا كذلك قلبي الذي أخذ يتراقص فرحًا بهذا الإنجاز الكبير، شعرت بعد ذلك أن غسان كنفاني هو أب من نوع استثنائي خاص.. أب للإبداع يكتشفه ويقدمه ويشجعه على المضي في المغامرة".

ناجي بالكويت

وفي عام 1963 سافر ناجي للكويت ليعمل محررًا ورسامًا ومخرجًا صحفياً ثم تنقل في عمله من جريدة لأخرى فكانت محصلة تجاربه ثرية ما بين (الطليعة الكويتية، السياسة الكويتية، السفير اللبنانية، القبس الكويتية، وأخيرًا القبس الدولية).

وللرسم .. عذاب!

من الصعب أن تعبر عما تموج به نفسك بكلمات على ورق، ولكن الأصعب هو أن تعبر عنه بالرسم؛ فالرسم وتحديدًا الكاريكاتير هو الفن الذي برع وأبدع فيه ناجي

فقد عبّر عما بداخل أي عربي وليس ذاته فقط.. امتازت لوحاته بالسخرية الباكية، مؤمنًا بـأن "شر البلية ما يضحك"، وكانت أقرب ما تكون من العفوية والصدق.. بخلاف هذا امتازت كـل لوحاته بالحس الوطني القومي، فقد نجح ناجي في أن يعبر عـن نفسـه بالرسـم، وأن يجعـل الكاريكاتير سلاحاً ماضياً في المقاومة.. وكأن قدر الأجساد النحيلة أن تحمل همـماً عاليـة فقـد كان لناجي روح قتالية، وهي كـما تتعـدى حـدود جسـده الضـئيل فهـي تتعـدى الانـتماءات الضيقة الحزبية والطائفية؛ فهو يقـول عـن نفسـه: "أي بندقيـة تتوجـه إلى العـدو الإسرائـيلي تمثلني، وما سوى ذلك فلا".. كان يرى أن فن الكاريكاتير وجد للنقد وليس للترفيه.

رغم كثرة أعماله وتعددها (نشر له أكثر من 40 ألف لوحـة بخـلاف مـا مُنـع نشره) فإنهـا أبداً لم تكن تأتيه كيفما اتفق بل كان يعاني كثـيراً أثنـاء عمليـة الإبـداع، ربمـا لأن همـه الـذي حمله في صدره كان كبيرًا، وهذا ما يـفسر تلـك السـعادة الغـامرة التـي تعتريـه حيـنما ينهـي إحدى لوحاته فقد عبر عن ذلك قائلا: "الرسم هو الذي يحقق لي توازني الداخلي وهـو عـزائي، ولكنه يشكل لي عذابًا كذلك".

وهذا الهم والألم الذي يعتصره كل لحظة لم يكن ليغير من روح الطفل التـي يحملهـا بـين جوانحه ويتأمل بها مع إبداعه، ومن طريف ما روي عن ناجي أنه إذا استعصت عليـه فكـرة ناقشها مع أحد أصدقائه حتى تستوي الفكرة في ذهنه.. حتى إذا شرع في الرسم استلقى على بطنه كطفل صغير وبدأ في الرسم، لم تكن لوحات ناجي مجرد خطوط سوداء على ورق أبيض وإنما تميزت جميعها بنكهة ذات مذاق خاص.. خاصة بعد ميلاد "حنظلة" شخصـيته الرئيسـية وبطله الرمزي، ومنهجه البسيط الذي اعتمد فيه على الترميز فحينما يرسم شخصاً مـا متنكـراً متكرشاً فهو يعني السلطة.. أما النحيل رث الملابس فهـو المـواطن المنسـحق المقهـور، أُعجـب كثيراً بلوحات "صلاح جاهين"، و"رجائي"، و"بيار صادق.."، لكنه لم يحاكهم في الرسم.

حنظلة.. سأستمر به بعد موتي

وُلد حنظلة في الكويت عام 1969 في السياسة الكويتية.. ولم يطلب به ناجي الشهرة أو التميز عن باقي الفنانين بقدر ما طلب من حنظلة نفسه أن يكون ضميره اليقظ وقلبه النابض.

رسمه صبياً في العاشرة من عمره واختار أن يكون طفلاً ليعبر عن البراءة والصدق وأسماه بحنظلة كرمز لمرارة الألم، لم يكن حنظلة شخصية ثابتة غير نامية، وإنما كان شخصية حية نابضة تختلف مواقفها حسب سياق الواقع من حولها ففي بداياته قدمه ناجي صبيًّا فتيًّا مقاتلاً متفاعلاً فتارة يكون شاعرًا وتارة يكون جنديًّا.. وفي مستوى آخر فإنه في الفترة الأخيرة من حياة ناجي قدمه بصورة مغايرة تمامًا وذلك بعد حرب 73 فقد أدار حنظلة ظهره للقراء وتشابكت يداه الصغيرتان معًا خلف ظهره، وسكت عن الكلام ربما ليكون مجرد شاهد وضمير أمة؛ وذلك لأن ناجي كان يرى أن تلك الفترة ستشهد عملية تطويع وتطبيع.

كان ناجي يحب حنظلة وربما توحد معه أو كان معبراً عنه فقد قال عنه بكل فخر: "هذا المخلوق الذي ابتدعته لن ينتهي من بعدي بالتأكيد، وربما لا أبالغ إذا قلت إنني قد أستمر به بعد موتي"، وأعتقد أنه كان له ما أراد...

ناجي.. بين التكريم والتخوين!!

نال ناجي في حياته وبعد مماته تكريماً واحتفاء شديدين فقد أُقيم لناجي معارض عديدة في بيروت ودمشق وعمان والكويت وواشنطن ولندن... بالإضافة إلى أنه فاز بالجائزة الأولى في معرض الكاريكاتير العربي بدمشق (المعرض الأول والثاني) عام 79 و80م، وحصل كذلك في عام 88 على جائزة "قلم الحرية الذهبي" من قبل الاتحاد الدولي لناشري الصحف في باريس؛ فكان أول عربي يحصل على الجائزة، كما اختارته صحيفة "أساهي" اليابانية كواحد من بين أشهر عشرة رسامين للكاريكاتير في العالم. بالإضافة إلى التكريم الذي ناله بعد اغتياله؛ فقد أُقيم مركز ثقافي في بيروت أُطلق عليه "مركز ناجي العلي الثقافي"، كما حمل اسم ناجي العلي اسم مسابقة أقامتها جريدة السفير، كما تسابق الشعراء المجيدون لرثائه، مثل: "نزار

قباني"، "عبد الرحمن الأبنودي"، و"أحمد مطر" في قصيدته ما أصعب الكلام... وغيرهم الكثير.

ولعل ما كان يناله من تكريم هو الذي أيقظ عليه من يكرهونه فحينما أخرج الفنان "عاطف الطيب" فيلمًا عن ناجي العلي قام ببطولته الفنان "نور الشريف"، هاج الكثيرون وماجوا وأعلنوها حرباً شعواء على الرجل ونشروا أعماله الكاريكاتيرية التي يرونها مسيئة إلى العرب وإلى مصر تحديداً.. ورغم أن أعماله اتصفت دوماً بالقسوة، لكنها قسوة الابن على أوضاع أسرته المتردية.. ومَن مِن المثقفين والمناضلين لم يقسُ على بلادنا العربية وهي تتنكر للكفاح والتحرر وتُقبل على التطبيع والخنوع؟

ناجي اغتيل مرتين.. لكن حنظلة لا يزال حيا..



آخر رسم نشر للفنان ناجي العلي يوم اغتياله

كل من تتربص به العيون وتكيد له العقول قد يقاتل مرة واحدة.. إلا أن ناجي اغتيل مرتين الأولى في 22-7-1987 حينما كان ناجي في طريقه للعمل في شوارع لندن حيث كان يعمل في جريدة القبس الدولية.. أطلق عليه النار شخص مجهول الهوية اخترقت الرصاصة صدغه الأيمن لتخرج من الأيسر وفر الجاني هاربًا.. سقط ناجي في بركة من دمائه وفي يده اليمنى مفاتيح سيارته، وتحت إبطه الأيسر رسومات يومه، ذلك الرفيق الذي لم يفارقه يوماً، تاركًا خلفه زوجته "وداد" أخت صديقه الحميم "محمد نصر" وأم أولاده: خالد، أسامة، ليال، جودي.

وظل في غيبوبة بعد أن نُقل للعناية المركزة حتى وافته المنية في 29-8-87، ودُفن في مقابر "بروك وود الإسلامية" بلندن بعدما رفضت السلطات البريطانية نقل جثمانه إلى مخيم عين الحلوة كما وصّى.

والثانية حينما نحت له الفنان "شربل فارس" تمثالاً بالحديد يبلغ طوله 275 سم وعرضه 85 سم جعله "شربل فارس" حاملاً رسومه في يده اليسرى، وشكّل كفه الأيمن على هيئة قبضة قوية تظهر منها العروق بوضوح.. نُقل التمثال إلى مدخل عين الحلوة، ولم يمكث هناك طويلاً فقد تم تفجيره وإطلاق النار على عينه اليسرى، ثم تم حمله، ولم يُعرف مكانه حتى الآن!!

يُذكر أنه في 87/8/17م، تم القبض على "إسماعيل حسن صوان" فلسطيني يعمل بالجيش الأردني ينتمي لمنظمة التحرير الفلسطينية للاشتباه بعلاقته باغتيال ناجي، وحكم عليه بالسجن 11 عامًا، لكن ليس بسبب اغتيال ناجي، لكن بسبب حيازة الأسلحة.

وما زالت الاتهامات تتفاوت ما بين منظمة التحرير الفلسطينية والموساد الإسرائيلي.. وقد يكون كلاهما!!

وبالطبع لم تكن يا ناجي مبالغاً حين قلت: "لا أبالغ إذا قلت إنني قد أستمر به بعد موتي" فقد ظل حنظلة يذوق المرار ونذوقه معه كمدا وأسفا، ولا أدري إن ظل ناجي معنا حتى يومنا هل كان سيكتفي حنظلة بإدارة ظهره وعقد كفيه أم تراه سيتمدد ميتاً من أثر المرار؟

من أقواله

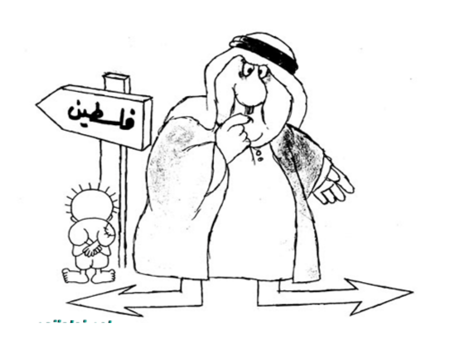
* اللي بِدُو يكتب لفلسطين، واللي بِدُو يرسم لفلسطين، بِدُو يعرف حالو: ميت.
* هكذا أفهم الصراع: أن نصلب قاماتنا كالرماح ولا نتعب.
* الطريق إلى فلسطين ليست بالبعيدة ولا بالقريبة، إنها بمسافة الثورة.
* كلما ذكروا لي الخطوط الحمراء طار صوابي، أنا أعرف خطاً أحمراً واحداً: إنه ليس من حق أكبر رأس أن يوقع على اتفاقية استسلام وتنازل عن فلسطين.
* متهم بالإنحياز، وهي تهمة لاأنفيها، أنا منحاز لمن هم "تحت".

* أن نكون أو لا نكون، التحدي قائم والمسؤولية تاريخية.

رسومات ناجي العلي







التاسع

العالم الذي كاد يحكم فرنسا

د . رمال حسن رمال



حياته

ولد رمّال حسن رمّال في بلدة الدوير الواقعة في جنوب لبنان في 30 أيلول سنة 1951.

عاش في بيروت فترة تحصيله المدرسي قبل أن ينتقل إلى فرنسا في سن الثمانية عشر ليبدأ مشواره العلمي.

حصل سنة 1973 على شهادة الكفاءة في الرياضيات البحتة من جامعة جوزيف فورييه (UJF) في غرونوبل.

في العام التالي نال شهادتي الكفاءة في الفيزياء والكفاءة في الرياضيات التطبيقية من نفس الجامعة.

في عام 1977 حصل على شهادة دكتوراه حلقة ثالثة في الفيزياء قبل أن يتم في العام 1981 الدكتوراه الدولية من جامعة فورييه نفسها.

عمل رمّال في مجال المادّة المكثّفة (matière condensée) والفيزياء الاحصائيّة والنظريّة في مركز البحوث حول درجات الحرارة الشديدة الانخفاض (Centre de Recherches sur Basses Températures les Très) في غرونوبل.

تميُّز أبحاثه وكميّة ونوعيّة مقالاته العلمية خـولاه الحصـول عـلى سـمعة ممتـازة فرنسـيّاً وعالميّاً بالإضافة إلى تكريمه بالعديد من الجوائز والميداليات.

ألقابه، انجازاته وتكريمه

حصل على الميدالية البرونزيـة عـام 1984 والتـي يمنحهـا سـنويّاً المركـز الـوطني للبحـوث العلمية في فرنسا (CNRS) تكريماً لأفضل الباحثين الشباب في بداية مشوارهم العلمي.

أعطته مجلة العلوم والأبحاث الأمريكية في عام 1984 لقب أصغر عالم في جيله.

حصل في عام 1988 على الميدالية الفضيّة من المركز الـوطني للبحـوث العلميّـة في فرنسـا. هذه الجائزة تكرّم الباحثين الشباب الذين ذاع صيتهم عالمياً.

عام 1989 اعتبرته مجلة (Le Point) الفرنسية واحداً من بين مائة شخصية فرنسية مهيّأة لتغيير وجه فرنسا على أبواب عام 2000.

نشر ما يقارب الـ 120 مقـال علمـي في أشـهر المجـلاّت المتخصصـة بـالرغم مـن وفاتـه في ريعان الشباب (40 عاماً).

بعد وفاته منحته الدولة اللبنانية وسام الأرز من رتبة كومودور.

عُقد في غرونوبل مؤتمر علمي بإسمه حيث نشرت فيه أعماله في عدد خاص سنة 1993.

استحدث المجتمـع الفـرنسي الفزيـائي (SFP) ميداليـة بإسـمه تُمـنح كـل عـام للفيزيـائيين المتميزين في حوض المتوسط. استمرت هذه الجائزة من عـام 1993 وحتـى عـام 1999 حيـث توقفت نتيجة الضغوط اللبنانية لعدم منح الجائزة لإسرائيلي.

منذ عام 1999 وحتى يومنا هذا، تخصص الجمعية الأوروبية لتقدم العلـوم والتكنولوجيـا (Euroscience) جائزة سنوية للفيزيائيين المتميّزين في حوض المتوسط تخليداً لإسمه.

وفاته

توفي في 31 أيار 1991 في فرنسا ودفن في مسقط رأسه حيث أُقيم ضريح تخليداً لذكراه. لم تسمح السلطات الفرنسية التي رافقت جثمانه إلى لبنان بالكشف عليه. إلا أن العائلة متمثلة بشقيقه المقيم في فرنسا أكّدت أنّ رمّال كان يعاني مشاكل في القلب وأن الإجهاد تسبب بوفاته وذلك بعد الضغط عليه من قبل السلطات الفرنسية رفيعة المستوى وهذا ما أكده نجله الذي يعمل بهندسة الطيران بإحدي الشركات بفرنسا.

ظروف الحادث

جاءت وفاة العالم المسلم اللبناني الجنسية الدكتور رمال حسن رمال يوم الجمعة 1991/5/31م في فرنسا، في ظروف مريبة حيث حدثت في المختبر ووسط الأبحاث العلمية التي تحدثت عنها فرنسا، كما جاءت الوفاة عقب وفاة عالم مسلم أخر هو الدكتور حسن كامل صباح الذي كان يعمل أيضاً في مجال الفيزياء.

ويعد رمال حسن أحد أهم علماء العصر في مجال فيزياء المواد كما وصفته مجلة لوبوان، التي قالت أيضا إنه مفخرة لفرنسا كما تعتبره دوائر البحث العلمي في باريس السابع من بين مائة شخصية تصنع في فرنسا الملامح العلمية للقرن الحادي والعشرين، وكانت فرنسا قد طلبت من العالم الراحل العمل لديها عقب حصوله على درجة الدكتوراه فوافق على تولي منصب أستاذ في جامعة جرونوبل إضافة إلى عمله كباحث في المركز الوطني للبحوث العلمية الذي يضم خلاصة العقول المفكرة في فرنسا كما تولى مهام مدير قسم الفيزياء الميكانيكية والإحصائية في المركز بعد فوزه بالميدالية الفضية عن أبحاثه حول فيزياء المواد عام 1989م، كما تمكن من التوصل إلى اكتشافات علمية مبهرة في مجال الطاقة.. ومن أبرز إنجازاته العلمية اكتشافاته في مجال الطاقة البديلة باستخدام الطاقة الشمسية والكهرباء الجوية والطاقة الصادرة عن بعض الأجسام الطبيعية ولم يستبعد وجود أصابع خفيه وراء الوفاة التي تتشابه مع وفاة العالم حسن صباح في عدم وجود آثار عضوية مباشرة على الجثتين.

كُتب عنه عدة كتب منها

رمال حسن رمال: العالم اللبناني الذي كاد يحكم فرنسا في هذا الكتاب ترجمة لرجل عظيم من لبنان هو "رمال حسن رمَّال" الذي لم تسعه آفاق بلدته الدّوير، ولا سماء وطنه لبنان، فقرر السفر إلى فرنسا، وتخيّرَ المركز الوطني للبحوث العلمية فيها فجعله ميداناً لعمله وساحة لنشاطاته.

هذا ولم يتوقف نهر عبقريته عند حدود فرنسا وحدها وإنما واصل تدفُّعه واندفاعه حتى عم بلاد العالم كله بخيراته وعطاءاته. سيّما بعد أن تمكن من السيطرة على علوم الرياضة وفروضها وأدخلها مادة هينةً في علوم الفيزياء والطاقة المنخفضة فأوجد بذلك معادلة فريدة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد من العلماء أو المشتغلين بهذه الحقول.

ثم ما لبث أن ملأ الحياة كلها عطاءً وغنىً فكرياً ونشاطاً علمياً واسعاً بما قدمه من محاضرات وندوات ومقالات واكتشافات وأبحاث ستبقى جميعها ساطعة مشرقة على صفحات المجد والخلود.

***

العاشر

عبير عياش



حياتها

هي من مواليد كـرم عصـفور ـ قضـاء عكـار (شـمال لبنـان) في 1973/10/25 وقـد أنهـت دراستها الثانوية في مدرسة البنات الوطنية للروم الأرثـوذكس في مدينـة طـرابلس عـام 1991، ونالت شهادة البكالوريا اللبنانية والفرنسية وحصلت على درجة تفوق.

وكانت تُعفى سنوياً مـن رسـوم التسـجيل والأقسـاط بسـبب تفوقهـا. ومـن ثـم إلتحقـت بجامعـة القـديس يوسـف في بـيروت للتخصـص في الطـب، وكانـت مـن المتفـوقين والمبـدعين باعتراف مدير وأساتذة الجامعة.

وقال نزيه عياش إن شقيقته أعدت أُطروحتها لنيـل الـدكتوراه بعنـوان «عـوارض الذبحـة القلبية»، وهو من المواضيع النادرة في هذا التخصص. وقـد نالـت جـائزة ماليـة وتنويهـاً عـلى ذلك، قدمت بعد ذلك أوراقها لمتابعة اختصاصها ودراساتها العليا في فرنسا بالأمراض الصدرية - السرطان الرئوي.

وكانت من القلائـل الـذين قبلـوا مـن منطقـة الشرق الأوسـط في جامعـة رينيـه ديكـارت بباريس 1998. وقد عملت في أهـم مستشـفيات فرنسـا مثـل أوتيـل ديـو وجـورج بومبيـدو، وكانت تضع نصب عينيها هدفاً هو إكتشاف علاج للأمراض الصدرية الخبيثة، فقامت بابحاث عديدة في مختلف نواحي هذا التخصص.

أبحاث الموت

قال شقيق الدكتورة اللبنانية أن شقيقته كانت على اتصال دائم مع أهلها «وقد أخبرتنا في اتصالها الهاتفي الأخير الذي أجرته معنا في الأول من مايو الجاري، أنها تسعى لإكتشاف علاج جديد لمرض السرطان الرئوي، على أن توضح تفاصيله لنا في حينه. وأخبرتنا أنها تنوي زيارتنا خلال الصيف المقبل، وبدت متفائلة في عملها ودراستها. كما أخبرتنا انها تنوي متابعة أبحاثها في الولايات المتحدة». في حين أشار نزيه عياش إلى أن أهل بيته لم يوفقوا في الحديث مع شقيقته بعد الأول من مايو الجاري حيث راح هاتفها الجوال يرن دون مجيب، أفاد أنه «في الرابع عشر من الشهر الحالي اتصلت بنا وزارة الخارجية اللبنانية لتبلغنا من دون مقدمات أن الدكتورة عبير تعرضت للوفاة نتيجة حادث في السابع من الشهر الجاري، دون أن تقدم أي توضيحات حول أسباب وفاتها. إلا اننا أجرينا اتصالات مع أصدقائها فاخبرونا أنها وجدت مقتولة في غرفتها.

شهود تدلي الوفاة عملية اغتيال

كشفت مصادر مطلعة أن الطبيبة اللبنانية أبلغت بعض زملائها في باريس قبل الاغتيال بأنها قد توصلت إلى تركيب دواء يساهم بفاعلية إلى حد كبير إلى علاج داء الإلتهاب الرئوي الحاد السارس.

وأن هناك من يحاول شراء التركيبة لكنها لم تذكر أسماء أو جهات معلومة وأنها رفضت.

جثمان الطبيبة اللبنانية عبير عياش أقلته طائرة فرنسية إلى بيروت

تسلمت عائلة الطبيبة اللبنانية عبير أحمد عياش، 30 عاماً، جثمانها في مطار بيروت بعدما أقلته طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية من باريس.

وكانت الدكتورة عبير عياش قد وُجدت جثة هامدة داخل شقتها في العاصمة الفرنسية في السابع من الشهر الجاري، إلا أن أقاربها لم يتلقوا نبأ وفاتها الا بعد مرور اسبوع.

وفيما يؤكد عائلة الدكتورة عبير عياش أن الأخيرة قُتلت ويعزون ذلك إلى تفوقها في الابحاث الطبية التي كانت تجريها وإلى قرب توصلها إلى اكتشاف علاج الإلتهاب الرئوي، بالإضافة إلى وقوف «مافيا» معادية لتوصل طبيبة عربية لتحقيق هذا الإنجاز.

عائلة الطبيبة اللبنانية عياش تتمسك برواية القتل

تؤكد عائلة الطبيبة اللبنانية عبير أحمد عياش (30عاما) أن ابنتها قتلت على يد مجهولين في العاصمة الفرنسية باريس حيث تقطن بهدف العمل ومتابعة الدراسة، وترجح العائلة أن سبب القتل عائد إلى اكتشافها علاجاً جديداً للأمراض الصدرية الخبيثة كانت تنوي الإعلان عنه في وقت قريب.

وفي الوقت الذي تعبّر فيه العائلة عن غضبها الشديد حيال نقابة الأطباء في طرابلس التي لم تحرك ساكناً إزاء هذا الموضوع، تأخذ على وزارة الخارجية اللبنانية أسلوبها في تبليغها خبر الوفاة من دون مقدمات، ومن دون أية توضيحات حول الأسباب، ما جعل العائلة تدور في فلك من الشكوك والشائعات.

وقال أخوها: كانت شقيقتي متفوقة في علومها، وقد أخبرتنا مؤخرا أنها تسعى لإكتشاف علاج جديد للأمراض الصدرية الخبيثة، وأنها ستوضح تفاصيله لنا في حينه، وأخبرتنا أنها تنوي زيارة لبنان في الصيف المقبل وبدت متفائلة في عملها ودراستها، كما أخبرتنا أنها تنوي متابعة أبحاثها في أمريكا، وكان هذا الاتصال في أوائل شهر أيار. بعد هذا التاريخ حاولنا جاهدين الاتصال بها لكن من دون جدوى، وكان هاتفها الخلوي يرن دون أن يجيب أحد، وفي 14 أيار الحالي وردنا اتصال من وزارة الخارجية اللبنانية تبلغنا فيه ومن دون مقدمات بوفاتها بعد تعرضها لحادث، دون ذكر أية توضيحات، فسارعنا إلى إجراء اتصالات بأصدقائها فأخبرونا أنها وجدت مقتولة في غرفتها.

***

الحادي عشر

الدكتور سمير نجيب عالم ذرة مصري

يعتبر العالم سمير نجيب عالم الذرة المصري من طليعة الجيل الشاب من علماء الذرة العرب، فقد تخرج من كلية العلوم بجامعة القاهرة في سن مبكرة، وتابع أبحاثه العلمية في الذرة. ولكفاءته العلمية المميزة تم ترشيحه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة، وعمل تحت إشراف أساتذة الطبيعة النووية والفيزياء وسنه لم يتجاوز الثالثة والثلاثين، وأظهر نبوغاً مميزاً وعبقرية كبيرة خلال بحثه الذي أعده في أواسط الستينات -خلال بعثته إلى أمريكا- لدرجة أنه فرغ من إعداد رسالته قبل الموعد المحدد بعام كامل.

وتصادف أن أعلنت جامعة "ديترويت" الأمريكية عن مسابقة للحصول على وظيفة أستاذ مساعد بها في علم الطبيعة، وتقدم لهذه المسابقة أكثر من مائتي عالم ذرة من مختلف الجنسيات، وفاز بها الدكتور سمير نجيب، وحصل على وظيفة أستاذ مساعد بالجامعة، وبدأ أبحاثه الدراسية التي حازت على إعجاب الكثير من الأمريكيين، وأثارت قلق الصهاينة والمجموعات الموالية للصهيونية في أمريكا. وكالعادة بدأت تنهال على الدكتور العروض المادية لتطوير أبحاثه، ولكنه خاصة بعد حرب يونيو 1967 شعر أن بلده ووطنه في حاجه إليه. وصمم العالم على العودة إلى مصر وحجز مقعداً على الطائرة المتجهة إلى القاهرة يوم 1967/8/13.

وما أن أعلن د. سمير عن سفره حتى تقدمت إليه جهات أمريكية كثيرة تطلب منه عدم السفر، وعُرضتْ عليه الإغراءات العلمية والمادية المتعددة كي يبقى في الولايات المتحدة. ولكن الدكتور سمير نجيب رفض كل الإغراءات التي عُرضتْ عليه. وفي الليلة المحددة لعودته إلى مصر، تحركت القوى المعادية لمصر والأمة العربية، هذه القوى التي آلت على نفسها أن تُدمر كل بنية علمية عربية متطورة مهما كانت الدوافع ومهما كانت النتائج. وفي مدينة ديترويت وبينما كان الدكتور سمير يقود سيارته والآمال الكبيرة تدور في عقله ورأسه، يحلم بالعودة الي وطنه لتقديم جهده وأبحاثه ودراساته على المسؤولين، ثم يرى عائلته بعد غياب.

وفي الطريق العام فوجئ الدكتور سمير نجيب بسيارة نقـل ضـخمة، ظـن في البدايـة أنهـا تسير في الطريق شأن باقي السيارات. حاول قطع الشك باليقين فـانحرف إلى جـانبي الطريـق لكنه وجد أن السيارة تتعقبه. وفي لحظة مأساوية أسرعت سيارة النقل ثم زادت مـن سرعتهـا واصطدمت بسيارة الدكتور الذي تحطمت سيارته ولقى مصرعه على الفور، وانطلقـت سـيارة النقل بسائقها واختفت، وقُيّد الحادث ضد مجهـول، وفقـدت الأمـة العربيـة عالمـاً كبـيراً مـن الممكن أن يعطي بلده وأمته الكثير في مجال الذرة.

***

الثاني عشر

العالم/ عبده شكر

30 أكتوبر 2007

نبأ العثور على جثة عالم نووى مصري بشقته بالأسكندرية



مولده

ولد محمد عبد العال شكر في محافظة الغربية عام 1953/1/8.

حاصل على ثلاث درجات في دكتوراه الهندسة النووية، وقد حضر إلى البلاد في أغسطس الماضي، لكنه اختفى عقب زيارته بوقت قليل ولم يظهر له أثر حتى قام جيرانه بالإبلاغ عن وجود رائحة كريهة داخل مسكنه.

وقامت أجهزة الشرطة بعد استئذان النيابة بفتح المسكن وعثرت على جثة العالم متحللة نظراً لمرور أكثر من شهرين على الوفاة، وبدأت التحريات حول إذا ما كانت الوفاة طبيعية أم لا.

ورغم أن اسم الدكتور عبده شكر غير متداول في الأوساط العلمية المصرية أو المؤتمرات الدولية، إلا أن هناك عدداً كبيراً من العلماء المصريين في الولايات المتحدة، وأوروبا غير معروفين في الأوساط الإعلامية أو البحثية نظراً لظروف السرية التي تحيط بأنشطتهم.

وقد صرح الدكتور عصمت زين الدين مؤسس قسم الطبيعة النووية بكلية الهندسة - جامعة الإسكندرية بأن الراحل كانت حياته غامضة وغير معروف بين زملائه حيث لم يكن يعمل في مؤسسة علمية معروفة وقد تخرج في السبعينيات وسافر إلى الخارج.

تساؤلات برلمانية عن ملابسات وفاة العالم النووي عبده شكر

تقدم صبحي صالح وعباس عبدالعزيز (عضوا الكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين) بمصر بسؤالين عاجلين إلى كل من رئيس الوزراء ووزراء الداخلية والخارجية والعدل بسرعة الكشف عن الأسباب الحقيقية لوفاة باحث مصري متخصص في المجال النووي.

كان مصدر أمني مصري قد كشف عن العثور على جثة الباحث النووي المصري عبده شكر في شقته بمدينة الإسكندرية بمنطقة سان ستيفانو وهو ما أعاد إلى الأذهان استهداف العلماء المصريين في مجال الطاقة النووية. وشدد النائبان على ضرورة سرعة اتخاذ التدابير العاجلة للوصول إلى نتيجة يقتنع بها الشارع المصري الذي قال النائب عنه: إن "هذه الواقعة أعادت إلى أذهانه مسلسل اغتيالات علماء الذرة المصريين من أمثال: يحيى المشد وسميرة موسى وسعيد السيد بدير".

كان عبده قد عاد هذا العام من الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على درجة الدكتوراه في مجال الطاقة النووية، وتُشير التحقيقات الأولية إلى أن الوفاة طبيعية، وان أحد وكلاء النائب العام بنيابة الرمل بالإسكندرية استمع لشقيق المتوفى، وأكد أن الوفاة حدثت نتيجة أزمة قلبية، حيث أن شقيقة يعاني من مشاكل صحية متنوعة.. وتساءل النائبان عن علاقة الوفاة بالمشروع المصري النووي، بقولهما "هل ما حدث للعالم النووي له علاقة بالإعلان عن المشروع النووي لمصر أم هو استمرار لمسلسل اغتيال العلماء الذي يتعرض له من الحين إلى الحين العلماء المصريون كما تسائلا عن صحة ما تردد من أن العالم النووي اشتكى من مضايقات عديدة له في الولايات المتحدة الأمريكية قبل مجيئه لمصر. وتلقي هذه الواقعة بظلالها على اهتمام إسرائيل بالبرنامج النووي المصري، وكان النائب العام قد صرح في أبريل الماضي بأن (إسرائيل) جندت باحثاً مصرياً في مجال الطاقة النووية يدعى محمد سيد صابر،

وحكم عليه بالسجن 25عاماً في اغسطس الماضي. وطبقاً لأقوال صابر في تحقيقات نيابة أمن الدولة فان اثنين من علماء الموساد طلبا منه كتابة تقارير عن العلماء النوويين المصريين، والأبحاث العلمية التي تقوم بها الجامعات المصرية في مجال الطاقة النووية.

استبعدت التحريات الأمنية وتقرير الطب الشرعي في حادث وفاة عالم الذرة المصري عبده شكر الذي عُثر على جثته في شقته بسان ستيفانو بمدينة الإسكندرية الساحلية يوم الثلاثاء وجود دوافع جنائية أو ضلوع جهة أجنبية في اغتياله، وأظهرت أن وفاته كانت طبيعية بسب إصابته بأزمة قلبية حيث كان مريضًا بارتفاع ضغط الدم وارتفاع الكولسترول.

وأكد أشقاء الباحث المصري الذي توفي منذ قرابة شهرين في التحقيقات أنه كان يعاني من حالة اكتئاب مزمنة وشرود ذهني. وأضاف أشقاؤه وهم يعملون في التجارة بمنطقة باكوس أنهم لم يزوروه منذ 10 أغسطس الماضي، ولم يوجهوا التهمة لأي شخص أو جهة بالوقوف وراء وفاته.

وقد أظهرت تقارير طبية وجدت بشقته، أنه كان يعاني من ارتفاع حاد في ضغط الدم وارتفاع نسبة الكولسترول والدهون. وقد أمرت النيابة بدفن الجثة.

وكان أحد أشقائه ويدعى عبد العال شكر قد توجه مساء الثلاثاء لزيارتهُ والاطمئنان عليه نظراً لانقطاعه عن الاتصال بهم طوال الفترة الماضية لكنه لم يجب على نداءاتهم عليه مما اضطره إلى كسر الباب فوجد جثته متحللة في صالة الشقة.

وذكرت مصادر أمنية لـ "المصريون" أن العالم المذكور كان يعمل في مجال الأبحاث النووية في الولايات المتحدة منذ 20 عامًا، بعد حصوله على شهادة دكتوراه في الهندسة النووية من إحدى الجامعات الأمريكية، قبل أن يعود إلى مصر في شهر رمضان قبل الماضي، حيث كان يعاني من اضطرابات فكرية وحالة انطواء ويقيم بمفرده في شقته التي عثر على جثته بها.

وأضافت المصادر أن الباحث الراحل كان قد أرسل لأخوته منذ عدة أعوام مبلغًا من المال لشراء شقة له، وأودع مبلغ 300 ألف جنيه في أحد البنوك عقب ذلك، وبعد عودته من الولايات المتحدة طلب من أخوته عدم زيارته إلا بناء على طلب منه.

وأشارت التحريات إلى أنه كان قليل الخروج من شقته حيث لم يكن يخرج سوى لشراء احتيجاته كما كان يرفض أن يقضي له بواب العمارة التي يقطن بها مشترياته من السوق، كما كان يتردد على الجامعة الأمريكية بالقاهرة لاستكمال بعض الدراسات والأبحاث.

وقد ساعد على عدم اكتشاف وفاته طيلة شهرين عدم انبعاث رائحة جثته المتحللة، بعد أن اكتشفت المباحث أن باب الشرفة المطل على البحر وأحد النوافذ الموازية له كانا مفتوحين مما ولدا تياراً من الهواء جعل رائحة التعفن بعيدة، نظراً لأنه كان يسكن بأحد الأدوار العليا.

كما أظهرت معاينة المعمل الجنائي عدم اختفاء أي من محتويات الشقة أو وجود أي عبث في محتوياتها أيضاً، كما لم يلاحظ الطب الشرعي وجود أي أثار على الجثة تشير إلى شبهة جنائية.

وكانت وفاة باحث الذرة المصري قد صاحبتها شائعات قوية حول اغتياله على أيدي جهات خارجية في ضوء حوادث وفاة غامضة لأكثر من عالم مصري متخصص في المجال الذري والنووي.

***

الثالث عشر

العالم د. نبيل القليني

خرج ولم يعد



قصة هذا العالم غاية في الغرابة، فقد اختفى منذ عام 1975 وحتى الآن، كان هذا العالم قد أوفدته كلية العلوم في جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بعمل المزيد من الأبحاث والدراسات في الذرة. وقد كشفت الأبحاث العلمية الذرية التي قام بها عن عبقرية علمية كبيرة تحدثت عنها جميع الصحف التشيكية. ثم حصل على الدكتوراه في الذرة من جامعة براغ. وفي صباح يوم الاثنين الموافق 1975/1/27 دق جرس الهاتف في الشقة التي كان يقيم فيها الدكتور القليني، وبعد المكالمة خرج الدكتور ولم يعد حتى الآن.

ولما انقطعت اتصالات الدكتور مع كلية العلوم بجامعة القاهرة، أرسلت الكلية إلى الجامعة التشيكية تستفسر عن مصير الدكتور نبيل الذي كان بعبقريته حديث الصحافة التشيكية والأوساط العلمية العالمية، ولم ترد الجامعة التشيكية، وبعد عدة رسائل ملحه من كلية العلوم بجامعة القاهرة، ذكرت السلطات التشيكية أن العالم الدكتور القليني خرج من بيته بعد مكالمة هاتفية ولم يعد.

والغريب أن الجامعة التشيكية علمت بنبأ الاتصال الهاتفي، فمن أين علمت به؟ وهل اتصلت بالشرطة التشيكية؟ فإذا كانت الشرطة أخبرت إدارة الجامعة التشيكية، فمن أين عرفت الشرطة؟ ولكن الأغرب أن السلطات المصرية (عام 1975) لم تحقق في هذه الجريمة. ومن ثوابت ووقائع الإختفاء فإننا نرجح أن الدكتور تم

استدراجه إلى كمين من قبل الموساد، بعدها إما أن يكون قتل أو تعرض لما يسمى بغسيل الدماغ بما يحقق تعطيل كل ما في عقله من دراسات علمية متطورة، وإما أن يكون في أحد السجون الغربية أو الإسرائيلية، وإما أن يكون قد تم مبادلته ببعض الجواسيس الإسرائيليين في مصر بعد توقيع معاهدة "كامب ديفيد".

***

الرابع عشر

العالم د. نبيل أحمد فليفل

جثة بعد الاختفاء

نبيل أحمد فليفل عالم ذرة عربي شاب، استطاع دراسة الطبيعة النووية، وأصبح عالماً في الذرة وهو في الثلاثين من عمره، وكان ينوي الاستمرار في دراسة مادة القرن الواحد والعشرين، وتمكن من القيام بدراساته كاملة، وكان -رحمه الله- يلتهم كل ما تقع علية يده من كتب الذرة. وعلى الرغم من أنه كان من مخيم "الأمعري" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد رفض كل العروض التي انهالت عليه -وفي الخفاء وعن طريق الوسطاء- للعمل في الخارج، وكان يشعر أنه سيخدم وطنه بأبحاثه ودراساته العالمية. وفجأة اختفى الدكتور نبيل، ثم في يوم السبت الموافق 1984/4/28 عثر على جثته في منطقة "بيت عور"، ولم يتم التحقيق في شيء.

***

الخامس عشر

سعيد السيد بدير

نابغة العلوم



من هو

سعيد السيد بدير عـالم مصري تخصـص في مجـال الاتصـال بـالأقمار الصـناعية والمركبـات الفضائية خارج الغلاف الجوي من مواليد روض الفرج بالقاهرة في 4 يناير 1944 وتـوفي في 14 يوليو 1989 بالإسكندرية في واقعة يصفها الكثيرون أنها عملية قتل متعمدة. وهو ابن الممثـل المصري السيد بدير.

تخرج في الكلية الفنية العسكرية وعين ضابطاً في القوات المسلحة المصرية حتى وصـل إلى رتبة عقيد طيار وأحيل إلى التقاعد برتبة عميد طيار بالمعاش بناء عـلى طلبـه بعـد أن حصـل على درجة الدكتوراة من إنجلترا ثم عمل في أبحاث الأقمار الصناعية في جامعة ألمانية وتعاقـد معها لإجراء أبحاثه طوال عامين، وكان مجال الدكتور سعيد يتلخص في أمرين:

1- التحكم في المدة الزمنية منذ بـدء إطـلاق القمـر الصـناعي إلى الفضـاء ومـدى المـدة المستغرقة لانفصال الصاروخ عن القمر الصناعي.

2- التحكم في المعلومات المرسلة من القمر الصناعى إلى مركز المعلومات في الأرض سواء أكان قمر تجسس أو قمراً استكشافياً.

الحكاية

في 13 يوليو عام 1989 تلقى قسم شرق بالإسكندرية بلاغاً عن سقوط شخص من أعلى عمارة فى شارع طيبة بكامب شيزار على الأرض.

صوِّرت القضية على أنها محاولة إنتحار، خصوصاً بعدماً اكتشف المحققون قطعاً بالوريد وتسريباً للغاز على نحو يوحى بأن المنتحر كان مصمماً على التخلص من حياته إما بالغاز أو القفز من شقته.

لكن القضية عرفت مساراً آخر عندما اكتشف الجميع أن المقتول هو الدكتور سعيد بدير، الذى سارعت زوجته إلى اتهام أجهزة المخابرات الإسرائيلية والأمريكية بقتله، إستناداً إلى معرفتها بشخصية زوجها الراحل والتى قالت (سعيد لا ينتحر أبداً)..

تقول زوجته في تحقيقات النيابة (إن ما حدث لزوجي ليس انتحار بل اغتيال وأنا متأكده من هذا، ويرجع ذلك إلى أنه كان يعد بحث خطير يستطيع من خلاله كشف شفرات الاتصالات بين سفن الفضاء والأقمار الصناعية في الاجواء. وكان يقول لي دائماً خلال وجودي معه في المانيا حيث كان يعمل لقد توصلت إلى نتائج في أبحاثي لن يصل إليها الألمان قبل عشرسنوات، وكنا نعيش حالة من الهلع الشديد.. خلال الفترة الأخيرة تعرض سعيد لمضيقات متعددة من علماء آخرين معه في ألمانيا بسبب نبوغه، ونتيجة لذلك كان من المنتظر إنتهاء عقد عمله مع جامعة ديسبروغ في 31 ديسمبر القادم لكنه قرر إنهاء العقد في 30 يونيو بعد التشاور مع رئيسه في العمل البروفيسور انجوفولف وقبيل ذلك بفترة كان قرر عودتي مع الأولاد (محمد 6سنوات، وأحمد 5 سنوات).

وبعد عودته روى لي سعيد أن عدداً من رجال الأمن والمخابرات الأجنبية حاولوا منعه من صعود الطائرة المصرية التي استقلها فى طريق عودته إلى مصر دون مبرر قانوني ولم ينقذه من أيديهم سوى قائد الطائرة الذي زجرهم بشدة مؤكداً أن الطائرة جزء من الأراضي المصرية ولا يجوز بالتالي إنتهاك سيادته أو خطف أحداً من ركابه.

كما تؤكد زوجته أنهم تعرضُوا في الشهور الأخيرة بألمانيا لترهيب كثير بعد رفض سعيد تخصيص أبحاثه لصالح بعض الجهات الأجنبية.

سعيد هو نجل الفنان الراحل سيد بدير، وهو رجل عسكرى تقاعد برتبة عقيد بناءاً على طلبه بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه من إنجلترا ، ثم عمل في أبحاث الأقمار الصناعية فى جامعة ليبزخ الألمانية الغربية، وتعاقد معها لإجراء أبحاثه طوال عامين.



وهناك واصل أبحاثه، حيث صُنِّف رقم (3) من بين (11) عالماً على مستوى العالم في الميكرويف، حيث بدأ بإجراء تجارب علمية على مشروع بإسم 254، وهو عبارة عن مشروع خاص بالهوائيات والإتصال بالفضاء وإمكانية التشويش على سفن الفضاء الأمريكية.

وبعد ما رفض عرضاً من وكالة ناسا الأمريكية للعمل فيها مقابل الحصول على الجنسية الأمريكية ووضع مالي محترم، شعر بأن حياته وحياة أسرته باتت في خطر، وكتب رسالة إلى الرئيس حسنى مبارك يطلب حمايته قبل أن يقرر العودة إلى مصر.

الحقيقة الحاضرة

ليس من المعقول أن ينتحر المرء بثلاثة وسائل دفعة واحدة كما أُشيع عن العالم سعيد بدير.. فقد أُشيع انه فتح أنبوبة البوتاجاز، وبعد ذلك قطع شرايين يده، وأخيراً قفز من الطابق الثالث من العمارة رقم 20 بشارع طيبة – الإسكندرية.

وكيف ينتحر وهو قد ذهب إلى الإسكندرية ليعد العدة للسفر إلى سنغافورة التي تعاقدت معه على العمل مقابل 144 ألف دولار خلاف المسكن والأثاث والسيارة والحماية الأمنية له ولاسرته.

الإجابة معروفة وهي أن الدكتور سعيد السيد بدير أُغتيل حتي لا تخرج أبحاثه للعالم العربي.

فقرات من اخر خطاب كتبه بخط يده وارسله للسلطة المصرية

- كنت أحس دائماً بمن يراقبني أو يتابعني في معظم الأحيان.
- ليست لي أية علاقات اجتماعية أو غير اجتماعية بأي ألماني أو عربي أو مصري في ألمانيا غير الاتصال ببعض الزملاء المصريين للإطمئنان ومعرفة الأخبار.
- لا أذهب إلى أي بارات ولا أُدخن ولا أتعاطي شيئاً غير الأكل ولا أغادر منزلي بعد السادسة مساء.
- لم يحدث أن ارتكبت اي مخالفة (حتي عبور المشاة) طوال الفترة التي قضيتها في ألمانيا.
- لا أذهب إلى أي من المساجد والتي يتم فيها بعض النشاطات تحت ستار الدين.
- حاولت بعض أجهزة الإستخبارات الألمانية الغربية أخذ معلومات مني عن القوات الجوية المصرية.
- زادت التهديدات ضدى عندما عزمت العودة إلى مصر.

هذا ما ذكره بتلخيص شديد العالم سعيد سيد بدير.

رحم الله سعيد سيد بدير العالم المصري.

***

استثناء من أجل الجيل الجديد

الشهيد مصطفي حافظ

أخطر رجال المخابرات المصرية في إسرائيل



في صباح يوم 13 يوليو من عام 1956 نشرت صحيفة الأهرام خبراً عابراً يقول: قُتل العقيد مصطفى حافظ نتيجة ارتطام سيارته بلغم في قطاع غزة، وقد نقل جثمانه إلى العريش ومن هناك نقل جواً إلى القاهرة على الفور، ولم ينس الخبر أن يذكر أنه كان من أبطال حرب فلسطين وقاتل من أجل تحريرها.. وكان أول رجل يزرع الرعب في قلب اسرائيل.

ومصطفى حافظ رجل مصري من مدينة الإسكندرية التي يحمل أحد ميادينها أسمه الآن، كما أن له نصبا تذكاريا في غزة قبل أن يقوم الإسرائيليون في تحطيمه عندما احتلوها بعد هزيمة يونيو 1967.

كان (مصطفى حافظ) مسؤولاً عن تدريب الفدائيين وإرسالهم داخل إسرائيل كما أنه كان مسؤولاً عن تجنيد العملاء لمعرفة ما يجري بين صفوف العدو ووراء خطوطه، فقد كان (مصطفى حافظ) بإعتراف الإسرائيليين من أفضل العقول المصرية، وهو ما جعله يحظى بثقة الرئيس جمال عبد الناصر فمنحه أكثر من رتبة استثنائية حتى أصبح عميداً وعمره لا يزيد على 34 سنة، كما أنه أصبح الرجل القوي في غزة التي كانت تابعة للإدارة المصرية بعد تقسيم فلسطين في عام 1947.

وبرغم السنوات الطويلة التي قضاها مصطفى حافظ في محاربة الإسرائيليين إلا أنه لم يستطع رجل واحد في كافة أجهزة المخابرات الإسرائيلية أن يلتقط له صورة من قريب أو من بعيد، لكن برغم ذلك سجل الإسرائيليون في تحقيقاتهم مع الفدائيين الذين قبضوا عليهم أنه رجل لطيف يثير الاهتمام والاحترام ومخيف في مظهره وشخصيته.

وكانت هناك روايات أسطورية عن هروبه الجريء من معتقل أسرى إسرائيلي أثناء حرب 1948، وقد عُين في منصبه في عام 1949 وكانت مهمته إدارة كافة عمليات التجسس داخل إسرائيل والاستخبارات المضادة داخل قطاع غزة والإشراف على السكان الفلسطينيين، وفي عام 1955 أصبح مسئولاً عن كتيبة الفدائيين في مواجهة الوحدة رقم 101 التي شكلها في تلك الأيام أريل شارون للإغارة على القرى الفلسطينية والإنتقام من عمليات الفدائيين ورفع معنويات السكان والجنود الإسرائيليين، وقد فشل شارون فشلاً ذريعاً في النيل منه ومن رجاله وهو ما جعل مسئولية التخلص منه تنتقل إلى المخابرات الإسرائيلية بكافة فروعها وتخصُصاتها السرية والعسكرية.

كان هناك خمسة رجال هم عتاة المخابرات الإسرائيلية في ذلك الوقت عليهم التخلص من مصطفى حافظ على رأسهم (ر) الذي كون شبكة التجسس في مصر المعروفة بشبكة "لافون" والتي قبض عليها في عام 1954 وكانت السبب المباشر وراء الإسراع بتكوين جهاز المخابرات العامة في مصر.

وإلى جانب (ر) كان هناك ضابط مخابرات إسرائيلي ثان يسمى "أبو نيسان" وأضيف لهما "أبو سليم" و"اساف" و"أهارون" وهم رغم هذه الأسماء الحركية من أكثر ضباط الموساد خبرة بالعرب وبطباعهم وعاداتهم وردود أفعالهم السياسية والنفسية.

ويعترف هؤلاء الضباط الخمسة بأنهم كانوا يعانون من توبيخ رئيس الوزراء في ذلك الوقت ديفيد بن غوريون أول رئيس حكومة في إسرائيل والرجل القوي في تاريخها، وكانت قيادة الأركان التي وضعت تحت سيطرة موشى ديان أشهر وزراء الدفاع في إسرائيل فيما بعد في حالة من التوتر الشديد.. وكان من السهل على حد قول ضباط المخابرات الخمسة التحدث إلى يهوه (الله) باللغة العبرية في السماء عن التحدث مع

موشى ديان خاصة عندما يكون الحديث عن براعة مصطفى حافظ في تنفيذ عملياته داخل إسرائيل ورجوع رجاله سالمين إلى غزة وقد خلفوا وراءهم فزعاً ورعباً ورغبة متزايدة في الهجرة منها.

وكان الحل الوحيد أمام الأجهزة الإسرائيلية هو التخلص من مصطفى حافظ مهما كان الثمن.

ووضعت الفكرة موضع التنفيذ وتم رصد للعملية مليون دولار، وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الزمن، فشبكة "لافون" مثلاً لم تتكلف أكثر من 10 آلاف دولار، وعملية اغتيال المبعوث الدولي إلى فلسطين اللورد برنادوت في شوارع القدس لم تتكلف أكثر من 300 دولار.

وكانت خطة الاغتيال هي تصفية مصطفى حافظ بعبوة ناسفة تصل إليه بصورة أو بأخرى، لقد استبعدوا طريقة إطلاق الرصاص عليه، واستبعدوا عملية كوماندوز تقليدية، فقد فشلت مثل هذه الطرق في حالات أخرى من قبل، وأصبح السؤال هو: كيف يمكن إرسال ذلك "الشيء" الذي سيقتله ؟.

في البداية فكروا في إرسال طرد بريدي من غزة لكن هذه الفكرة أسُقطت إذ لم يكن من المعقول أن يتم إرسال طرد بريدي من غزة إلى غزة، كما اسُتبعدت أيضاً فكرة إرسال سلة فواكه كهدية إذ ربما ذاقها شخص آخر قبل مصطفى حافظ.

وأخيرا وبعد استبعاد عدة أفكار أخرى بقيت فكرة واحدة واضحة هي: يجب أن يكون "الشيء" المرسل مثيرا ًجداً للفضول ومهماً جداً لمصطفى حافظ في نفس الوقت كي يجعله يتعامل معه شخصياً، شيء يدخل ويصل إليه مخترقاً طوق الحماية الصارمة الذي ينسجه حول نفسه.

وبدأت الخطة تتبلور نحو التنفيذ، إرسال ذلك "الشيء" عن طريق عميل مزدوج وهو عميل موجود بالفعل ويعمل مع الطرفين، إنه رجل بدوي في الخامسة والعشرين من عمره يصفه "أبو نيسان" بأنه نموذج للخداع والمكر، كان هذا الرجل يدعى "طلالقة".

لم يكن يعرف على حد قول ضابط الموساد أن مستخدميه من الإسرائيليين.

وبعد أن استقر الأمر على إرسال (الشيء) الذي سيقتل مصطفى حافظ بواسطة (طلالقة) بدأ التفكير في مضمون هذا الشيء، واستقر الرأي على أن يكون طرداً بريدياً يبدو وكأنه يحتوي على (شئ مهم) وهو في الحقيقة يحتوي على عبوة ناسفة.. ولم يُرسل الطرد باسم مصطفى حافظ وإنما أرسل باسم شخصية سياسية معروفة في غزة وهو بالقطع ما سيثير (طلالقة) فيأخذه على الفور إلى مصطفى حافظ الذي لن يتردد فضوله في كشف ما فيه لمعرفة علاقة هذه الشخصية بالإسرائيليين، وفي هذه اللحظة يحدث ما يخطط له الإسرائيليون وينفجر الطرد في الهدف المحدد.

وتم اختيار قائد شرطة غزة (لطفي العكاوي) ليكون الشخصية المثيرة للفضول التي سيرسل الطرد باسمها، وحتى تحبك الخطة أكثر كان على الإسرائيليين أن يُسربوا إلى (طلالقة) أن (لطفي العكاوي) يعمل معهم بواسطة جهاز اتصال يعمل بالشيفرة، ولأسباب أمنية ستتغير الشيفرة، أما الشيفرة الجديدة فهي موجودة في الكتاب الموجود في الطرد المرسل إليه والذي سيحمله (طلالقة) بنفسه.

وأشرف على تجهيز الطرد (ج) عضو (الكيبوتس) في المنطقة الوسطى، وقد اكتسب شهرة كبيرة في أعداد الطرود المفخخه وكان ينتمي إلى منظمة إرهابية تسمى (أيستيل) كانت هي ومنظمة إرهابية أخرى اسمها (ليحي) تتخصصان في إرسال الطرود المفخخه إلى ضباط الجيش البريطاني أثناء احتلاله فلسطين لطردهم بعيداً عنها.

وأصبح الطرد جاهزا وقرار العملية مصدق عليه ولم يبق سوى التنفيذ، وتم نقل الطرد الي القاعدة الجنوبية في بئر سبع وأصبح مسئولية رئيس القاعدة "أبو نيسان" الذي يقول: "طيلة اليوم عندما كنا جالسين مع (طلالقة) حاولنا إقناعه بأننا محتارون في أمره، قلنا أن لدنيا مهمة بالغة الأهمية لكننا غير واثقين ومتأكدين من قدرته على القيام بها، وهكذا شعرنا بأن الرجل مستفز تماماً، عندئذ قلنا له: حسنا رغم كل شيء قررنا تكليفك بهذه المهمة، اسمع يوجد رجل مهم جداً في قطاع غزة هو عميل لنا ها هو الكارت الشخصي الخاص به وها هو نصف جنيه مصري علامة الإطمئنان إلينا وإلى كل من نرسله إليه والنصف الآخر معه أما العبارة التي نتعامل بها معه فهي عبارة:

(أخوك يسلم عليك)! .. ويتابع ضابط المخابرات الإسرائيلي: كنا نواجه مشكلة نفسية كيف نمنع طلالقة من فتح الطرد قبل أن يصل إلى الهدف؟ وللتغلب على هذه المشكلة أرسلنا أحد الضباط إلى بئر سبع لشراء كتاب مشابه أعطاه لـ (طلالقة) قائلاً: (هذا هو كتاب الشيفرة يحق لك تفقده ومشاهدته وبعد أن شاهده أخذه منه وخرج من الغرفة وعاد وبيده الكتاب الملغوم وسلمهؤله لكن (طلالقة) لعب اللعبة بكل برود على الرغم من بريق عينيه عندما تساءل: ولكن كيف ستعرفون أن الكتاب وصل؟ وكانت الإجابه: ستأتينا الرياح بالنبأ.

وفهم (طلالقة) من ذلك أنه عندما يبدأ (لطفي العكاوي) بالإرسال حسب الشيفرة الجديدة سيعرف الإسرائيليون أنه نفذ المهمة وعندما حل الظلام خرج أحد رجال المخابرات الإسرائيلية المسئولين عن العملية ومعه (طلالقة) وركب سيارة جيب ليوصله إلى أقرب نقطة على الحدود وهناك ودعه وإختفى (طلالقة) في الظلام لكن كان هناك من يتبعه ويعرف انه يأخذ طريقه إلى غزة.

وفي رحلة عودته إلى غزة كان الشك يملأ صدر (طلالقة).. وراح يسأل نفسه: كيف يكون (العكاوي) أقرب المساعدين إلى مصطفى حافظ عميلاً إسرائيلياً؟، وفكر في أن يذهب أولاً إلى (العكاوي) لتسليمه ما يحمل وبالفعل ذهب إلى منزله فوجده قد تركه إلى منزل جديد لا يعرف عنوانه واحتار ما الذي يفعل؟ ثم حزم أمره وتوجه إلى منطقة الرمال في غزة حيث مقر مصطفى حافظ.

وحسب ما جاء في تقرير لجنة التحقيق المصرية التى تقصت وفاة مصطفى حافظ بأمر مباشر من الرئيس جمال عبد الناصر فإنه في 11 يوليو عام 1956 في ساعات المساء الأخيرة جلس مصطفى حافظ على كرسي في حديقة قيادته في غزة، وكان قد عاد قبل يومين فقط من القاهرة، كان يتحدث مع أحد رجاله وإلى جانبه الرائد فتحي محمود وعمر الهريدي وفي نفس الوقت وصل إليهم (طلالقة) الذي سبق أن نفذ ست مهام مطلوبة منه في اسرائيل.

وقابله مصطفى حافظ وراح يروى له ما عرف عن (العكاوي)، وهو ما أزعج مصطفى حافظ الذي كان يدافع كثيراً عن (العكاوي) الذي أُتهم أكثر من مرة

بالإتجار في الحشيش، لكن هذه المرة يملك الدليل على إدانته بما هـو أصـعب مـن الحشـيش؛ التخابر مع إسرائيل.

وقرر مصطفى حافظ أن يفتح الطرد ثم يغلقـه مـن جديـد ويرسـله إلى (العكـاوي)، أزال الغلاف دفعة واحدة عندئـذ سـقطت عـلى الأرض قصاصـة ورق انحنـى لإلتقاطهـا وفي هـذه الثانية وقع الانفجار ودخل الرائد فتحي محمود مع جنـود الحراسـة ليجـدوا ثلاثـة أشـخاص مصابين بجروح بالغة ونقلوا فوراً إلى مستشفى تل الزهرة في غزة. وفي تمام السـاعة الخامسـة صباح اليوم التالي أستشهد مصطفى حافظ متأثراً بجراحه، وبقى الرائد عمـر الهريـدي معاقـاً بقية حياته بينما فقد (طلالقة) بصره، وأعتقل (العكاوي) لكن لم يعثروا في بيته على ما يدينه.

وبرغم مرور هذه السنين مازال يصر الإسرائيليون على أنهم لم ينفذوا مثـل هـذه العمليـة أبداً، وبقيت أسرارها مكتومة هنا وهناك إلى أن كشفها الكاتب الإسرائـيلي "يوسـف أرجـمان" مؤخراً في كتاب يحمل أسم "ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في إسرائيل"، والذي لا نعرف هل ما ذكره حقيقة أم خيال.

بقى أن نعرف إن الإسرائيليين عندما احتلوا غزة بعد حرب يونيو وجـدوا صـورة مصـطفى حافظ معلقـة في البيـوت والمقـاهي والمحـلات التجاريـة وأنهـم كـان يخلعونهـا مـن أماكنهـا ويرمونها على الأرض ويدوسون عليهـا بالأقـدام، وكـان الفلسـطينيون يجمعونهـا ويلفونهـا في أكياس كأنها كفن ويدفنونها تحت الأرض وهم يقـرآون عـلى روح صـاحبها الفاتحـة.. فهـم لا يدفنون صورة وإنما يدفنون كائناً حياً.

***

السابع عشر
أشرف مروان



أشرف أبو الوفا مروان (1945 - 27 يونيو 2007)، رجل أعمال مصري وهو زوج منى جمال عبد الناصر، ابنة الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر.. توفي في 27 يونيو 2007، إثر سقوطه من شرفة منزله بلندن.

ولد مروان في عام 1945 لأب كان ضابطاً بالجيش.. حصل على بكالوريوس العلوم في عام 1965، وعمل بالمعامل المركزية للقوات المسلحة ثم مساعداً لجمال عبد الناصر.. في سنة 1970 أصبح المستشار السياسي والأمني للرئيس الراحل أنور السادات وذلك بعد وفاة عبد الناصر.

ترأس الهيئة العربية للتصنيع بين عامي 1974 و1979، وتوجه إلى بريطانيا بعد تقاعده كرجل أعمال و توفي فيها في 27 يونيو 2007.

صاحب فكره ومنشئ نقابه المهن العلميه (نقابه العلميين) عام 1969 وحتى الآن تعتبر النقابة من أقل النقابات نشاطاً.

وفاته

توفي بعد أن سقط من شرفة منزله في لندن.. وقد وقع الحادث بعد ظهر الأربعاء، وقد ذكر بيان صادر عن الشرطة أن التحقيقات حول ظروف حادث سقوطه من شرفة منزله لا تزال مستمرة، حيث أنه قد عُطلت جميع كاميرات المراقبه الموجودة بموقع وفاته قبل وقوع الحادث بفترة قصيرة، مما يدل على أنه قتل عمداً.

أعلنت شرطة سكوتلاند يارد، أن التحقيقات ما زالت مستمرة في حادثة سقوط رجل الأعمال المصري أشرف مروان من شرفة منزله بمنطقة سانت جيمس بارك، بوسط العاصمة البريطانية، ليلقى حتفه على الفور.. وأوضحت الشرطة البريطانية، في بيان أصدرته أن: "الطب الشرعي لم ينته من عمله بعد، وتقريره النهائي هو الذي سيحسم الأمر".

تهمة العمالة:

اهتمت الصحف العبرية اهتمام كبير بوفاة أشرف مروان وإتهامه بإنه عميل مزدوج فقد كتبت صحيفة يديعوت أحرونوت: أن هناك غموضاً يكتنف وفاة مروان، الذي وصفته بأنه كان عميلاً مزدوجاً ما بين المخابرات المصرية والاسرائيلية، وأنه كان يخشى على حياته منذ أن كشفت إسرائيل عام 2003 أنه عميل كبير للموساد.. وذكرت الصحيفة: أن إيلي زريعي رئيس شعبة الإستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي أثناء حرب أكتوبر 1973 وكبار قادة الموساد في ذلك الوقت والشاباك اعتبروا أن أشرف مروان كان عميلاً مزدوجاً، وانه سبب إخفاقاً تاماً وكبيراً لمؤسسة الموساد، لكن هناك منتقدين لهذا التوجه قالوا أنه لا يوجد أساس لهذه النظرية.

وكتبت صحيفة معاريف: "أشرف مروان عميل مزدوج أفشلنا في حرب أكتوبر، ومهما تكون الأسباب وراء موته فإنه ترك بقعة سوداء تُلوث تاريخ الجاسوسية في إسرائيل بعد أن خدعها وجعل من هذه المؤسسة أضحوكة".. وانتقدت معاريف بشدة "الكشف عن اسم المصدر من قبل الدولة وهو على قيد الحياة".

قال اللواء إيلي زيرا، الذي طرد من منصبه كرئيس للإستخبارات العسكرية بعد فشل إسرائيل في التنبؤ بالحرب عليها، في كتاب صدر في عام 1993، إن إسرائيل فوجئت بالحرب لأنها وقعت ضحية عميل مزدوج.. غير أنه لم يذكر إسمه في ذلك الكتاب، لكن الصحافة الإسرائيلية قامت بنشر اسم مروان.

وتردد أن مروان كان يحمل لدى الإستخبارات الإسرائيلية إسما حركياً هو "بابل".. ووفقاً لصحيفة التايمز فإنه تردد أن مروان عرض خدماته على إسرائيل عام 1969 وظل

يمدها في السنوات التالية بالمعلومات عن مصر والعالم العربي، وهي المعلومات التي وصفها مسئولون إسرائيليون بأنها لا تقدر بثمن.

إشادة مطلوبة

وذكر الرئيس المصري حسنى مبارك: أن مروان كان وطنياً مخلصاً وقام بالعديد من الأعمال الوطنية لم يحن الوقت للكشف عنها مشدداً على أنه لم يكن جاسوساً لأي جهة على الإطلاق.. ونفى أنه أبلغ إسرائيل بموعد حرب أكتوبر وذكر أنه لا أساس له من الصحة.

الجنازة

شيعت الجنازة الأحد من مسجد عمر مكرم بمصر الجديدة حيث أقيمت صلاة الجنازة التي أمها فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر .. وقد شارك في الجنازة صفوت الشريف رئيس مجلس الشورى، وفتحى سرور رئيس مجلس الشعب، وجمال مبارك وعدد من الوزراء وكبار المسئولين.

نظرة خاصة في حياة اشرف مروان

أشرف مروان.. غموض الحياة والممات

ما بين 5 شارع الحكماء بحي مصر الجديدة حيث ولد.. و24 كارلتون هاوس في منطقة جيمس القريبة من القصر الملكي البريطاني ببكنجهام بالعاصمة البريطانية لندن حيث لقى حتفه الأسبوع الماضي، مسافة قدرها 63 عاماً من الغموض هي عمر أشرف مروان زوج منى الابنة المدللة للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وواحد من أقرب المقربين من الرئيس أنور السادات، بالإضافة إلى شهرته في دنيا المال والأعمال.. طوال حياته وهو رجل الألغاز العصية على الحل.. طوال عمره وهو يدمن السير على الحبل.. المقامرة حتى بحياته.. الرقص على حواف الجمر؛ ولذلك دخل بقوة عالم تجارة السلاح التي لا ترحم.. بالإضافة إلى إدعاء إسرائيل بأنه كان العميل "بابل" الذي عرض عليهم خدماته في عام 1968 لدرجة أنهم ادعوا أنه أخبرهم بموعد ساعة الصفر في حرب أكتوبر 1973.. فتجارة السلاح التي عمل فيها تجبره على أن يحمل

كفنه على كتفه على الدوام؛ حيث عمره لا يساوي أكثر من ضغطة على زناد مسدس كاتم للصوت، والجاسوسية التي يقال إنه عمل فيها تعني أنه يلف بنفسه حبل المشنقة حول رقبته في حال اكتشافه من أي الأطراف التي يلعب معها، لكنه لم يمت بهذه الطريقة أو تلك.. سقط من شرفة منزلة القريب من القصر الملكي البريطاني مواصلاً مسلسل الغموض الذي كان العنوان الأبرز في حياته.

الخطوة الأولى

أشرف مروان من مواليد 2 من فبراير 1944، والده كان ضابطاً كبيراً بالجيش المصري، هو اللواء أبو الوفا مروان الذي تولى إدارة سلاح الحرب الكيماوية قبل أن يخرج للتقاعد ويتولى شركة مصر للأسواق الحرة.

داخل هذه الأسرة التي تقدس النظام عاش الشاب مروان حتى حصل على بكالوريوس العلوم من جامعة القاهرة في عام 1965، ثم الدكتوراة في نفس التخصص من جامعة لندن عام 1974، وكان قد التحق بالقوات المسلحة منذ عام 1965؛ حيث كان الأمر بالنسبة له سهلاً بالنظر لمكانة والده كأحد القادة فيها آنذاك.

لكن أشرف مروان رأى أن المكانة التي يحظى بها في المجتمع عادية آنذاك، بالنظر إلى سلم طموحاته اللامحدودة التي يرنو إليها، فأقدم على الخطوة التي ستختصر المسافات.. وتفتح الأبواب المغلقة.

كانت هذه الخطوة هي ابنة الرئيس عبد الناصر نفسه.. وتقدم للزواج من منى الابنة المدللة للرئيس وتم قبوله، ومن هنا كانت بداية ظهوره في الحياة العامة في مصر، حيث انتقل وهو خريج العلوم للعمل في رئاسة الجمهورية كمساعد محدود الاختصاصات لسامي شرف مدير مكتب عبد الناصر.

عاش الملك.. مات الملك.. أشرف مروان في يوم زفافه فور أن مات عبد الناصر في سبتمبر 1970 سارع مروان للدفاع بقوة عن الخطوات التي حصل عليها بالزواج من ابنته على محدوديتها، وببراعة الطموحين قرأ المشهد جيداً.. أيقن أن عهد ناصر ولى بغير رجعة.. وأن لكل زمان دولة ورجالا؛ فعمل بكل ما يملك ليكون واحداً من رجال الزمان القادم، وسارع بتقديم الدعم للسادات، وانضم للفريق المؤيد له، برغم درجة

النسب التي تربطه بعبد الناصر.. بـدأ مـروان يعـزف عـلى نغـمات الـرئيس الجديـد؛ فـأحلام سيادته أوامر.. الأفكار الإشتراكية.. بالية، الاقتصاد الحر.. فيـه الخـلاص، ومصر.. أخطـأت كثـيراً بالإرتماء في حضن السوفيت ومعادة الغرب.. فهكذا كان السادات يرى الأمور.

وكان نتيجة هذه المعطيات أن وثق السادات في مروان أيما ثقة؛ للدرجة التي جعلته يقوم بتعيينه سكرتيراً خاصاً له لشئون المعلومات في 13 من مايو 1971، أي قبل يومين من عمليات الاعتقال الجماعية لرموز الحقبة الناصرية التي أسماها السـادات بــ "ثـورة التصـحيح"، التـي لعب فيها مروان والفريق الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري آنذاك الدور الأكبر في تصـفية خصوم السادات.

ومن عجيب الأمور أن الليثي لقي حتفه من شرفة الطابق العاشر بعمارة شـهيرة في لنـدن اسمها "ستيورت تاور" -وهي ذات العمارة التي سقطت الفنانة سعاد حسني في يونيـو 2001 من شرفة طابقها السادس- وبعد أكثر من 34 عامـاً لحـق مـروان برفيقـه في الـولاء للسـادات (ناصف) وبذات الطريقة وفي نفس عاصمة الضباب (لندن)!

مكاسب متوالية

ارتماء مروان في حضن السادات جعل علاقته (مروان) تسوء مع عائلة عبد الناصر، لدرجـة أن قاطعته السيدة تحية كاظم (حماته) وهدى (أخت زوجته) وزوجهـا حـاتم صـادق، وكـان هو يتربح من هذه المقاطعة عند السادات الذي كان يشعر بتعاطف خاص معـه جـراء هـذه الأمور التي تحدث معه بسبب إنضمامه إلى فريقه.

مع الوقت علا نجم مروان في الحياة السياسية المصرية، نتيجة تزايد ثقة السادات الكبـيرة فيه؛ فجعله عضواً في لجنة الإشراف على التطوير وصناعة الأسـلحة في مصر وليبيـا، وعضـواً في المجلس الأعلى للمشروعات الطبية في مجال الطاقة النووية عـام 1973، ثـم سـكرتيراً للـرئيس للاتصالات الخارجية في عام 1974.

وفي 29 من يونيو 1974 عين مقرراً للجنة العليا للتسليح والتصنيع الحـربي.. وفي 1975 عين رئيساً للهيئة العربية للتصنيع، وفي 1987 عين سفيراً بالخارجية ثم اتجـه

للعيش في لندن، والعمل في الأعمال الحرة كمستثمر، وكان رئيس الجالية المصرية في لندن.

لم يخل هذا الصعود السريع لمروان من شائعات طالت ذمته المالية، وعلاقته التجارية بالمليونير السعودي كمال أدهم، ويحكي الصحفي المقرب من السادات موسى صبري في كتابه "الحقيقة والأسطورة" أنه دار بينه وبين السادات حديث وديٌّ حول مروان سأله فيه عن سر تمسكه بالأخير برغم هذه الشائعات المحيطة به فأجابه السادات بالقول: "أنا لا أقبل أن أمد يدي لأي حاكم عربي، لكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة، وأشرف يقوم بهذه المهمة، كما أنه قدم خدمات ممتازة في موضوع الأسلحة، واستطاع بجهده الشخصي أن يذلل كثيراً من العقبات مع المصانع الفرنسية بالذات، وتم هذا في أوقات حرجة وقبل حرب أكتوبر 1973".

الإغتيال

مروان يتسلم وساماً من السادات كان كل شيء يَسِير على ما يرام في حياة مروان بعد أن منحه الرئيس السادات "وساما" كتكريم له على ما قدمه من خدمات للوطن في حرب أكتوبر 1973، وبعد أن اتجه بقوة لعالم المال والأعمال في عدد من عواصم العالم أهمها لندن، إلى أن جاء عام 2002 حاملاً له زلزالا بدرجات مرتفعة من المقاييس التي تجعل من سمعة الإنسان وشرفه ووطنيته موضعاً للتشكيك.. ففي هذا العام نشر المؤرخ اليهودي المقيم في لندن "أهارون بيرجمان" كتابا بعنوان "تاريخ إسرائيل" أشار فيه إلى أن أشرف مروان -دون ذكر الاسم- عمل جاسوساً للموساد الإسرائيلي، وأنه ذهب بنفسه للسفارة الإسرائيلية في لندن عام 1968 عارضاً خدماته على الموساد ليكون رجلهم في بيت عبد الناصر ورئاسة الجمهورية التي يعمل بها.

أصيب الإسرائيليون بصدمة بعدما عرفوا شخصيته، لكنهم رحبوا به وكانوا يدفعون له 100 ألف جنيه إسترليني عن المقابلة الواحدة، وأنه منذ هذه اللحظة حمل أسماء حركية في سجلات الموساد مثل: "الصهر" أو "العريس" أو "رسول بابل"، ولم تكن تقاريره يقرؤها إلا كبار رجال الحكم في إسرائيل من عينة جولدا مائير رئيسة الوزراء وموشي ديان وزير الدفاع بالإضافة إلى كبار رجال الموساد.

سخافات الهدف منها تلويث سمعة البطل المصري

وذكر المؤرخ اليهودي أن مروان سلم الموساد نسخة مكتوبة من حوار جمال عبد الناصر مع القادة السوفيت في 22 من يناير 1970 يطالبهم فيها بقاذفات (طائرات) بعيدة المدى، كما سلمهم نسخة من رسالة سرية بعث بها السادات إلى الرئيس السوفيتي ليونيد بريجينيف في 30 من أغسطس 1972 طالبه فيها بصواريخ بعيدة المدى من طراز "سكود" ويقول فيها إنه من دون هذه الصواريخ لا يستطيع شن حرب لتحرير سيناء.

ويضيف المؤرخ اليهودي في كتابه أن مروان أبلغ الموساد بمعلومات عن الخلية الفلسطينية الفدائية بقيادة أمين الهندي التي كانت تنوي تفجير طائرة "العال" المدنية في روما رداً على قيام إسرائيل بإسقاط الطائرة المدنية الليبية، وقد أفشلت إسرائيل العملية بفضل المعلومات التي قدمها "بابل" أو مروان.

لكن القنبلة المدوية التي فجرها كتاب بيرجمان هي أن "بابل" طلب في 4 من أكتوبر 1973 مقابلة رئيس الموساد "تسفي زمير"؛ فطار إليه الأخير خصيصاً في اليوم التالي (5 من أكتوبر)، والتقاه في إحدى الدول الأوروبية فوجده غاضباً "لأن إسرائيل تتجاهل تحذيراته ولا تعمل شيئاً لمواجهة خطر الحرب".. وفي مساء اليوم نفسه اتصل "بابل" وأبلغ إسرائيل بأن موعد الهجوم المصري السوري سيكون قبل حلول المساء من يوم 6 أكتوبر.

وطني ضلل إسرائيل

ويقول رئيس شعبة الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان) إبان حرب أكتوبر إيلي زعيرا في تحقيقات لجنة "أجرانات" الإسرائيلية التي حققت مع القادة الإسرائيليين في أسباب هزيمتهم في أكتوبر 1973 والتي أفرجت إسرائيل عنها مؤخراً وتنشرها صحيفة الشرق الأوسط اللندنية مترجمة للعربية على حلقات هذه الأيام: إن بابل نقل معلومات دقيقة إلى إسرائيل لكي يحظى بثقتها.

ولكن الهدف من تشغيله من قبل المصريين كان في الواقع التضليل؛ فهو أبلغ عن رسالة السادات إلى بريجنيف فقط لكي يقنع إسرائيل بأن السادات لن يحارب إلا إذا

حصل على صواريخ (سكود)، وفي الحقيقة أنه لم يحصل عليها؛ ولذلك سادت القناعة في إسرائيل بأن مصر لن تجرؤ على إعلان الحرب، مما أدى إلى سواد نظرية "الفرضية" المشهورة لدى الإستخبارات العسكرية.

وتقول "الفرضية" وفق تقارير لجنة أجرانات: "إن مصر لن تحارب إلا إذا تمت الحرب بالإشتراك مع سوريا وبالحصول على طائرات حديثة، وأسلحة أخرى تضمن تفوقاً مصرياً على سلاح الجو الإسرائيلي".

ويضيف زعيرا: "كيف يمكن لمسئول مصري رفيع كهذا أن يأتي إلى السفارة الإسرائيلية في لندن في وضح النهار، في الوقت الذي يعرف هو وقادته بأن هذه السفارة مثل غيرها من السفارات الإسرائيلية في الخارج مراقبة من عشرات أجهزة المخابرات في العالم؟".

ويعتبر رئيس شعبة الاستخبارات الإسرائيلية السابق بأن أهم مهمة قام بها "بابل" هي عندما أبلغ إسرائيل بموعد الحرب. فهو قال إنها ستتم قبيل حلول المساء وبذلك خدع إسرائيل لأن الحرب بدأت في الثانية من بعد الظهر. فقد فهم منه الإسرائيليون أن الحرب ستقع في السادسة مساء، وخلال الساعات الأربع كانت القوات المصرية قد أتمت عبور القنال، ولذلك فإنه نجح في تضليل إسرائيل.

ويقول أنصار رؤية زعيرا من القادة الإسرائيليين: "إن ما قامت به المخابرات المصرية بزرع "بابل" كعميل مزدوج هو تكتيك روسي تقليدي يتمثل في "زرع عميل مزدوج يغذونه بـ 95% معلومات دقيقة وفي اللحظة الحاسمة ينقلون عبره معلومات كاذبة".

لكن في الموساد من يردون على هذا الزعم بأنه ليس هناك في مصر، ولا حتى السادات نفسه، من كان على استعداد لتحمل مسئولية تسليم معلومات مركزية وهامة عن مصر كالتي سلمها "بابل" طوال أكثر من 4 سنين فقط من أجل التضليل في لحظة معينة.

وقد استمر النقاش في إسرائيل حول مدى مصداقية "بابل"، وأجرت المخابرات الإسرائيلية على اختلاف أجهزتها أبحاثاً رسمية حول الموضوع استنتجت منها أنه "كان جاسوساً لها ولم يكن مبعوثاً من المخابرات المصرية بهدف التضليل".

في حين يرى المخالفون -وبينهم إيلي زعيرا- أن الثقة في "بابل" كانت "أكبر هزيمة تحققت لإسرائيل في تاريخها" بابل وأكتوبر عام 2004 جاء حاملاً مفاجئة مدوية ليست لمروان هذه المرة لكنها للذين يعتقدون داخل أجهزة الإستخبارات الإسرائيلية أن "بابل" أو مروان كان مخلصاً لهم، ولم يكن "طُعْمًا" من المخابرات المصرية ابتلعوه للنهاية؛ حيث شاهد أحد العاملين في جهاز مخابرات إسرائيلي على مراقبة شبكات التلفزيون العربية بثاً لإحدى القنوات المصرية الرئيس المصري حسني مبارك وهو يصافح مروان في احتفالات ذكرى حرب أكتوبر في عام 2004.

وقام رجل المخابرات الإسرائيلي بتسجيل مقطع المصافحة والذي تخلله أيضاً عناق على شريط فيديو، وبعد أن تأكد من الشخص المقصود هو فعلاً أشرف مروان أبلغ المسئولين عنه بالأمر.

ونشرت صحيفة يديعوت أحرونوت في مايو 2005 تقريرًا عن هذا الشريط الذي يجمع مبارك ومروان اعتبر فيه محرر الصحيفة لشئون أجهزة الإستخبارات والقضايا الإستراتيجية أنه "سينهي الجدل الدائر منذ 32 عامًا في إسرائيل حول مروان بأنه بطل قومي مصري".

وكتب المحلل يقول: "بعد الآن لا يتبقى أي مكان للشك.. فالرئيس المصري لا يتعامل على هذا النحو مع أكبر خائن عرفته مصر، بل هكذا يتم التعامل مع بطل قومي".

وجاء تأكيد إضافي لمن يرى في مروان بطلاً قومياً أنه منذ الحرب وحتى وفاته، وبعد ما نشره أهارون برجمان، حظى مروان بالإزدهار والأمن، وبالقدرة على دخول مصر والخروج منها كما يشاء. وهناك من يرون في ذلك برهاناً آخر على أن قادة الحكم المصري والسادات كانوا يعرفون أنه عميل مزدوج، وأنهم زرعوه في الموساد لهذا الغرض.

وفضلا عن ذلك فإن عمرو موسى وزير الخارجية المصري السابق، سمح لابنته بالزواج من ابن مروان، في الوقت الذي كان فيه موسى في منصب يسمح له بالإطلاع على المعلومات الأشد سرية في الإستخبارات المصرية بحكم عمله في الخارجية.

ويقول رجل من وحدة الأبحاث في شعبة الإستخبارات الإسرائيلية تعليقـاً عـلى هـذا الأمـر بحسب برجمان: "لو كان مروان خائناً حقاً، فإن موسى لم يكن أبداً ليسمح بهذا الزواج". علماً بأن هانيا عمرو موسي انفصلت عن أحمد أشرف مروان بعد زواج دام 15 عامًا، وله منها ولـد وبنت اسمهما محمد وأمينة".

***

الثامن عشر

المشير أحمد بدوي سيد أحمد



المشير أحمد بدوي سيد أحمد (1927 - 1981): وزير الدفاع، والقائد العام للقوات المسلحة ولد في الإسكندرية، في 3 أبريل 1927.

حياتة

تخرج في الكلية الحربية عام 1948 (دفعة 48). إشترك في حرب سنة 1948، قاتل في المجدل ورفح و غزة والعسلوج.. عُين بعد الحرب مُدرساً في الكلية الحربية، ثم أصبح مساعداً لكبير معلمي الكلية عام 1958.

سافر في بعثة دراسية إلى الاتحاد السوفيتي، لمدة ثلاث سنوات، حيث التحق بأكاديمية فرونز العسكرية العليا، تخرج بعدها حاملاً درجة "أركان حرب" عام 1961.

بعد حرب يونيه 1967، صدر قرار بإحالته إلى المعاش، وأُعتقل لمدة عام على خلفية التخوف من دفعة شمس بدران وزير الحربية أثناء حرب 1967 إلى أن تم الإفراج عنه في يونيه 1968، والتحق خلال تلك الفترة بكلية التجارة، جامعة عين شمس، وحصل على درجة البكالوريوس، شعبة إدارة الأعمال، عام 1974.

وفي مايو 1971، أصدر الرئيس محمد أنور السادات قراراً بعودته إلى صفوف القوات المسلحة، والتحق بأكاديمية ناصر العسكرية العليا في عام 1972، حيث حصل على درجة الزمالة عام 1972. ثم تولى منصب قيادة فرقة مشاة ميكانيكية.

حرب أكتوبر

استطاع مع فرقته عبور قناة السويس، إلى أرض سيناء، في حرب أكتوبر 1973، من موقع جنوب السويس، ضمن فرق الجيش الثالث الميداني، و تمكن من صد هجوم إسرائيلي، استهدف مدينة السويس.

دورة في الثغرة

عندما قامت القوات الإسرائيلية بعملية الثغرة، على المحور الأوسط، اندفع بقواته إلى عمق سيناء، لخلخلة جيش العدو، واكتسب أرضاً جديدة، من بينها مواقع قيادة العدو، في منطقة "عيون موسى" جنوب سيناء.. ولما حاصرته القوات الإسرائيلية، استطاع الصمود مع رجاله، شرق القناة، في مواجهة السويس.

في 13 ديسمبر 1973، رقى إلى رتبة اللواء، وعين قائداً للجيش الثالث الميداني، وسط ساحة القتال نفسها.

في 20 فبراير 1974، وبعد عودته بقواته، كرمه الرئيس الراحل محمد أنور السادات في مجلس الشعب ومنحه نجمة الشرف العسكرية.

وفي 25 يونيه 1978، عُين اللواء أحمد بدوي رئيساً لهيئة تدريب القوات المسلحة. ثم عُين رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة في 4 أكتوبر 1978، وصار أميناً عاماً مساعداً للشؤون العسكرية في جامعة الدول العربية. ورقي لرتبة (الفريق) في 26 مايو 1979. عُين وزيراً للدفاع وقائداً عاماً للقوات المسلحة، في 14 مايو 1980.

وفاته (اغتيالة)

في 2 مارس سنة 1981، لقى الفريق أحمد بدوي، هو وثلاثة عشر من كبار قادة القوات المسلحة، مصرعهم، عندما سقطت بهم طائرة عمودية، في منطقة سيوة، بالمنطقة العسكرية الغربية، بمطروح.. أصدر الرئيس أنور السادات قراراً بترقية الفريق أحمد بدوي إلى رتبة المشير وترقية رفاقه الذين استشهدوا معه إلى الرتب الأعلى في نفس يوم موتة.

وهناك شكوك كبيره حول استشهاده هو و ثلاث عشر قائداً من كبار ضباط قـادة القـوات المسلحة وهم:

1- اللواء صلاح قاسم رئيس أركان المنطقه العسكريه الغربية.
2- اللواء على فايق صبور قائد المنطقة الغربية.
3- اللواء جلال سرى رئيس الهيئة الهندسية للقوات المسلحة.
4- اللواء أحمد فؤاد مدير إداره الأشارة.
5- اللواء عطيه منصور رئيس هيئة الإمداد والتموين.
6- اللواء محمد حشمت جادو رئيس هيئة التدريب.
7- اللواء محمد أحمد المغربى نائب رئيس هيئه التنظيم والإدارة.
8- اللواء فوزى الدسوقى مدير إداره الأشغال العسكريه والإبرار.
9- اللواء محمد حسن مدير إدارة المياة.
10- عميد أركان حرب محمد السعدى عمار مدير هيئة عمليات القوات المسلحة.
11- عميد أركان حرب محمد أحمد وهبى من هيئة العمليات بوزارة الدفاع.
12- عقيد مازن مشرف من هيئة العمليات.
13- عقيد أركان حرب ماجد مندور من هيئة العمليات.

وقد شيعت جنازة المشير أحمد بدوي وزملائه، يوم الثلاثاء 3 مارس سنة 1981، مـن مقـر وزارة الدفاع، في جنازة عسكرية يتقدمها الرئيس محمد أنور السادات.

الناجون من الحادث

نجا من الحادث 5 أفراد فقط. منهم 4 هما طاقم الطائره وسكرتير وزير الدفاع.

و يوجد الكثير من علامات الإستفهام حول نجاه طاقم الطائره فقط ووفاة ركابها حيث أن طراز الطائرة كان من النوع الذي يجب أن يفتح بابه من الخارج ولا يوجد باب.

كشف الحقيقة

بعد مرور عشرة أعوام تقريبـاً تكشـف الحقيقـة في مـذكرات أحـد فرقـة المـوت بالموسـاد الإسرائيلي وهو (داني جكوب) بأنهم تلقوا أوامر بتصفية الفريق ومن معه وقد قـاموا بتجنيـد أحد عناصرهم لذلك.

***

الفصل العاشر

ملف خاص
بأسماء شهداء العلم من العراق

1. أ. إبراهيم إسماعيل، مدير عام تربية كركوك، أُغتيل يوم 2004/8/30 عندما كان متوجهاً إلى المعهد التكنولوجي جنوب كركوك.
2. أ. المهندس حسين علي إبراهيم الكرباسي، الجامعة التقنية، بغداد، الزعفرانية، اختصاص قسم المساحة أُغتيل يوم 2006/4/16 في منطقة العامرية.
3. أ. د. إبراهيم طلال حسين، معاون عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية.
4. أ. د. أحمد الراوي، أستاذ سابق في كلية الزراعة، جامعة بغداد/قسم التربة، إلتحق للعمل في مركز (إباء) التخصصي. قتل مع زوجته عام 2004 على الطريق السريع في منطقة الغزالية.
5. أ. د. أحمد عبد الرحمن حميد الكبيسي، جامعة الأنبار، كلية الطب، عضو هيئة التدريس.
6. أ. د. أحمد عبد الهادي الراوي، جامعة الأنبار، كلية الزراعة.
7. أ. د. أسامة يوسف كشمولة، جامعة الموصل، كلية الزراعة، دكتوراه زراعة، عُين محافظاً للموصل يوم 2005/4/5 وجرى تشييعه يوم 4004/17.
8. أ. د. أسعد سالم شريدة، عميد كلية الهندسة، جامعة البصرة، دكتوراة هندسة.
9. أ. د. المهندس محيي حسين، اختصاص هندسة طائرات، جامعة بغداد،أُغتيل منتصف عام 2004.
10. أ. د. أمير إبراهيم حمزة، معهد بحوث السرطان، هيئة المعاهد الفنية.
11. أ. د. أمير مزهر الدايني، اختصاص هندسة الاتصالات.
12. أ. د. أنمار التك، كلية الطب، جامعة الموصل، أحد أشهر أطباءالعيون في العراق، حاصل على درجة بروفيسور، أُغتيل في شهر تشرين أول 2004.
13. أ. د. إيمان عبد المنعم يونس، جامعة الموصل، كلية الآداب.
14. أ. د. إيمان يونس، رئيس قسم الترجمة، جامعة الموصل.
15. أ. د. باسل الكرخي، جامعة بغداد، كلية العلوم،اختصاص كيمياء.
16. أ. د. باسم المدرس، جامعة بغداد، دكتوراة علوم إنسانية.

17. أ. د. جاسم محمد الشمري، عميد كلية الآداب، جامعة بغداد.
18. أ. د. جاسم محمد العيساوي، أستاذ في كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، عضو في هيئة تحرير صحيفة (السيادة) اليومية، أحد الأعضاء المفاوضين مع لجنة صياغة الدستور، أُغتيل يوم 2005/6/22 في مدينة الشعلة في بغداد وعمره (61) عاماً.
19. أ. د. جمهور كريم خماس الزرغني، رئيس قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة البصرة، وهو أحد النقاد المعروفين على الصعيد الثقافي في البصرة، خطف يوم 2005/7/7، وجدت جثته في منطقة القبلة الواقعة على بعد 3 كلم جنوب مركز البصرة.
20. أ. د. حازم عبد الهادي، جامعة بغداد، كلية الطب، دكتوراة طب.
21. أ. د. حامد فيصل عنتر، جامعة الأنبار، كلية التربية الرياضية.
22. أ. د. حسام الدين أحمد محمود، رئيس قسم التربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.
23. أ. د. حسان عبد علي داود الربيعي، مساعد عميد كلية الطب، جامعة بغداد.
24. أ. د. حسن الربيعي، عميد كلية طب الأسنان، جامعة بغداد، أُغتيل يوم 2004/12/25 عندما كان يقود سيارته وبصحبته زوجته.
25. أ. د. حسين ناصر خلف، باحث في كلية الزراعة، مركز بحوث النخيل، جامعة البصرة، بتاريخ 2005/5/22 عُثر على جثته في منطقة الفيحاء بعداختطافه يوم 2005/5/18.
26. أ. د. حكيم مالك الزيدي، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم اللغةالعربية.
27. أ. د. حيدر البعاج، مدير المستشفى التعليمي في البصرة.
28. أ. د. خالد شريدة، جامعة البصرة، كلية الهندسة، دكتوراة هندسة.
29. أ. د. خالد فيصل حامد شيخو، جامعة الموصل، كلية التربية الرياضية.
30. أ. د. خالد محمد الجنابي، جامعة بابل،كلية الآداب، اختصاص تاريخ إسلامي.

31. أ. د. خولة محمد تقي، جامعة الكوفة، كلية الطب.
32. أ. د. رعد أوخسن البينو، جامعة الأنبار، كلية الطب، اختصاص جراحة.
33. أ. د. رعد شلاش، رئيس قسم البايولوجي، كلية العلوم،جامعة بغداد.
34. أ. د. رعد عبد اللطيف السعدي، مستشار في اللغة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،أُغتيل يوم 2005/5/28 في منطقة البياع ببغداد.
35. أ. د. زكي جابر لفتة السعدي، جامعة بغداد، كلية الطب البيطري.
36. أ. د. زكي ذاكر العاني، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب،قسم اللغة العربية، أُغتيل أمام بوابة الجامعة المستنصرية يوم 2005/8/26.
37. أ. د. سالم عبد الحميد، عميد كلية الطب، الجامعة المستنصرية، اختصاص طب وقائي.
38. أ. د. سعد الربيعي، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص علوم بيولوجية.
39. أ. د. سعد ياسين الأنصاري، جامعة بغداد.
40. أ. د. سعدي أحمد زيدان الفهداوي، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية.
41. أ. د. سعدي داغر مرعب، جامعة بغداد، كلية الآداب.
42. أ. د. سلام حسين المهداوي، كلية التربية، جامعة ديالي، أُغتيل يوم 2006/4/19.
43. أ. د. سمير يلدا جرجيس، الجامعة المستنصرية - بغداد، معاون عميد كلية الإدارة والاقتصاد، خطف من أمام بوابة الجامعة المستنصرية في آب 2005 ووجدت جثته ملقية في أحد الشوارع يوم 2005/8/25.
44. أ. د. شاكر الخفاجي، جامعة بغداد،شغل منصب مدير عام الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية، اختصاص إدارة أعمال.
45. أ. د. شاكر محمود جاسم، جامعة الأنبار، كلية الزراعة.

46. أ. د. صباح محمود الربيعي، عميد كلية التربية، الجامعةالمستنصرية[1].
47. أ. د. صلاح عزيز هاشم، المعهد الفني، محافظة البصرة، أُغتيل أمام المعهد يوم 2006/4/5.
48. أ. د. ضامن حسين عليوي العبيدي، عميد كلية الحقوق، جامعة صلاح الدين، عضو لجنة كتابة الدستور، قُتل يوم 2005/7/19 في بغداد.
49. أ. د. طالب إبراهيم الظاهر، جامعة ديالي، كلية العلوم، اختصاص فيزياء نووية، أُغتيل في بعقوبة شهر آذار 2005.
50. أ. د. عالم عبد الحميد، عميد كلية الطب، جامعة البصرة.
51. أ. د. عباس العطار، جامعة بغداد، دكتوراة علوم إنسانية.
52. أ. د. عبد الجبار مصطفى، عميد كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، اختصاص علوم سياسية.
53. أ. د. عبد الرزاق النعاس، جامعة بغداد، كلية الإعلام، أُغتيل يوم 2006/1/28.
54. أ. د. عبد الستار الأسدي، معاون عميد كلية التربية، جامعة ديالي، أُغتيل يوم 2006/4/19 مع (3) من الأساتذة.
55. أ. د. عبد الستار جبار، جامعة ديالي، كلية الطب البيطري، أُغتيل يوم 2006/4/22.
56. أ. د. عبد السميع الجنابي، الجامعة المستنصرية، عميد كليةالعلوم، أُغتيل طعناً بالسكين عندما بدأ بتطبيق قرار وزارة التعليم العالي بمنع استخدام الجامعات منابر للمظاهر الطائفية.
57. أ. د. عبد الكريم حسين، جامعة البصرة، كلية الزراعة، أُغتيل يوم 2006/4/11.
58. أ. د. عبد الكريم مخلف صالح، جامعة الأنبار، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

---

(1) الجامعة المستنصرية: هي إحدى الجامعات العراقية الحكومية، سُميت نسبةً إلى المدرسة المستنصرية التي أُسست في زمن العباسيين في بغداد 1233هـ على يد الخليفة المستنصر بالله.

59. أ. د. عبد اللطيف علي المياح، معاون مدير مركز دراسات الوطن العربي، جامعة بغداد، اغتيل أوائل عام 2004 بعد يوم واحد من ظهوره على شاشة إحدى الفضائيات العربية وهو يطالب بإجراء انتخابات نيابية.

60. أ. د. عبد اللـه الفضل، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص كيمياء.

61. أ. د. عبد المجيد حامد الكربولي، جامعة الأنبار.

62. أ. د. عدنان عباس خضير السلماني، مدير في وزارة الري،أستاذ في كلية المأمون، اختصاص تربة استشهد في الفلوجة عام 2004.

63. أ. د. عصام سعيد عبد الكريم، خبير جيولوجي، في وزارة الإسكان، يعمل في المركز الوطني للمختبرات الإنشائية، خطف يوم 2004/9/28 وأُغتيل يوم 2004/10/1.

64. أ. د. عصام شريف محمد التكريتي، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، عمل سفيراً للعراق في تونس منتصف التسعينات، أُغتيل في منطقة العامرية يوم 2003/10/22 مع (5) أشخاص من أصدقائه.

65. أ. د. عقيل عبد الجبار البهادلي، معاون عميد كلية الطب، جامعة النهرين.

66. أ. د. علاء داود، مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية، جامعة البصرة.

67. أ. د. علي حسين كامل، جامعة بغداد،كلية العلوم، قسم الفيزياء.

68. أ. د. علي غالب عبد علي، جامعة البصرة، كليةالهندسة.

69. أ. د. علي مهاوش، عميد كليةالهندسة، الجامعة المستنصرية، أُغتيل يوم 2006/3/13.

70. أ. د. عماد سرسم، أستاذ جراحة العظام والكسور، زميل كلية الجراحين الملكية، عميد كلية الطب في جامعة بغداد سابقاً، عضو الهيئة الإدارية لنقابة الأطباء العراقيين، عضو اتحاد الأطباء العرب.

71. أ. د. عمر فخري، جامعةالبصرة، كلية العلوم، اختصاص في العلوم البيولوجية.

72. أ. د. غائب الهيتي، جامعة بغداد، أستاذ في الهندسة الكيمياوية، أُغتيل في آذار 2004.
73. أ. د. غضب جابر عطار، جامعة البصرة، كليةالهندسة.
74. أ. د. فؤاد إبراهيم محمد البياتي، رئيس قسم اللغةالألمانية، كلية اللغات، جامعة بغداد، أُغتيل أمام منزله في حي الغزالية في بغداد في 1 /2005/4.
75. أ. د. فضل موسى حسين، جامعة تكريت، كلية التربية الرياضية.
76. أ. د. فلاح علي حسين، عميد كلية العلوم، الجامعة المستنصرية.
77. أ. د. فيضي محمد الفيضي، جامعة الموصل، عضو هيئة علماء المسلمين في الموصل، أُغتيل أمام داره في منطقة المثنى بالموصل بتاريخ 2004/11/22، خريج كلية الشريعة عام 1985، حاصل على الدكتوراه نهاية التسعينات.
78. أ. د. قحطان كاظم حاتم، الجامعة التكنولوجية، كلية الهندسة.
79. أ. د. كاظم طلال حسين، معاون عميد كلية التربية الأساسية،الجامعة المستنصرية، أُغتيل يوم الجمعة 2005/11/25 في منطقة الصليخ مع 3 من مرافقيه.
80. أ. د. كاظم مشحوط عوض،عميد كلية الزراعة، جامعة البصرة.
81. أ. د. كفاية حسين صالح، جامعة البصرة، مدرسة في كلية التربية.
82. أ. د. ليث عبد العزيز عباس، جامعة النهرين، كلية العلوم.
83. أ. د. ليلى عبدالله سعيد، عميد كلية القانون، جامعة الموصل، دكتوراة قانون، أُغتيلت مع زوجها.
84. أ. د. مجبل الشيخ عيسى الجبوري، عضو لجنة كتابة الدستور،أُغتيل يوم 2005/7/19 في بغداد.
85. أ. د. مجيد حسين علي، جامعة بغداد، كلية العلوم، متخصص في مجال بحوث الفيزياء النووية، تمت تصفيته مطلع عام 2004 لأنه عالم ذرة.
86. أ. د. محسن سليمان العجيلي، جامعة بابل، كلية الزراعة.

87. أ. د. محفوظ محمد حسن القزاز، كلية التربية - قسم العلوم التربوية والنفسية، جامعة الموصل، بتاريخ 2004/12/25، لقي مصرعه إثر إطلاق نار عشوائي من قبل القوات المحتلة الأمريكية قرب جامع الدكتور أسامة كشمولة في محافظة نينوى.

88. أ. د. محمد الدليمي، جامعة الموصل، كليةالهندسة، اختصاص هندسة ميكانيكية.

89. أ. د. محمد تقي حسين الطالقاني، دكتوراة فيزياء نووية.

90. أ. د. محمد صالح مهدي، معهد بحوث السرطان، هيئة المعاهد الفنية.

91. أ. د. محمد عبد الحسين واحد، معهد الإدارة الفني - بغداد.

92. أ. د. محمد عبد الرحيم العاني، أستاذ في كلية القانون، الجامعةالمستنصرية، وهو طالب دكتوراه في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، عضو هيئة علماء المسلمين، أُعتقل يوم 2006/4/27 من أمام جامع الفاروق القريب من شارع فلسطين في بغداد من قبل عناصر وزارة الداخلية، وجدت جثته في مشرحة الطب العدلي في بغداد يوم 2006/5/2.

93. أ. د. محمد عبد المنعم الأزميرلي، جامعة بغداد،كلية العلوم، قسم الكيمياء،من مصرالعروبة يحمل الجنسية العراقية، تمت تصفيته من قبل قوات الإحتلال في معتقل المطار منتصف عام 2003 لأنه يحمل دكتوراة كيمياء وهو عالم متميز وعمل في مراكز بحثية متخصصة.

94. أ. د. محمد فلاح الدليمي، الجامعة المستنصرية، معاون عميد كليةالعلوم، دكتوراه فيزياء.

95. أ. د. محمد فلاح هويدي الجزائري، جامعة النهرين، كلية الطب، اختصاص جراحة تقويمية، أُغتيل يوم عودته من أداء فريضة الحج مطلع عام 2006 وهو طبيب في مستشفى الكاظمية التعليمي.

96. أ. د. محمد كمال الجراح، اختصاص لغة إنجليزية، جامعة بغداد، إلتحق بالعمل في المملكة المغربية، وآخر موقع له مدير عام في وزارة التربية، أُغتيل في منطقة العامرية يوم 2004/6/10.
97. أ. د. محمد نجيب القيسي، الجامعة المستنصرية - بغداد، قسم البحوث.
98. أ. د. محمد يونس ذنون، جامعة الموصل،كلية التربية الرياضية.
99. أ. د. محمود إبراهيم حسين، جامعة تكريت، كلية التربية.
100. أ. د. محيي حسين، الجامعة التكنولوجية، دكتوراة هندسة ديناميكية.
101. أ. د. مروان الراوي، اختصاص هندسة، جامعة بغداد.
102. أ. د. مروان رشيد، مساعد عميد كلية الهندسة، جامعة بغداد.
103. أ. د. مروان مظهر الهيتي، جامعة بغداد، كلية الهندسة، اختصاص هندسة كيميائية.
104. أ. د. مشحن حردان مظلوم العلواني، جامعة ديالي، أُغتيل يوم 2006/4/19.
105. أ. د. مصطفى المشهداني، جامعة بغداد،كلية الآداب، اختصاص علوم إسلامية.
106. أ. د. منير الخيرو، زوج د. ليلى عبد اللـه، كلية القانون، جامعة الموصل، دكتوراة قانون.
107. أ. د. مهند الدليمي، جامعة بغداد، كليةالهندسة، أُغتيل عام 2004.
108. أ. د. مهند عباس خضير، الجامعة التكنولوجية، اختصاص هندسة ميكانيك.
109. أ. د. موسى سلوم أمير الربيعي، معاون عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية، أُغتيل يوم 2005/5/28 في منطقة البياع ببغداد.
110. أ. د. موفق يحيى حمدون، معاون عميد كلية الزراعة، جامعة الموصل.
111. أ. د. ميس غانم، قسم اللغة الإنجليزية، جامعة ديالي، زوجة الدكتور مشحن حردان العلواني،أُغتيلت يوم 2006/4/19.
112. أ. د. نؤيل بطرس ماثيو، المعهد الطبي، الموصل.

113. أ. د. ناصر أمير العبيدي، جامعة بغداد.
114. أ. د. ناصر عبد الكريم مخلف الدليمي، جامعة الأنبار.
115. أ. د. نافع عبود، اختصاص أدب عربي، جامعة بغداد.
116. أ. د. نافعة حمود خلف، جامعة بغداد، كلية الآداب، اختصاص لغة عربية.
117. أ. د. نوفل أحمد، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة.
118. أ. د. هاشم عبد الكريم، الجامعة المستنصرية،كلية التربية، أُغتيل أمام بوابة الجامعة المستنصرية يوم 2005/8/26.
119. أ. د. هشام شريف، رئيس قسم التاريخ، جامعة بغداد.
120. أ. د. هيفاء علوان الحلي،جامعة بغداد، كلية العلوم للبنات، اختصاص فيزياء.
121. أ. د. هيكل محمد الموسوي، جامعة بغداد، كلية الطب.
122. أ. د. وجيه محجوب الطائي، اختصاص تربية رياضية، مدير عام التربية الرياضية في وزارةالتربية.
123. أ. د. وسام الهاشمي، رئيس جمعية الجيولوجيين العراقية.
124. أ. د.صبري مصطفى البياتي، رئيس قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، أُغتيل في حزيران 2004.
125. أ. راجح الرمضاني، مشرف تربوي اختصاص، أُغتيل بتاريخ 2004/9/29 عند خروجه من جامع (ذياب العراقي) في محافظة نينوى.
126. أ. رافي سركسيان فانكان، ماجستير لغة إنجليزية، مدرس في كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.
127. أ. عاشور عودة الربيعي، ماجستير جغرافية بشرية-جامعة مشيغان الأمريكية، شغل موقع مدير مركز الدراسات والبحوث - المنصور، أُغتيل في منطقة العامرية عام 2004.
128. ا.خليل إسماعيل عبد الداهري، جامعة بغداد، كلية التربية الرياضية.

129. أ.د. مكي حبيب المؤمن، خريج جامعة مشيغان الأمريكية اختصاص في مادة التاريخ المعاصر، أستاذ سابق في جامعة البصرة وبغداد، ومركز الدراسات الفلسطينية وجامعتي أربيل والسليمانية. بعد السقوط تعرض إلى حادث سيارة مفتعل وتوفي يوم 2003/6/20 بعد أن أقعده المرض.

130. الأستاذ الدكتور محمد عبدالله الراوي، رئيس جامعة بغداد، نقيب الأطباءالعراقيين، زميل الكلية الملكية الطبية، اختصاص باطنية، اغتيل في عيادته الطبية بمنطقة المنصور عام 2003.

131. د. علي جابك المالكي، اختصاص محاسبة، منسب إلى وزارة المالية، مديرية الضريبة العامة، أُغتيل عام 2004.

132. د.كاظم بطين الحياني، أستاذ علم النفس، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، اقتيد من قبل عناصر تابعة لأحد الأحزاب الدينية، بتاريخ 2006/3/3 وجدت جثته في مشرحة الطب العدلي وعليها آثار التعذيب، سبق أن شغل منصب محافظ القادسية حتى عام 1991.

133. الدكتور العميد صادق العبادي، (طبيب) أُغتيل يوم 2004/9/1 في منطقة الشعب في بغداد عند دخوله المجمع الطبي الذي شيده لتقديم الخدمات الطبية وبأسعار رمزية.

134. الدكتور العميد منذر البياتي، (طبيب) اغتيل أمام داره في السيدية يوم 2005/6/18.

135. الدكتور اللواء سنان عبد الجبار أبوكلل، جامعة البكر للدراسات العليا، أُستشهد في سجن أبو غريب عام 2004.

136. الدكتور رضا أمين، معاون فني في مستشفى كركوك التعليمي، أُغتيل يوم 2005/8/15 في كركوك.

137. الدكتور عامر محمد الملاح، رئيس قسم الجراحة في المستشفى الجمهوري التعليمي، أُغتيل قرب داره يوم 2004/10/3.

138. الدكتور عبد الـلـه صاحب يونس، مـدير مستشـفى الـنعمان التعليمـي في الأعظميـة، أُغتيل يوم 2005/5/18.

139. الدكتورالمهندس عبد الستار صابر الخزرجي، كلية الهندسة، جامعة بغداد، أُغتيـل يـوم 2005/6/21 وهو من سكنة مدينة الحرية في بغداد.

140. مصطفى محمد الهيتي، عميد كلية الصيدلة، جامعة بغداد، اختصاص علوم الصيدلة.

***

الخاتمة

لقد حاولت أن ألقي الضوء على هـؤلاء الصـفوة الـذين اغتـالتهم أيـدي الغدر القذرة (الموساد الاسرائيلي- فرقة الاغتيالات) عبر سنوات طويلـة دون أن يهتز ساكن للإنظمة العربية برغم أن هؤلاء هم الثروة الحقيقيـة للعـالم العربي.

كما أردت أن أُذكـر جـيلي والأجيـال القادمـة بـأن هنـاك مـؤامرة وأنهـا مازالت مستمرة.

وأردت أيضاً أن يصبح كتابي هذا ضريح يليق بهؤلاء الكوكبـة يجتمعـون فيه برغم تفاوت الفترات الزمنية بينهم.

الكاتب

د/ يوسف حسن يوسف

القاهرة 13 20

المصادر والمراجع للكتاب

1- الموسوعة اليهودية — د/ عبد الوهاب المسيري
2- كتاب تركيا الفتاة وثورة 1908 — د/ أرنست – أ- رامزور
3- كتاب اليهود — د/ جمال حمدان
4- أحجار على رقعة الشطرنج — وليام جي كار
5- كتاب اليهودية — أ/ أحمد شلبي
6- بروتوكولات حكماء صهيون — أ/ أحمد شلبي
7- التلمود — د/ وهلنج شارل لوران
8- حروب إسرائيل السرية — أ/ أيان بلاك وبيتي موريس
9- لعبة الاستخبارات الدولية — نايغل وست
10- تاريخ المافيا الدولية — مؤلف الكتاب
11- مذكرات (موشى شرتوك) — رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية
12- تاريخ الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية — بيتي موريس
13- مذكرات — أيسر هاريل
14- جواسيس جدعون — غوددون توماس

<u>مواقع شبكة الإنترنت</u>

- إسلام أون لاين
- شبكة العراق الشهيدة
- عرب لاين
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

الفهــــــرس

كلمة الناشر

نقدم للقارئ أهم الكتب عن تاريخ جهاز الاستخبارات الإسرائيلية "الموساد"، من تاريخ نشأته .. وقيامه بعمليات تجسس وتخريب في مصر والوطن العربي ..

لقد قدمنا في الكتاب أخطر العمليات التي قام بها جهاز الاستخبارات الإسرائيلية، والتي ترابطت خيوطها .. مع أدق تفاصيل المؤامرة على الوطن العربي .. وأهم العمليات لاغتيال العلماء المصريين والعرب ..

لا يقل أهمية هذا الكتاب عن ما صدرناه من كتب تكشف المؤامرة الصهيونية في العالم من خلال كتابان وهما: "بروتوكولات حكماء صهيون .. قراءة تطبيقية في الدستور السري للحركة الصهيونية" .. والأخر كتاب: "أحجار على رقعة الشطرنج .. هكذا يتلاعب بني صهيون بالعالم" ..

نرجوا أن يعلم العالم العربي بمدى خطورة بني صهيون .. ومخططاتهم على الكيان العربي.

الناشر



مطابع روزاليوسف



٦١ ش محمد فريد - الدور الثالث - وسط البلد - القاهرة